

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس حتى قيام الأغالبة

من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ١٨٤ هـ

٧٥٠ م - ٨٠٠ م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة
لمياء أحمد شافعي



إشراف الدكتور
محمد زيتون

١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: «المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس حتى قيام الأغالبة من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ١٨٤ هـ = ٧٥٠م - ٨٠٠م»

اسم الباحثة: لمياء أحمد عبد الله شافعي.

يتكون البحث من مجلد يحتوي على ٣٣٩ صفحة. ومقدمة مرقمة عددها (١٦) صفحة. وهو عبارة عن مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة تحدثت المقدمة عن أهمية الموضوع، وكان عدم بحث الموضوع مع أهمية فترته من أسباب اختياري له.

وفي التمهيد ذكرت مدلول لفظ بلاد المغرب جغرافياً وسياسياً ثمَّ الأوضاع السياسية قبل فترة البحث وظهور عبد الرحمن الفهري ووصوله للولاية. وفي الفصل الأول وضحت جهود عبد الرحمن الفهري في إقرار أوضاع البلاد وعلاقته بالخلافة العباسية والصراع بين أفراد أسرته حتى قضي عليها.

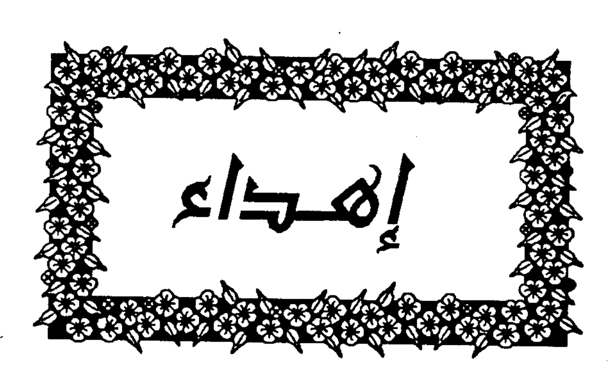
وفي الفصل الثاني تحدثت عن الثورات الانفصالية في المغرب على يد الخوارج الصفرية والإباضية وبيان أسبابها وأهدافها وانتشارها وفي الفصل الثالث وضحت تحرك الدولة العباسية لإصلاح الوضع في المغرب فذكرت ولاتها من سنة ١٤٤هـ إلى سنة ١٥٤هـ وبينت مجهودات كل وال منهم في إعادة البلاد للتبعية للخلافة العباسية .

ثمَّ تحدثت عن أسرة المهالبة من سنة ١٥٤هـ إلى سنة ١٧٨هـ وتتابع أفراد الأسرة على الولاية وماكان من انتشار الأمن واستقرار البلاد في عهدهم. ثمَّ ذكرت آخر الولاة وهما هرثمة بن أعين ومحمد بن مقاتل العكي. وفي الفصل الرابع بينت علاقة الولاة بالدول المنفصلة عن الخلافة في تلك الفترة وهي الدولة الأموية في الأندلس والمدرارية الصفرية في سجلماسة والرستمية الإباضية في تاهرت ثمَّ الدولة الإدريسية في فاس. وفي الفصل الخامس بينت الجانب الحضاري المتمثل في الوضع الاقتصادي والاجتماعي فوضحت الازدهار الاقتصادي المتمثل في تعدد الزراعة وتنوع الصناعة وأمن الطرق ورواج التجارة ووضحت في الوضع الاجتماعي طبقات السكان ودور المرأة والملابس وأفراح المجتمع واحتفالاته وأهم عاداته وتقاليده. وختمت البحث بأهم النتائج ومنها:

* أن الخلافة العباسية ورثت عن الخلافة الأموية بلاد المغرب كلها من غرب مصر إلى حد السوس الأقصى.
* أن سياسة بعض الولاة التعسفية كانت سبباً في ثورات البربر وأن ثورات البربر كانت ثوارت مذهبية تغذيها أفكار الخوارج الإباضية والصفرية ولم تكن ثورات عنصرية.
* حرص الخلافة العباسية على اختيار أفضل قوادها وأشهر الأسر القوية لتولي إمرة المغرب لبقائه تابعاً لها.
* بيان علاقة الولاة بالدول المنفصلة عن الخلافة في تلك الفترة.
* مع تلك الثورات والأحداث السياسية المضطربة ازدهرت الحياة الاقتصادية وتطورت نتيجة لجهود الولاة واهتمامهم بها.

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية	المشرف	الطالبة
د. سليمان بن واصل التويجري	د. محمد محمد زيتون	لمياء أحمد شافعي

بسم الله الرحمن الرحيم



أهدي خلاصة جهدي وسهري في الإعداد والتحضير والبحث لدرجة الماجستير، إلى أبويّ اللذين ظللاني بعطفهما وغمراني بحنانهما منذ نعومة أظافري، فلهما الفضل الأكبر بعد الله سبحانه وتعالى فيما وصلت إليه حيث غرسا فيّ حب التعلم منذ الصغر وكان دعمهما المتواصل أكبر حافز لي لمواصلة دراساتي العليا.

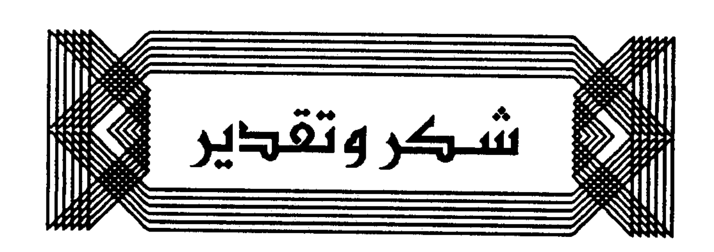
كما أهديها لزوجي الحبيب الذي كان لكفاحه معي أثناء فترة الإعداد للرسالة الفضل في أن تأتي بالصورة التي هي عليها.

ولايفوتني في غمرة الإهداء إهداءها لبرعميّ الصغيرين مازن..ولجين اللذين أخذت من وقتهما الكثير في سبيل إعداد الرسالة.

راجية من الله العلي القدير أن يوفقني لتعويضهما عما أخذت منهما من وقت .. وأخيرًا أعطر إهدائي لكافة من أعانني وساهم معي وشارك في سبيل الإعداد لهذه الرسالة.

جزى الله الجميع عني خير الجزاء...

لمياء



لقد كان للتوجيهات الحكيمة والآراء السديدة التي حظيت بها من سعادة الأستاذ الفاضل الدكتور محمد محمد زيتون الأثر الكبير الذي أعانني في حسن اختيار موضوع الرسالة وتمهيد طريق رسالتي وتزينها بالورود، فله خالص الشكر وعظيم التقدير.

والحق أقول: لقد وجدت الأمر في بدايته صعبًا وبدا المشوار طويلاً فاستعنت بالله أولاً ثم بتوجيهات الدكتور الفاضل التي كان لها أكبر الأثر في تذليل الصعاب وتمهيد الطريق، فلم يبخل علي بوقته وجهده المتواصلين في أي وقت حيث جعل الصورة تتبلور في مخيلتي وتتضح الرؤية جلية أمامي بواسطة إرشاداته في اتباع أسلوب البحث العلمي الصحيح، فله مني جزيل الشكر بعد المولى سبحانه وتعالى، حيث أدين له بالفضل في الصورة التي جاءت بها الرسالة، وأدعو الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما لايسعني أيضًا إلاأن أتقدم بالشكر الجزيل من الأعماق لمن ساهم معي وأعانني في إخراج هذا البحث.

كما أنني أتقدم بالشكر الجزيل لعضوي المناقشة على مابذلاه من جهد في قراءة الرسالة وتقويمها الذي سوف أفيد منه وتفيد الرسالة، فجزاهما الله خير الجزاء.

الباحثة

المقدمة

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم. والصلاة والسلام على النبي الإكرم؛ سيد العرب والعجم نبينا محمد وعلى آله ،صحبه وسلم القائل" خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

وإنه لمن يمن الطالع أن يتناول بحثي هذا أحداثًا تاريخية معينة في حقبة زمنية مباركة قريبة من عهد النبوة الذي يعتبر غرة في جبين التاريخ الإسلامي المجيد.

وبعد: فإن دراسة التاريخ السلامي نور يُستضاء به، فهي تكشف لنا عن مراحل يهم كل مسلم الاطلاع عليها ومعرفة أدق أحداثها، وقد كتب في التاريخ الإسلامي عن بلاد المغرب الأبحاث والمراجع الكثيرة إلا أن الإهتمام كان يتجه إلى نقاط مختلفة، فمن الباحثين من تعمق في دراسة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ومنهم من درس المغرب الإسلامي في عهد بني أمية واستمرارالفتح الإسلامي لبقية أجزائه ، ثم هناك من تعمق في دراسة الدويلات المستقلة التي قامت في المغرب وأعلنت استقلالها عن الخلافة القائمة، ومن الأبحاث ما قدمت في دراسة دولة الأغالبة؛ وهل هي تابعة للخلافة أم هي دولة مستقلة.

إلا أني وجدت وعلى قدر اطلاعي أن فترة ولاة بني العباس في المغرب الأدنى وقبل قيام دولة الأغالبة لم تكن موضوع بحث دقيق مستفيض، ولذلك اخترت موضوعًا لدراسة "المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس" وقد يكون ذلك لما حفلت به تلك الفترة من أحوال سياسية مضطربة وماتميزت به من كثرة الثورات والفتن والقلاقل، فهي مرحلة

شائكة يصعب دراستها، فكان عدم بحث هذه الفترة دافعًا لي لأن أخوض في متاهاتها وأوضح وأفصل أحداثها، وأظهر تأثير الإسلام الذي تغلغل في نفوس شعب البربر وتأصل فيها، لدرجة أنهم تحملوا سياسة بعض الولاة الجائرة فلم يثوروا عليهم قبل أن يلجؤوا إلى الخليفة لعرض شكواهم، إلا أن فشلهم في وجود الحل لدى دار الخلافة جعلهم لقمة سائغة للداعين إلى مذاهب الخوارج الذين لاذوا ببلاد المغرب فارين من مقاومة الخلفاء لهم، فأخذوا في نشر مذاهبهم والدعوة إليها، فوجدت هذه الدعوة أرضًا خصبة وسط تذمر البربر من سياسة بعض الولاة الأمر الذي أدى إلى اعتناق بعض البربر لهذه المذاهب مما ترتب عليه قيام ثورات سياسية ومذهبية أدت في النهاية إلى قيام دويلات مستقلة في المغرب غير تابعة للخلافة العباسية.

ثم كان موقف الخلافة واهتمامها بإرسال أعظم قوادها وقادتها للمحافظة على سلطانها ووجودها في بلاد المغرب الأدنى بعد انفصال معظم أجزاء المغرب الأوسط والأقصى عنها.

وإذا كان يهمني دراسة تلك الأوضاع السياسية فإنه يهمني أيضًا التطرق إلى النواحي الحضارية من أحوال اجتماعية واقتصادية في كنف تلك الفترة غير المستقرة.

وقد صادفتني في دراسة أحداث تلك الفترة صعوبات أهمها قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن تلك الفترة بإسهاب، فإن معظم المصادر والمراجع تتحدث فقط عن الخلافة الأموية في المغرب ثم عن الأغالبة وتسقط فترة ولاة الخلافة العباسية قبل قيام دولة الأغالبة أو

تشير إليها إشارات موجزة لأنها كانت فترة ثورات وعدم استقرار، هذا بالنسبة للنواحي السياسية، وكذلك الأوضاع الاجتماعية لم أجد فيها تفصيلاً شافياً يروي غليل الباحث، فحاولت جمع المعلومات من كتب الجغرافيين وهي لمحات موجزة استطعت أن أستنبط منها مايخص فترة بحثي، وقد رجعت إلى كثير من المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي أعانتني في مواصلة دراسة هذا الموضوع ومن أهمها:

١ ـ ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) ـ فتوح مصر وأخبارها وهو مصدر هام دقيق المعلومات تحدث عن فتح بلاد المغرب وعن ولاة الخلافة الأموية فيه، وكانت إفادتي منه محصورة في التمهيد حيث اعتمدت عليه في الأحداث السياسية زمن ولاة بني أمية كما اعتمدت عليه في الفصل الأول في ثورات الإباضية ضد عبد الرحمن الفهري.

٢ ـ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت ٣٣٣هـ) ـ كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، ومؤلف هذا المصدر مغربي من أسرة شهيرة بالقيروان وتونس ووجوده في هذه الفترة القريبة من فترة دراستي أفادني إفادة كبيرة، وقد اعتمدت عليه في ذكر جله من القضاة والعلماء والفقهاء في هذه الفترة والذين كان لهم أثر سياسي وحضاري على الحياة في المغرب الأدنى في تلك الفترة.

٣ ـ الرقيق القيرواني (ت ٤١٧هـ) ـ تاريخ إفريقية والمغرب، قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني الهجري، وهو يشمل فترة بحثي، كما أن الرقيق القيرواني مؤلف مغربي تميزت كتاباته بالدقة في سرد الأحداث وتوضيحها وتفصيلها، وقد أفدت منه في

جميع فصول البحث واستقيت منه معلومات عن الولاة العباسيين والأحداث السياسية في عهدهم وأسماء القواد في المعارك والثورات ضد الولاة.

٤ ـ المالكي ـ أبوبكر (ت٤٥٣هـ) ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، وقد تضمن الجزء الأول منه العلماء من الفتح العربي إلى آخر سنة ٣٠٠هـ وهو الجزء الذي اعتمدت عليه، والمؤلف أبو بكر المالكي فقيه فاضل من ثقات علماء القيروان امتازت كتاباته بالأمانة والدقة، وقد أفدت منه في تتبعي للقضاة والعلماء الذين كان لهم دور وحدث مع الولاة العباسيين.

٥ ـ البكري (ت٤٨٧هـ) ـ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك وهو كتاب جغرافي مهم، أفدت منه في تحديد مدن المغرب، كما اعتمدت عليه في استقاء المعلومات الحضارية حيث أفاض في الإشارة إلى أهم المحاصيل الزراعية وطرق التجارة، كما استقيت منه معلومات الناحية الاجتماعية وعناصر السكان.

٦ ـ ابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ) ـ الحلة السيراء، وهو من جزئين، وقد أفادني الجزء الأول الذي ضمَّ تراجم أهل المئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة، فمن رجال المائة الثانية استقيت معلوماتي، فقد أعطاني معلومات جديدة وقيمة عن بعض الولاة في تلك الفترة ومن حواشي الكتاب التي وضعها الدكتور حسين مؤنس. أفدت عن البعض الآخر منهم فهو معتمد على كتاب نهاية الأرب للنويري، وقد تميزت كتابات ابن الأبار بذكر الأشعار والاعتماد عليها، كما اعتبره المؤرخون من أكبر من أنجبهم

الأندلس في ميادين التاريخ والأدب وعلوم الإسلام، وهو من مدينة بلنسية من الأندلس.

٧ ـ ابن عذارى (٦٩٥هـ) ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، وهو من المصادر الهامة في تاريخ المغرب، حيث قدَّم شرحًا مفصلاً عن المغرب وأحواله، واعتمدت عليه في تاريخ ولاة بني العباس في القيروان، ومعلوماته الدقيقة كشفت لي حقائق هامة في فترة بحثي.

٨ ـ ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ـ تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، وتناول فيه تاريخ المغرب من برقة شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، وأحداثه التاريخية إلى بداية عصر الموحدين، وابن الخطيب هو مؤلف غرناطي عاش في المغرب الأقصى مما أثَّر في انتاجه العلمي كعالم وأديب ومؤرخ، وقد ذكر ولاة الدولة العباسية، وأفدت من معلوماته عن أسرة آل المهلب وأحوال البلاد في عهدهم.

٩ـ ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، وقد امتاز بالنقد والتمحيص والشرح والتفصيل، وقد أفدت من الجزء الرابع حيث ذكر أخبار ولاة افريقية منذ بداية الفتح إلى العهد العباسي، وذكر في أجزاء أخرى أخبارًا عن البربر وقبائلهم وثوراتهم في بلاد المغرب في عهد الولاة.

١٠ ـ النويري(٧٣٣هـ) ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، وهو تاريخ شامل هام اعتمدت على الجزء ٢٤ منه، وامتاز النويري بأخذ معظم معلوماته نقلاً عن الرقيق القيرواني.



وإلى جانب هذه المصادر أفدت من المراجع الحديثة ومنها:

١ـ د. سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي، فقد قدم معلومات هامة ودقيقة؛ إذ اعتمد على مقارنة المصادر؛ فهو بحق بحث مهم في تاريخ المغرب، أفدت منه في الحديث عن ولاة بني العباس وأخبارهم.

٢ـ د. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، وقد كانت إفادتي منه كبيرة في الفصل الخامس في الحديث عن الناحية الحضارية التي تتسم بصعوبة البحث فيها، وقد قدم لي الكثير من المعلومات فيها.

٣ـ عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا، حيث قدم لي معلومات مستفيضة عن ولاة بني العباس والأحداث السياسية في عهدهم.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة.

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له مع الإشارة إلى أهم المصادر.

وقسمت التمهيد إلى فقرتين، حيث حددت في الفقرة الأولى الفترة التي أبحث فيها بالحدود الجغرافية كما حددتها بالفترة الزمنية، فتطرقت لحدود المغرب بصفة عامة من كتب الجغرافيين وما تشمله هذه المنطقة التي تقع غرب بلاد مصر إلى المحيط الأطلسي من مدن وتقسيمات، ثم ركزت على توضيح حدود بلاد المغرب في أواخر دولة بني أمية وهي المنطقة التي ورثها الخلفاء العباسيون من بعدهم، ثم كانت

الفقرة الثانية من التمهيد عن دراسة الأوضاع السياسية التي سبقت فترة بحثي وما كان من سياسة أواخر ولاة الخلافة الأموية في تلك المنطقة ؛ فتعرضت لسياسة عبيد الله بن الحبحاب في افريقيا في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي وما ترتب على سوء سياسة بعض عماله في المغرب من استياء البربر وانتشار مذهب الخوارج الصفرية وقيام أول فتنة بإفريقية على يد ميسرة المدغري، ثم عن ولاية كلثوم بن عياض وما كان من هزيمة جيش الخلافة في موقعة بقدورة على يد الخوارج من البربر، ثم قدوم حنظلة بن صفوان واليًا من قبل الخليفة هشام وما حققه من نصر على الخوارج في موقعتي القرن والأصنام، واستقرار البلاد لحنظلة لولا ظهور عبد الرحمن الفهري وتطلعه إلى الولاية وخروجه بتونس زاحفًا إلى القيروان وورع حنظلة في ترك البلاد له حقنًا لدماء المسلمين، ثم اعلان عبد الرحمن الفهري ولاءه للخلافة الأموية ومن بعدها للخلافة العباسية القائمة التي أقرته على ولايته وأرسلت إليه السواد شعار العباسيين، أما الفصل الأول فقد اختص بالحديث عن بني فهر والأحداث السياسية في عهدهم، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث ذكرت في المبحث الأول ثورات المغرب ضد عبد الرحمن وموقفه منها؛ وأظهرت مدى حنكته وقوته في القضاء على تلك الثورات في عهده بإعداد الجيوش بقيادة أخيه الياس وباستخدام الحيلة حتى استطاع أن يقر أحوال البلاد؛ ويغزو جزيرتي صقلية وسردينية.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن علاقة الفهريين بالخلافة العباسية القائمة وإعلان عبد الرحمن ولاءه لأبي العباس السفاح الذي أقره على ولاية المغرب، ومن ثم كانت علاقة عبد الرحمن الفهري مع الخليفة

العباسي الثاني أبي جعفر المنصور التي شابها بعض الإضطراب؛ فأعلن عبد الرحمن خلع طاعة العباسيين.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن الصراع بين الأسرة الفهرية في المغرب وطمع الياس أخي عبد الرحمن في الوصول إلى الولاية مستغلاً خروج عبد الرحمن على الخلافة، وقتله له وماكان من صراع بعد ذلك بين حبيب بن عبد الرحمن وعمه الياس؛ وتدخل الخوارج الصفرية من قبيلة ورفجومة في النزاع ووصولهم إلى القيروان؛ فعاثوا فيها فساداً، وبذلك كان الصراع بين أفراد الأسرة الفهرية سبباً في القضاء عليها.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الثورات الإنفصالية في المغرب على يد الخوارج الصفرية والإباضية، فبحثت عن أسبابها وأهدافها وانتشارها ونتائجها؛ فوضحت مذهب الخوارج وانتشاره في المغرب وناقشت ما قيل في ذلك من أراء.

أما الفصل الثالث وهو صلب موضوع رسالتي فقد خصصته للحديث عن تحرك الدولة العباسية لإصلاح الوضع في المغرب وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسة، وينطوي تحت هذه المباحث فروع عدة، فذكرت أولاً ولاة بني العباس من سنة ١٤٤هـ إلى سنة١٥٤هـ، وتناولت في هذا المبحث ثلاثة من الولاة العباسيين: وهم محمد بن الأشعث الخزاعي، والأغلب بن سالم التميمي، وعمربن حفص بن قبيصة، ووضحت مجهودات كل والٍ منهم في إعادة البلاد للتبعية للخلافة العباسية؛ ومحاربة الخوارج ثم محاولة الولاة إصلاح البلاد وإعادة الأمن والإستقرار إليها، إلا أن الخوارج الصفرية والإباضية تجمعوا على عمر بن

حفص من كل ناحية ورغم ما بذله من جهد في تفريقهم و القضاء عليهم وماخاضه معهم من معارك ضارية استشهد فيها وتغلبت الخوارج على البلاد.

وفي المبحث الثاني ذكرت أسرة المهالبة من سنة ١٥٤هـ إلى سنة ١٧٨هـ وقد تناولت خمسة من الولاة المهلبيين الذين اشتهروا دائماً بالقيادة وحسن السياسة؛ وكان أولهم يزيد بن حاتم الذي استطاع أن يقضي على ثورات الخوارج مستعيناً بأفراد أسرته المهالبة الذين عينهم قواداً وولاة على الأقاليم ألى أن أعاد للبلاد هدوءها؛ وبدأ في الأعمال الإصلاحية فيها؛ وكما اهتمت الخلافة باصلاح وضع المغرب عن طريق إرسال أحسن قوادها وولاتها؛ فإنها كذلك اهتمت بتعيين أفضل القضاة لنشر العدل وتحقيق الأمن؛ فعينت القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، والقاضي يزيد بن الطفيل التجيبي، ثم ذكرت أشهر فقهاء المغرب وشيوخهم الذين كان لهم دور في الحياة السياسية ،منهم عبد الله بن فروخ الفارسي، وأبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي رضي الله عنهم.

وعدت إلى الأسرة المهلبية حيث ذكرت ثاني والٍ منهم وهو داود ابن يزيد الذي عهد إليه والده بالولاية حتى لايترك ثغر القيروان بدون والٍ وواجه داود ثورة الإباضية ولم تطل ولايته؛ إذ قدم عمه روح بن حاتم بعهد من الخليفة الرشيد فكان ثالث والٍ من آل المهلب وما كان من هدوء أحوال البلاد في عهده ثم أشرت إلى القضاة زمن روح وهم العلاء بن عقبة وعبد الله بن فروخ وعبد الله بن غانم الرعيني.ثم رابع والٍ مهلبي وهو نصربن حبيب الذي عهد إليه الخليفة الرشيد بالولاية سراً قبل

وفاة روح بن حاتم وما في ذلك من إشارة إلى اطمئنان الخلافة العباسية إلى الأسرة المهلبية وجعل الولاة منها على التوالي، فقد ولي بعد نصربن حبيب الفضل بن روح، وبينت استقبال أهل القيروان له واحتفالهم بقدومه إلا أن هدوء البلاد لم يستمر في عهده إذ ثار عليه جند تونس بقيادة عبد الله بن الجارود بسبب سوء سيرة واليه على تونس المغيرة ابن بشر بن روح وما كان لهذه الثورة من تطور انتهى بمقتل الفضل واضطراب أمر البلاد إلى أن قدم هرثمة بن أعين.

والمبحث الثالث في هذا الفصل كان عن آخر ولاة بني العباس قبل قيام الأغالبة وهم:

١ ـ هرثمة بن أعين الذي استطاع أن يُعيد للبلاد هدوءها، ثم عاد إلى المشرق بعد انجاز مهمته في إمرة المغرب الأدنى.

٢ ـ محمد بن مقاتل العكي؛ إلا أن هذا الوالي كان سيئ السيرة فأثار الجند عليه مما أدى إلى إنهاء عهده وتولية ابراهيم بن الأغلب؛ وبذلك بدأ عهد جديد في المغرب بولاية ابراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية في المغرب؛ حيث تنتهي بذلك مرحلة الولاة العباسيين.

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن العلاقة بين الولاة العباسيين والدول المنفصلة التي استقلت عن الخلافة في تلك الفترة في بلاد المغرب ؛ فأشرت بإيجاز إلى قيام كل دولة ثم ما كان من أمر علاقاتها بولاة الخلافة العباسية في القيروان فكانت أول دولة هي الدولة الأموية في الأندلس وقد بحثت فيها ارتباط بلاد المغرب ببلاد الأندلس في تلك الفترة، ثم درست أول دولة خارجية في المغرب قامت على مذهب الخوارج

الصفرية وهي الدولة المدرارية التي قامت في سجلماسة سنة ١٤٠هـ وما كان من علاقاتها مع ولاة القيروان؛ ثم الدولة الرستمية التي قامت على مذهب الخوارج الإباضية في تاهرت سنة ١٦١هـ وتحدثت عن علاقة المهادنة مع ولاة القيروان، وأخيراً تعرضت للدولة الإدريسية التي قامت على المذهب السني في سنة ١٧٢هـ وما حدث من مناصبة الخلافة العباسية لها العداء ومحاولة القضاء على مؤسسها بالحيلة مستعينة بولاتها على القيروان،

وبعد تناولي للأحداث السياسية في تلك الفترة من عهد الولاة العباسيين، خصصت الفصل الخامس للحديث عن الجانب الحضاري المتمثل في الوضع الإقتصادي والإجتماعي.

ففي الوضع الاقتصادي وضحت أهم دعائم الإقتصاد المتمثل في الزراعة حيث اشتهرت بلاد المغرب بالعديد من المحاصيل الزراعية في مختلف مناطقها، وكان من أهمها التمر والزيتون، ووضحت إهتمام الولاة بحفر الأبار وإنشاء الخزانات، ثم الصناعة التي تنوعت وتعددت في بلاد المغرب؛ من صناعة منسوجات وورق ومعاصر لزيت الزيتون وغير ذلك.

ثم أشرت إلى نشاط الحركة التجارية على نطاق واسع بين مختلف أقاليم المغرب وبين المغرب والأندلس؛ وأهم الطرق التجارية التي سلكها التجار بين أقطار المغرب.

وفي الوضع الإجتماعي تحدثت عن السكان واختلاف أجناسهم من عربي وبربري وطبقات هؤلاء السكان من حكام وعلماء وأصحاب حرف

وغيرهم، ثم وضحت دور المرأة ووضعها في المجتمع المغربي؛ وما حظيت به من تقدير واحترام، ثم تطرقت إلى الملابس المشهورة في تلك الفترة؛ وتحدثت عن أفراح المجتمع واحتفالاته، ثم ختمت الحديث بأهم عاداتهم وتقاليدهم.

وقد بذلت كل جهدي وطاقتي في دراسة الموضوع فإن وفقت فيه فذلك الفضل من الله وإن كان هناك بعض التقصير فذلك مني والكمال لله وحده.

وفي الختام أقدم شكري ......إلى الأستاذ المشرف سعادة الدكتور محمد محمد زيتون وعضوي المناقشة اللذين سأفيد من ملاحظاتهما وسوف يثري البحث بتلك الملاحظات.

كما أقدم شكري ألى الجامعة الكريمة جامعة أم القرى، وإلى كلية الشريعة الموقرة، وإلى قسم التاريخ والدراسات العليا الموقر، وإلى جميع الحضور الكرام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



التمهيد

١ ـ حدود بلاد المغرب في أواخر دولة بني أمية

٢ ـ الحالة السياسية في المغرب قبل قيام العباسيين.

أ ـ حدود بلاد المغرب الجغرافية والتاريخية:

اتجه الجهاد الإسلامي نحو المغرب منذ أوائل عهد الخلافة وعلى التحديد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده، ثم اتجهت الدولة الأموية أكثر إلى العمل والجهاد باتجاه المغرب، وظهر حرصها على قوة نفوذها فيه واهتمامها بنشر الإسلام في جميع أقطاره.

حدود بلاد المغرب:

بحثت عن حدود بلاد المغرب في كتب الجغرافيين القدامى فوجدت الاصطخري يذكر أن المغرب نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه ونصف من غربيه، فأما الشرقي فهو من حد بلاد مصر ويشمل برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة. وأما الغربي فهو الأندلس[1]. فهو بذلك يضم بلاد الأندلس إلى المغرب.

وكذلك المقدسي يذكر أن إقليم المغرب إقليم بهي كبير، كثير المدن، ويذكر الأندلس من مدنه ويذكر أن أول مدن المغرب من قِبَلِ مصر برقة ثم إفريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى ثم جزيرة إصقلية وهي تقابل إفريقية، والأندلس وراء البحر على أرض الروم[2]. وهو بذلك يجمع الأندلس وصقلية ضمن حدود المغرب.

أما ابن حوقل فيذكر أن المغرب بعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي وهما جميعًا عامران. أما

---

١ ـ الاصطخري: ،مسالك الممالك ص٢٦.

٢ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٢١٥-٢١٦.

الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة، أما الشرقي فهو بلاد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية(١).هذا بالنسبة للمفهوم العام لكلمة بلاد المغرب ولكن لوأردت تحديد بلاد المغرب في أواخر دولة بني أمية، أي ماهي منطقة بلاد المغرب التي سترثها الدولة العباسية وهي المنطقة التي تخص دراستي بها فإنني أجد أن السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء يذكرأنه بمقتل مروان آخر خليفة أموي ومبايعة السفاح أول خليفة عباسي توطدت له أركان البلاد حتى شملت أقصى المغرب(٢) فهو بذلك يوضح أن الخلافة العباسية ورثت المغرب كله إلى أقصاه.

ويوضح إبن أبي دينار تلك الحدود بقوله: ؛وكان حكم بني الأغلب ومن كان قبلهم من الأمراء ومن كان بعدهم من صنهاجة إلى حد السوس من بلاد المغرب(٣).

فبما أن فترة بحثي عن تاريخ بلاد المغرب في عهد ولاة بني العباس إلى قيام الأغالبة فهو يوضح هنا أن حدود تلك الفترة من التاريخ كانت إلى حد السوس من بلاد المغرب.

وتذكر المراجع أن اصطلاح لفظ الشرق والغرب ظهر في أيام الخلافة العباسية، فذكر د. على حبيبة أنه "يقال في التاريخ الإسلامي أن الإشارة إلى الشرق والغرب بدت واضحة في أول القرن الثاني الهجري

---

١ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٦٤.

٢ ـ جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٤٠.

٣ ـ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص٤٥.

عند ظهور دعوة العباسيين، وقد روَّج لهذه الفكرة رجال الدعوة العباسية أنفسهم، وقالوا إن دعوتهم ستأتي من مطلع الشمس في أقصى الشرق بخراسان[١]".

ويؤيد هذا القول ماذكره الدكتور أحمد مختار العبادي بقوله: "وفي أيام العباسيين زاد مدلول المغرب اتساعًا فصارت الشام أيضًا ضمن المغرب. إذ يروي المسعودي أن العباسيين قسموا مملكتهم إلى قسمين وهما المغرب ويشمل الشام ومصر وإفريقية ومايليها غربًا، والمشرق ويشمل بلاد فارس ومايليها شرقًا[٢]".

أما الأستاذ محمد علي دبوز فذكر تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى والأوسط والأقصى.

١ ـ المغرب الأدنى:

ويبتدىء من غرب الاسكندرية شرقًا إلى مدينة بجاية غربًا، ويشتمل على الأقاليم الأربعة التالية: برقة ـ طرابلس ـ تونس ـ وشرق الجزائر .

٢ ـ المغرب الأوسط:

من مدينة بجاية شرقًا إلى وادي ملوية غربًا، ويشتمل على وسط الجزائر وغربه وعلى جزء من شرق القطر المغربي الحالي.

---

١ ـ علي حبيبة: مع المسلمين في الأندلس ص٥.

٢ ـ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص١١ – ١٢.

٣ـ المغرب الأقصى:

من وادي ملوية شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ويشتمل على المغرب من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي.

ويرجع هذا التقسيم إلى العهد الأموي وبالتحديدأواخر القرن الأول الهجري(١).

ويوضح د. حسين مؤنس هذا التقسيم للمغرب بناء على التقسيم الحالي للبلاد بأنه يشمل الأقاليم التالية:

١ ـ إقليم برقة، ثم إقليم طرابلس. ومن هذين الإقليمين مضافًا إليهما إقليم فزّان تتكون الجمهورية الليبية حاليًا.

٢ ـ يليه غربًا بلاد إفريقية، وتشمل إقليم طرابلس من تاورغا قرب سرت على ساحل البحر المتوسط إلى صبرة، ثم إقليم إفريقية. وهو يقابل تونس الحالية، ثم تمتد إفريقية فتشمل الجزء الشرقي من الجمهورية الجزائرية حاليًا حتى نهر صغير يسمى شلف. وهذا الجزء كان يسمى إقليم الزاب، وكان يعتبر جزءًا من ولاية إفريقية .

٣ ـ بعد ذلك المغرب الأوسط ويمتد من مجرى نهر شلف حتى مجرى نهر ملوية الذي يجري حاليًا في شرق المملكة المغربية. والمغرب الأوسط يشمل اليوم معظم الجمهورية الجزائرية، وينقسم تاريخيًا إلى قسمين: شرقي ويسمى إقليم تاهرت، وغربي ويسمى إقليم تلمسان.

---

١ ـ محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٤:١

٤ ـ ثم المغرب الأقصى الذي يعرف اليوم بالمملكة المغربية[١].

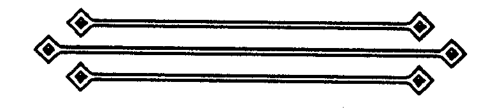
وقد جانب محمد مبروك نافع الصواب عندما ذكر أنه في الدولة العباسية لم يمتد سلطان الخليفة فيها إلى ماوراء القيروان[٢] لأنه اتضح من الدراسة السابقة أن النفوذ العباسي شمل أقاليم بلاد المغرب إلى حدِّ السوس الأقصى كما أنه قسم أشهر المقاطعات في أول عهد الخلافة العباسية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ إفريقية الواقعة غرب صحراء ليبيا.

٢ ـ مصر.

٣ ـ سوريا وفلسطين[٣].

وهو بذلك يحصر النفوذ العباسي في المغرب في المنطقة الواقعة غرب صحراء ليبيا.



---

١ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢١-٢٢-٢٣.

٢ ـ محمد مبروك نافع: تاريخ العرب، الكتاب الثالث، القسم الثاني ، الدولة العباسية ص٧.

٣ ـ محمد مبروك نافع: تاريخ العرب ص٥٩.

٣ ـ الحالة السياسية في المغرب قبل قيام العباسيين

أطلق على الفترة التاريخية في هذه المنطقة قبل قيام الدول المستقلة اسم عصر الولاة سواء ولاة الخلافة الأموية أوولاة الخلافة العباسية، فماذا يعني عصر الولاة.

"يطلق عصر الولاة في التاريخ الإسلامي، على الفترة الواقعة بين تمام الفتح الإسلامي للبلد، وقيام أول دولة مستقلة فيه، أيًا كانت صورة هذا الاستقلال، سواء كان الاستقلال فيها إسميًا أي داخلاً في إطار التبعية العامة لدولة الخلافة أوغير تابع لها مادام الولاة كانوا تابعين للخلافة.

وفيما يتعلق بالمغرب لاينتهي عصر الولاة في تاريخ واحد بالنسبة لأقاليمه المختلفة، فقد انتهى عصر الولاة في المغرب الأوسط بقيام الدولة الرستمية الخارجية الإباضية سنة ١٦٢هـ/٧٨١م. وفي المغرب الأقصى بقيام الدولة الإدريسية سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م. وفي إفريقية [المغرب الأدنى] بقيام دولة بني الأغلب سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م[١]".

وأضيف إلى ذلك انفصال الدولة الأموية في الأندلس ١٣٨هـ والدولة المدرارية الصفرية في سجلماسة سنة ١٤٠هـ.

فإنه بعد أن تمَّ فتح إفريقية[٢] على يد حسان بن النعمان وثبتت

---

١ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٥٧.

٢ ـ إفريقية: عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر.. وطول إفريقية من برقة شرقًا إلى طنجة غربًا، وعرضها من البحر إلى الشرق. انظر الحميري: الروض المعطار ص٤٧.

أقدام المسلمين فيها توافد الولاة على القيروان(١) من قبل خلفاء بني أمية ثم من قِبَل خلفاء بني العباس لإدارة شؤون ولاية إفريقية التي كان مقرها القيروان(٢).

حيث تولى أمر إفريقية من ولاة بني أمية بعد حسان بن النعمان موسى بن نصير سنة ٨٨هـ ثم محمد بن يزيد سنة ٩٧هـ ثم اسماعيل ابن عبيد الله تولاها للخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠هـ حيث أرسل معه الخليفة عشرة من التابعين لتعليم أهل إفريقية أمور الدين، ثم آلت ولاية المغرب إلى يزيد بن أبي مسلم سنة ١٠٢هـ ثم ولاية بشر ابن صفوان الكلبي سنة ١٠٣هـ ولاه الخليفة يزيد بن عبد الملك، ثم ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي في سنة ١١٠هـ من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك. وكان من أواخر هؤلاء الولاة عبيد الله بن الحبحاب الذي أرسله الخليفة هشام سنة ١١٦هـ ثم كلثوم بن عياض القشيري سنة ١٢٣هـ ، ثم حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٤هـ، سنة ١٢٤هـ والياً من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك(٣) والذي استمر والياً إلى أن استطاع عبد الرحمن الفهري أن يتغلب عليه ويفوز بإمرة البلاد فيكون بذلك آخر والٍ يدعو لبني أمية بالطاعة قبل أفول سلطان الدولة الأموية في المشرق وقيام الدولة العباسية سنة١٣٢هـ.

حيث كان عبد الرحمن الفهري أول والٍ لهم على بلاد المغرب لأنه

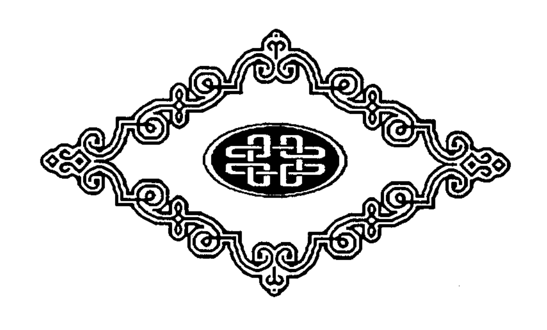
---

١ ـ القيروان: هي أجلُّ مدينة بأرض المغرب.. وهي المدينة التي كان يقيم بها ولاة المغرب. انظر الاصطخري: مسالك الممالك ص٤٠.

٢ ـ محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس. ص٦٢.

٣ ـ محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس. ص٦٢-٧٠.

أعلن طاعته وولاءه فأقره الخليفة العباسي على ولايته، وسأعطي هنا نبذة موجزة عن أوضاع البلاد في نهاية عهد بني أمية في فترة ولاية عبيد الله بن الحبحاب، وكلثوم بن عياض، وحنظلة بن صفوان، وأعطي صورة عن أحوال البلاد في عهدهم.



ا ـ ولاية عبيد الله بن الحبحاب إفريقية والمغرب كله:

عبيد الله بن الحبحاب هو مولى بني سلول[١] وكان رئيساً نبيلاً، وأميراً جليلاً، بارعاً في الفصاحة والخطابة حافظاً لأيام العرب وأشعارها ووقائعها[٢]، وكان عبيد الله قيسياً متعصباً لقيسيته، كما كان متعصباً للعرب على عامة البربر[٣]، وكان أول أمره كاتباً ثم تولى وظيفة عامل خراج مصر سنة ١٠٩هـ ثم انتهى به الأمر إلى أن وليَ إفريقية والأندلس والمغرب كله[٤].

قدم إفريقية في سنة ١١٥هـ[٥]. وقيل إن الخليفة هشام بن عبد الملك استعمل عبيد الله ١١٣هـ على إفريقية والأندلس[٦].

وقيل قدم إفريقية في ربيع الآخر سنة ١١٦هـ[٧]. وقيل سنة ١١٤هـ[٨]. ولكن التاريخ الراجح المتفق وخط سير الحوادث هو سنة ١١٦هـ. وهو الذي بنى المسجد الجامع في تونس[٩] والذي عرف فيما

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥١. * ابن خلدون: العبر ٤:١٨٨.

٢ ـ النويري: نهاية الأرب ٢٤:٥٨.

٣ ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢١٢.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥١. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٢٧٨.

٥ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ٢١٧.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢.

٧ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥١. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٥٨.

٨ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٨٩.

٩ ـ تونس مدينة كبيرة بإفريقية على ساحل بحر الروم على ميلين من قرطاجة. * انظر ياقوت الحموي" معجم البلدان ٢:٦٠-٦٢.

بعد بمسجد الزيتونة[١]. كما بنى دار الصناعة لإنشاء المراكب البحرية في مدينة تونس سنة ١١٦هـ[٢].

وعندما تولى عبيد الله إدارة شؤون البلاد أرسل الولاة إلى أطراف الولاية[٣] فاستخلف على مصر ولده القاسم[٤].

واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، وعزل عبد الملك بن قطن، ويقال أن الوالي على الأندلس يومئذ عنبسة بن سحيم الكلبي فعزله ابن الحبحاب وولى عقبة بن الحجاج[٥].وفي هذا النص خطأ تاريخي لأن عنبسة بن سحيم كان قد مات شهيداً في بلاد الغال قبل هذا التاريخ بأكثر من ١٤ سنة.

واستعمل على طنجة[٦] وما والاها من المغرب الأقصى ابنه اسماعيل ثم ولي بعده عمر بن عبد الله المرادي[٧].

والمفهوم من النصوص أن عبيد الله بن الحبْحاب مثله كمثل كبار القادة انتهج سياسة قوية استهدفت تحقيق ثلاثة أهداف:

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥١. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٥٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٠٧. * ابن خلدون: العبر ٤:١٨٩.

٣ ـ محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٦٧.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢.

٥ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٧.

٦ ـ طنجة: مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر... آخر حدود إفريقية من المغرب، ومسافة مابين طنجة والقيروان ألفا ميل. * انظر الحميري: الروض المعطار ص ٢٩٥-٢٩٦.

٧ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٠٨. * ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢. النويري: نهاية الأرب ٢٤:٥٩.

* أولها: تقوية سلطان المسلمين بشكل أكيد في المغرب القريب، والعمل على إخضاع الأقاليم والقبائل في المغرب البعيد بشكل نهائي.

* وثاني هذه الأهداف: الاستمرار في سياسة الغزو البحري المنظم، ولكن بشكل أكثر ترتيبًا وبإمكانيات أعظم، وهذا مايمكن أن يساهم في تنمية موارد الولاية المالية.

* والثالث: الاجتهاد في جمع الأموال اللازمة لإتمام هذا العمل. ولسد مطالب بيت المال وإرضاء حاجات الخلافة"[1].

وقد اهتم ابن الحبحاب بأمن جميع بلاد المغرب، لذا نجده يبعث حبيب بن أبي عُبيدة بن عقبة بن نافع غازيًا إلى السوس الأقصى[2] وأصاب من الذهب والسبي أمرًا عظيمًا، ولم يدع في المغرب قبيلة إلا أداخها، فملئوا منه رعبًا وخوفًا وأصاب من سبي البربر من الجواري النادرات الصفات[3].

كما اهتم عبيد الله بن الحبحاب بالغزو البحري، فسيَّر جيشًا في البحر سنة ١١٧هـ إلى جزيرة سردينية[4] ففتحوها وغنموا وعادوا[5].

---

١ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٢٧٩.

٢ ـ السوس الأقصى: تقع في أقصى بلاد المغرب، وهي مدينة جليلة حاضرة، جامعة لكل خير وفضل. * انظر الحميري: الروض المعطار ص٣٢٩.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥١.

٤ ـ ـ سردينية: جزيرة على طرف من البحر الشامي وهي كبيرة القطر كثيرة الجبال قليلة الماء طولها مائة وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً...وهذه الجزيرة على بعد سبعة أميال ونصف من كورسكا ومساحتها الإجمالية ٩١٨٧ ميلاً مربعًا. * انظر الحميري: الروض ص٣١٤. * دائرة المعارف الإسلامية ١١:٣٥٥. مادة سردانية.

٥ ـ ابن الأثير الكامل ٤:٢٢٢.

ثم أرسل حبيب بن عبد الرحمن الفهري في البحر إلى صقلية[١] وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب، فلما نزل بأرضها وجه ابنه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد إلا هزمه عبد الرحمن، وظفر ظفراً لم يرَ مثله[٢] ومضى حتى نزل "سرقوسة"[٣]، وسرقوسة هي أعظم مدائن صقلية فقاتله أهلها. فهزمهم حتى ضرب بابها بالسيف فأثر فيه، فهابه النصارى وصالحوه على الجزية[٤].

وبدأت أوضاع البلاد تتغير على ابن الحبحاب بعد أن أساء عماله في المغرب السيرة مع البربر، وكان أشد هؤلاء العمال ظلماً واستبداداً عامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي، فقد أراد أن يُخَمِّس البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين، وذلك مالم يرتكبه والٍ قبله وإنما كان الولاة يخمِّسون من لم يجب منهم إلى الإسلام، وليس من أسلم، فكان فعله الذميم هذا سبباً لانتقاض البلاد ووقوع الفتن والثورات فيها، فقد تحين البربر فرصة خروج حبيب بن أبي عبيدة إلى بلد الروم سنة ١٢٢هـ فانتفضوا على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة وعظم البلاء في البلاد

---

١ ـ صقلية: جزيرة هامة من جزائر بحر المغرب مقابلة أفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى سبعة أيام... وأفريقية بينها وبين المغرب والقبلة... وبين الجزيرة وبر أفريقية مائة وأربعون ميلاً إلى أقرب مواضع أفريقية وهو الموضع المسمى إقليبية، وهو يومان بالريح الطيبة أو أقل. * انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣:٤١٦.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٠٩.

٣ ـ سرقوسة: هي مدينة بينها وبين جزيرة صقلية مجاز لطيف وهي كبيرة عليها ثلاثة أسوار. انظر الحميري: الروض المعطار ص٣١٧-٣١٨.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢.

بأسرها(١).

ومما ساعد على قيام الثورة ضد ابن الحبحاب مايذكر من تعسف ابن الحبحاب نفسه الذي اتخذ سياسة إرضاء الخلفاء الأمويين بعد أن منّاهم بالكثير وتكلّف لهم أوكلفوه أكثر مماكان في مقدوره، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة(٢).

وممايذكر من أمره "أن الخليفة هشام بن عبد الملك كان يستحب طرائف المغرب ويكتب إلى عامله ابن الحبحاب أن يرسل إليه جلود الخرفان العسلية، التي تسلخ من جلود سخال الضأن عند ولادتها، أي قبل أن تصبح خشنة بنمو الخراف، فيصنعون منها الجباب الصوفية الناعمة، وكان الخليفة يؤثر اللون العسلي ويطلب من عامله أن يأتيه بها عسلية اللون غير مصبوغة ، ولما كان من العسير للغاية التوصل إلى خراف وليدة بهذا اللون العسلي، فقد عمد العامل إلى النعاج الحاملة، فيأمر ببقر بطونها واستخراج أجنتها بحثًا عن هذه الجلود العسلية.

ويذكر صاحب أخبار مجموعة أنه كانت تذبح مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلد واحد(٣).

وكان من الطبيعي أن يتعذب صاحب قطيع الغنم إذ يرى غنمه تهلك بالذبح لاتخاذ الجلودالعسلية من سخالها ويعز عليه ضياع ماله بهذه

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٠٩. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٢. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٥٩.

٢ ـ ابن عذارى: المصدر السابق ١:٥٣.

٣ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٣٧. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢١٣.

الكيفية الوحشية، ولايستطيع أن يفعل شيئًا أمام هذا الظلم والاستبداد[١]. وأرى في هذا مبالغة مدسوسة على ابن الحبحاب وعلى الخليفة هشام. ومما بولغ فيه أيضًا مايذكر من أن سبب ثورة البربر سياسة القمع العنصرية التي التزم بها ابن الحبحاب واسلافه من الولاة المتزمتين. فكانت المحرك المباشر لثورة البربر[٢].

وفي هذه الظروف الصعبة لأحوال البلاد التي يحاول البعض التحدث عنها وجد دعاة الخوارج من العرب في بلاد المغرب أرضًا خصبة لغرس تعاليمهم القائمة على المساواة بين المسلمين والدعوة إلى الثورة على الظلم وقد اختلف البربر في مدى تقبلهم لهذه التعاليم، فبربر القسم الشمالي من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط تقبلوا المذهب الإباضي المعتدل بينما اعتنق بربر القسم الجنوبي من المغرب الأقصى في المناطق الجبلية الممتدة من السوس الأدنى[٣] إلى جبال درن[٤] مذهب الصفرية المتطرف[٥] فكانت طنجة بموقعها المتطرف وكذلك إقليم السوس في المغرب الأقصى، ملتقى الناقمين على السلطة وتجمع دعاة الخوارج الذين تمكنوا من التحرك في ظروف أفضل من ظروف المغرب الأوسط

---

١ ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ٢١٣.

٢ ـ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا ص١٠٧.

٣ ـ السوس الأدنى: تقع خلف طنجة وهي من القيروان على ألف ميل ومائة وخمسين ميلاً، وأهلها بربر، وخلف السوس الأدنى السوس الأقصى وبينهما مسيرة نيف وعشرين يومًا. ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص٨٩.

٤ ـ جبال درن: دَرَنُ بالتحريك، جبل من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢:٤٥٢.

٥ ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ٢١٥.

حيث المراقبة شديدة وسلطة الوالي هناك قوية.[1]

وكذلك تقبل البربر البتر تعاليم دعاة الخوارج التي بثوها فيهم وحرّضوهم على الثورة ورغم ذلك لم يشرع البربر في إعلان ثورتهم على العرب إلا بعد أن ييئسوا من الإصلاح، ويبدو أن دعاة الخوارج بذلوا جهداً كبيراً في إقناع البربر المسلمين على الوثوب بالعرب المسلمين. ولكن البربر آثروا إبلاغ أولي الأمر من الخلفاء عن مساوىء عمالهم في المغرب[2] وقالوا: «إنّا لانخالف الأئمة بماتجني العمال، ولانحمل ذلك عليهم، فقال لهم [أي الخوارج من العرب] إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا لهم: لانقبل ذلك حتى نبورهم[3]، فخرج ميسرة في بضعة عشر إنسانًا حتى قدم على هشام، فطلبوا الإذن فصعب عليهم، فأتوا الأبرشي فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال هم أحق به، فقلنا: هو أخلص لجهادنا لأنّا لا نأخذ منه شيئًا، إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا نرِده. وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قالوا: تقدموا وأخَّرَ جنده، فقلنا: تقدموا؛ فأن فيه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم. ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ماأيسر هذا لأمير المؤمنين! فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك. ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولاسنة، ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم

---

١ - إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا ص١٠٨.

٢ - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ٢١٧.

٣ - نبورهم : نختبرهم.

أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قال: نفعل، فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع، ودفعوها إلى الوزراء، وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقية،فخرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية، فبلغ هشاماً الخبر، وسأل عن النفر، فرفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ماصنعوا»[١].

وعاد البربر إلى المغرب بعد أن فشلوا في إيجاد الحل مع الخليفة إزاء شكواهم فعزموا على الثورة وقدموا عليهم ميسرة المدغري نسبة إلى قبيلة مدغرة[٢] ويذكره ابن عبد الحكم بأنه ميسرة الفقير البربري[٣]، ويذكر ابن الأثير بأنه ميسرة السّقاء[٤]، ويذكره ابن عذارى بأنه ميسرة المدغري الذي اشتهر بميسرة الحقير[٥] وتزعم ميسرة هذه الثورة من البربر والخوارج وربما أن إقامة ميسرة في دمشق عندما ذهب لعرض شكواه على الخليفة كان لها أثرها في زيادة تعرفه على مبادىء الخوارج ففي ذلك الوقت انتشرت في المشرق فرقة من الخوارج عرفت بالصفرية نسبة إلى مؤسسها زياد بن الأصفر، وكانت هذه الفرقة تميل إلى الاعتدال في مذهب الخوارج عن فرقة الأزارقة المتطرفة. وعلى

---

١ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤:٢٥٤-٢٥٥.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٠٩.

٣ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٢.

مبادىء الصفرية قامت ثورة ميسرة[١] وقصد ميسرة وجماعته بلاد طنجة حيث عاملها المستبد عمر بن عبد الله المرادي فقاتلهم عمر فقتلوه واستولوا على طنجة وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين وكثر جمعه من البربر وقوي أمره بنواحي طنجة[٢] وكان ذلك في سنة ١٢٢هـ وهي أول فتنة بإفريقية في الإسلام[٣] وبعد أن تغلب ميسرة على طنجة استخلف عليها عبد الأعلى بن حديج وزحف هو إلى اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب والي السوس، فقتله[٤].

ارتاع والي القيروان لهذه الأخبار واستبد به الغضب الشديد على مقتل ابنه وأحد أعوانه ولم يكن في موقع يحسد عليه لأن قسماً كبيراً من الجيش كان يقوم بمهمة حربية في البحر المتوسط، ولأن ماتبقى من قواته في المغرب لاتستطيع وحدها المجابهة مع قوات ميسرة الكثيفة[٥] فلما بلغ عبيد الله بن الحبحاب قتل عامله وولده كتب إلى حبيب بن عبيدة الذي خرج لغزو صقلية يأمره بالرجوع لينضم إلى أهل إفريقية في مسيرهم إلى ميسرة ولأن الأوضاع لاتسمح بالانتظار لحين عودة حبيب فولى ابن الحبحاب خالد ابن أبي حبيب الفهري على جيش

---

١ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٢٨٧.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢.

٣ ـ النويرى: نهاية الأرب ٢٤:٥٩.

٤ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٢.

٥ ـ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا ص١١٠.

إفريقية وفيه أشراف أهل البلاد ووجوههم[١] من قريش وأنصار وغيرهم[٢].

وسار هذا الجيش إلى لقاء ميسرة. ولما وصل حبيب بن أبي عبيدة من صقلية أرسله ابن الحبحاب في أثر خالد[٣]،وقد سارخالد حتى عبر وادي شلف، وهو نهر في أرض البربر على مقربة من تيهرت، ولحقه حبيب بن أبي عبيدة فنزل على وادي شلف فأقام ولم يبرح. ومضى خالد ابن أبي حبيب من فوره حتى لقي ميسرة بمقربة من طنجة فكانت معركة بينهم حامية الوطيس، اشتد فيها القتال بين الطرفين ولم تنته هذه المعركةبنتيجة لصالح أي من الطرفين، ومن ثم انصرف ميسرة إلى طنجة[٤] وأنكرت عليه البربر سوء سيرته، وتغيره عما كانوا بايعوه فقتلوه وولوا أمرهم عبد الملك بن قطن المحاربي[٥] بينما تجمع المصادر الأخرى على أن البربر ولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي بعد أن قتلوا ميسرة[٦] وفي تلك الأثناء واصل خالد بن أبي حبيب تقدمه في اتجاه طنجة، واشتبك مع البربر بالقرب منها فكان بينهم قتال شديد[٧].

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٣. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٢٨٩.

٢ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٢. * ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٣.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١٠. * ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٣.

٥ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١١. * ابن الأثير: المصدر السابق ٤:٢٢٣. *ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٣. * النويرى: نهاية الأرب ٢٤:٦٠. * ابن خلدون: العبر ٤:١٨٩.

٧ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٢٩١.

وبينما خالد بن أبي حبيب مشغول بقتاله هذا مع البربر إذ غشيه خالد بن حميد الزناتي من خلفه في عسكر عظيم من البربر فانهزم العرب وكره خالد بن أبي حبيب أن يهرب، فألقى بنفسه هو وأصحابه إلى الموت أنفة من الفرار فقتل خالد بن أبي حبيب ومن معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد، فقتل في تلك الوقعة حُماة العرب وفرسانها وكُماتها وأبطالها[١] لم ينج منهم أحد. فسميت تلك الغزوة غزوة الأشراف[٢].

وتغيرت أوضاع البلاد في المغرب الأقصى بعد هذه المعركة، فقد اضطربت البلاد واختلفت الأمور على عبيد الله بن الحبحاب[٣]. وبلغت هذه الانتفاضات إلى الأندلس حيث كان تأثرها بأوضاع بلاد المغرب، فثار فيها الناس على أميرهم عقبة بن الحجاج وعزلوه وولوا عليهم عبد الملك ابن قطن الفهري[٤] ولما رأي أهالي البلاد في المغرب ماآلت إليه أوضاعها من تدهور تجمعوا على واليهم عبيد الله بن الحبحاب وعزلوه عن أنفسهم[٥].

بلغت أخبار بلاد المغرب إلى أسماع الخليفة هشام بن عبد الملك، "وقال: أَقُتِلَ أولئك الرجال الذين كانوا يفدون علينا من المغرب أصحاب الغنائم؟" قيل: "نعم ياأمير المؤمنين" قال: "والله لأغضبن لهم غضبة

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٢٣:٤. * ابن عذارى: البيان المغرب ٥٤:١.

٢ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

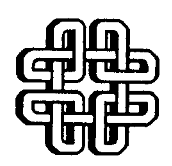
٣ ـ النويري: نهاية الأرب ٦٠:٢٤.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١١. * ابن الأثير: المصدر السابق.

٥ ـ النويري: المصدر السابق ٦٠:٢٤. * سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي ٢٩٢:١.

عربية، ولأبعثن جيشاً أوله عندهم وآخره عندي: ثم لاتركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أوتميمي. وكتب يستدعي عبيد الله بن الحبحاب في القدوم عليه"(١).

فقفل عبيد الله إلى الخليفة هشام في جمادى الأولى من سنة١٢٣هـ(٢).



١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١١. * النويري: نهاية الأرب ٢٤: ٦٠.

٢ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

ولاية كلثوم بن عياض إفريقية

هو كلثوم بن عياض القشيري من تابعي أهل الشام كان جليلاً نبيلاً فصيحًا له خطب ومواعظ[١].

وكان شيخًا كبيرًا[٢] "وكان كلثوم بطلاً صنديدًا وشجاعًا قويًا. وكان من قوّاد بني أمية العظام ومن رجالها المخلصين الذين تعتمد عليهم في النوائب وتتسلح بهم في الأزمات، وتستخدمهم في المضايق فيفرجونها. وكانت له شهرة حربية كبرى[٣]".

ولتلك الصفات التي اتصف بها وقع اختيار الخليفة هشام عليه فأرسله إلى إفريقية لإصلاح أوضاعها في جمادى الآخرة سنة ١٢٣هـ[٤].

وقد اهتم الخليفة هشام بتجهيز الجيش الذي أرسله مع كلثوم اهتمامًا كبيرًا، فقد "ندب أمير المؤمنين مع كلثوم الناس وجعل ولي عهده إن هلك ابن أخيه بلج بن بشر، فإن هلك بلج فثعلبة بن سلامة العاملي، وأخرج ثعلبة على جند أهل الأردن. وندب من أجناد الشام من كل جند ستة آلاف، ومن أهل قنسرين ثلاثة آلاف، فخرج من الشام في سبعة وعشرين ألفًا، ثم تحرك بجيشه، وقد أباح له الإباحات ووضع له الأطوياء، فأخرج كل شاب يرجى صبره وجلده، ثم أقبل إلى مصر فأخرج

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٥٤ هامش رقم (١).

٢ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٣٦.

٣ ـ محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٢:٢٦٥-٢٦٦.

٤ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

من أهلها ثلاثة آلاف، فتمَّ بعثه ثلاثين ألفًا من أهل الديوان سوى من تبعهم من الناس، وأمره أمير المؤمنين في عهده إليه أن يُطيع هارون القرني، مولى معاوية بن هشام، ومغيثًا مولى الوليد، لمعرفتهما بالبلد وكتب إلى عامل إفريقية: إن طاعتك إلى كلثوم بن عياض، فأخرج معه كل من قبِلَكَ من الأجناد وأهل التطوع.

وأقبل كلثوم حتى نزل إفريقية فخرج إليه منها فيما يقال، بشر كثير من أهل إفريقية، ومن كان معه من أهل طنجة من العرب، حتى تمَّ بعثه سبعين ألفًا، وجعل على رجَّالة إفريقية مُغيثًا، وجعل على خيلها هارون القرني".[1] ووصل كلثوم بكل هذا الجيش بعد أن انضم إليه أهل إفريقية ونزل في منطقة سبيبة على مسيرة يوم من القيروان[2]. واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري[3]، وهو إذ ذاك قاضي إفريقية[4] واستخلف على الحرب مسلمة بن سوادة القرشي[5]، ورغم كمال هذه الاستعدادات وزيادة عدد هذا الجيش العظيم إلا أن الانقسام دبَّ بين صفوفه وظهرت العصبية الشامية التي جعلت أهل الشام يزهون بعددهم وعتادهم وأن الخليفة أباح له الإباحات على أهل

---

١ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٣٦-٣٧.

٢ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨.

٣ ـ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢١٩.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١١٣. * محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٦٩.

٥ ـ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢١٨-٢١٩. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٢٢.

إفريقية والمغرب الذين حطمهم البربر في أكثر من موقعة، ولم يكن أهل إفريقية ليرضوا من أهل الشام بتلك المعاملة بعد جهادهم وحسن بلائهم(١).

وكان من مظاهر هذه العصبية والتكبر ماقاله بلج بن بشر لأهالي القيروان لما وصل إليها، قال: "ياأهل إفريقية، لاتغلقوا أبوابكم، حتى يعرف أهل الشام منازلهم"، "مع كلام يغيظهم به"(٢). فكتب أهل القيروان إلى قائدهم حبيب بن أبي عبيدة يُعَرِّفونه بمقالة بلج لهم، فغضب حبيب وكتب إلى كلثوم يشكوه من بلج ويهدد بانقلاب جيشه ضد كلثوم وأنه سيحاربه، فكتب كلثوم إلى حبيب يعتذر إليه ويأمره بأن يقيم في شلف حتى يقدم عليه(٣).

وتقدم بلج بن بشر مقدمة لجيش كلثوم على الخيل فوصل إلى حبيب عند وادي شلف ولكنه استهان بحبيب ورفض التعاون معه(٤)، ثم قَدِمَ كلثوم فتلقاه حبيب وتهاون كلثوم به أيضًا حتى قيل أنه خطب في الناس فطعن في حبيب وشتمه وأهل بيته(٥) وكان عبد الرحمن بن حبيب مع أبيه حبيب وكان حدث السن فغضب لما حصل لأبيه وصاح في الناس "السلاح السلاح" فمال أهل إفريقية إلى ناحية ومعهم أهل مصر، ومال أهل الشام إلى ناحية. وبذلك التفرق كادت أن تقع كارثة تؤدي

---

١ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي١:٢٩٤.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١٢.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٤.

٤ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٩.

٥ ـ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢١٩.

بالجيش لولا تدخل عقلائهم بينهم بالصلح حتى تمَّ، ولكن كان في هذا الاختلاف سبب هلاكهم[١].

وبعد أن اصطلحوا واجتمعوا على قتال البربر، ساروا إلى طنجة حيث كان البربر بجموعهم التي لايحصى عددها في موضع يقال له بقدورة[٢]. وعليهم خالد بن حميد الزناتي وكانوا عراة متجردين ليس عليهم إلا السراويلات، وهم على مذهب الخوارج الصفرية. فأشار حبيب ابن أبي عبيدة على كلثوم أن يقاتلهم الرجَّالة بالرجَّالة والخيل بالخيل، فلم يقبل مشورته[٣]. وقيل أن الذي أشار عليه هما هارون ومغيث حيث قالا له: "خندق أيها الأمير وتلوم بالكراديس[٤] وأعطنا الخيل نخالفهم إلى قراهم ودورهم فهمَّ بذلك ولكنه رجع وصاغ لمشورة ابن أخيه بلج حيث أشار عليه بمناشبة القتال جماعة مستهينًا بقلة أسلحة البربر[٥].

فخرج بلج على الخيل للقاء البربر وسرى ليله حتى واقعهم عند الصبح واستقبلوه عراة متجردين فحملت عليهم الخيل فصاحوا وولوا[٦] وجعل بلج يشدد عليهم بخيله فيستقبلونه بالجلود اليابسة فيها الحجارة، فتنفر خيل أهل الشام، وعمدوا إلى الرمك[٧] الصعبة فعلقوا في أذنابها القرب والأنطاع اليابسة ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم. فنفرت الخيل[٨]

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية. ص ١١٣. * ابن عذارى: البيان المغرب. ١:٥٥.
٢ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٣٧.
٣ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٢١٩.
٤ ـ تلوم: تلبث وانتظر. * الكراديس: الجماعات العظيمة من الخيل. من محقق كتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول ص٣٨.
٥ ـ مؤلف مجهول: المصدر السابق ص٣٨.
٦ ـ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٢٠.
٧ ـ الرمك: جمع رمكة وهي الفرس. محقق أخبار مجموعة ص٣٨.
٨ ـ مؤلف مجهول: المصدر السابق ص٣٨.

والتقت الرجالة بالرجالة فكان صبر وقتال.

وخالطت خيل البربر ورجالتهم كلثومًا وأصحابه فقتل كلثوم[١] وحبيب بن أبي عبيدة، وسليمان بن أبي المهاجر، ووجوه العرب، وانهزمت العرب، وكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس، وعبروا في المراكب، وهزيمة أهل مصر وأهل إفريقية إلى إفريقية[٢] وانهزم بلج بن بشر وثعلبة الجذامي وبقية من أهل الشام إلى الأندلس فاتبعهم أبويوسف الهواري وكان طاغية من طواغي البربر فأدركهم وقاتلهم فقتل أبويوسف وانهزم أصحابه ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس[٣].

وهكذا حلَّت الهزيمة بهذا الجيش العظيم الذي جاء في مهمة ولكن العصبية والاختلاف فيما بين أفراده أدى إلى انتصار البربر العُزَّلْ من السلاح إلا قليلاً، وكانت نتيجة معركة بقدورة هذه أن قتل ثلث الجيش وانهزم ثلثه وأُسِرَ ثلثه[٤]. وقتل كلثوم في سنة ١٢٣هـ وقيل سنة ١٢٤هـ[٥].

وبعد هذه المعركة تشجع البربر على الثورة فخرج عكاشة بن أيوب الفزاري على رأس مجموعة من الخوارج الصفرية بمدينة قابس[٦]

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٥.

٢ ـ النويرى: نهاية الأرب ٢٤:٦١.

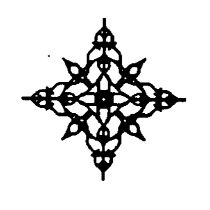
٣ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٢٢٠.

٤ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٣٩.

٥ ـ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٢٠.

٦ ـ قابس : تعد من بلاد الجريد، بينها وبين طرابلس ٨ أيام وهي مدينة كبيرة قديمة أزلية وعليها سور صخر من بناء الأول. انظر مؤلف مجهول: الاستبصار ص١١٢.

فسار إليه جيش من القيروان فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر القيروان. فخرج إليه عسكر آخر فانهزم عكاشة بعد قتال شديد وقتل كثير من أصحابه[١]. ولما بلغ هشام بن عبد الملك استشهاد كلثوم بن عياض وأصحابه، وهو في آخر حياته وكان شديد الاهتمام بقضية المغرب التي غدت شغله الشاغل فأعدَّ حملة جديدة انتقاها من المقاتلين الشجعان وأرسلها إلى إفريقية بقيادة حنظلة بن صفوان[٢].



١ - ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٣.

٢ - إبراهيم بيضون: الدولة العربية ص١١٣.

حنظلة بن صفوان الكلبي

أرسل هشام بن عبد الملك في صفر سنة ١٢٤هـ حنظلة بن صفوان عامله على مصر ليتولى أمر إفريقية[١]. وقيل سنة ١٢٣هـ[٢]. وقيل سنة ١١٩هـ[٣]. ولكن الأرجح أن قدوم حنظلة كان سنة ١٢٤هـ وذلك لأن ابن عبد الحكم ذكر هذا التاريخ وهو أقرب مصدر إلى الحدث، كما أن مقتل كلثوم بن عياض كان سنة ١٢٣هـ فالترتيب الزمني للأحداث يقتضي أن تكون ولاية حنظلة سنة ١٢٤هـ.

وقد جهز هشام حنظلة بجيش قوامه ثلاثون ألفًا على أن يخرج إلى إفريقية وينتظر المدد من الرجال والأموال ثم أمده بجيش فيه عشرون ألفًا[٤].

فلمّا قدم حنظلة إفريقية كتب إليه أهل الأندلس يسألونه أن يبعث إليهم واليًا فبعث إليهم أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي فسار في البحر من تونس إلى الأندلس،واليًا عليها، فلما قدمها أدى أهلها إليه الطاعة ودانت له وفرق جمع بلج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب وأخرج ثعلبة بن سلامة في سفينة إلى إفريقية وأخرج معه أهل الشام فكانوا بالقيروان مع حنظلة ثم أخرج بعده عبد الرحمن بن حبيب إلى إفريقية[٥]".

---

١ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص١٢١. * ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٣.

٢ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٤١.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٨. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٢.

٤ ـ مؤلف مجهول: المصدر السابق ص٤١.

٥ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٢٢١. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٨.

ولم يمكث حنظلة بالقيروان إلا يسيراً حتى زحف إليه عكاشة بن أيوب الفزاري الصفري الخارجي الذي جمع جموعه بعد انهزامه في قابس وقدم في جمع عظيم لم يرَ أهل إفريقية مثله قط ولاأكثر منه[١].

وزحف أيضًا إلى حنظلة عبد الواحد بن يزيد الهواري في عدد عظيم وكانا افترقا من الزاب[٢] فأخذ عكاشة على طريق مجّانة[٣]، فنزل القرن[٤]، وأخذ عبد الواحد بن يزيد على طريق الجبال فنزل طساس[٥]. وذكر النويري هذا المكان باسم طَبِنياس[٦]. ويذكر ابن عبد الحكم أن نزول عبد الواحد كان في مكان يقال له الأصنام بالقرب من القيروان[٧].

وكان على مقدمته أبوقرة المغيلي. فرأي حنظلة أن يُعجل قتال عكاشة، قبل أن يجتمع عليه عكاشةوعبد الواحد فزحف إلى عكاشة بجماعة أهل القيروان والتقوا في القرن، وكانت معركة قوية اشتد فيها

١ ـ ابن عبد الحكم: المصدر السابق ٢٢٢. * الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١٥.

٢ ـ الزاب: كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطنة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣:١٢٤.

٣ ـ مجّانة: من القيروان إلى مدينة يقال لها مجّانة أربع مراحل، وبهذا المدينة معادن الفضة والحديد ... انظر اليعقوبي: البلدان ص٣٤٩.

٤ ـ القرن: قرن جبل بإفريقية له ذكر في الفتوح. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤:٣٣٣.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١١٦.

٦ ـ النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٢.٧٤٨

٧ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٢٢٢.

القتال حتى هزم الله عكاشة ومن معه، وقتل من البربر مالايحصى كثرة[١]. وعاد حنظلة بعد هذا الانتصار الذي حققه في موقعة القرن إلى القيروان خوفًا عليها من عبد الواحد، وجهز جيشًا عدته أربعين ألفًا خرج للقاء عبد الواحد وعاد إلى القيروان. فتقوى عبد الواحد وسار حتى نزل على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالأصنام وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل، فأعد حنظلة جنده وحشد كل من في القيروان وفرّق عليهم السلاح والمال فكثر جمعه وكان للعلماء دور بارز في حث الناس على الجهاد وقتال الخوارج الذين يستحلون سبي النساء والأطفال.

وكان للنساء دور كبير في تحريض الرجال على الثبات والقتال فحمي الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة، ودارت معركة عظيمة احتدم فيه القتال وصبر الفريقان إلى أن قدّر الله هزيمة الخوارج وكثر القتل في البربر حتى قيل انهم بلغوا مائة ألف وثمانين ألف وقتل فيها عبد الواحد وحُمِلَ رأسه إلى حنظلة. وكتب حنظلة إلى هشام بن عبد الملك بهذا الفتح والنصر في موقعتي القرن والأصنام العظيمتين[٢].

وقد سُرَّ الخليفة هشام بهذا النصر سرورًا عظيمًا. وكان الليث ابن سعد[٣] يقول: "مامن غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلى من غزوة القرن والأصنام[٤]".

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٨.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٢٣-٢٢٤. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٣.

٣ ـ هو إمام أهل مصر حديثًا وفقها. ولد بقلقشندة سنة ٩٤هـ ومات بالقاهرة سنة ١٧٥هـ وقال الإمام الشافعي عنه: الليث أفقه من مالك، وله مؤلفات. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٣ هامش رقم ٥.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٩.

وتوفي الخليفة هشام في شعبان سنة ١٢٥هـ[١].

ولاشكّ أن حنظلة قد حفظ بحسن قيادته القيروان من هذه الثورة العاتية وتلك الأعداد الهائلة التي كانت تريد اجتياحها والقضاء على سلطة الأمويين فيها[٢].

وبانتصار العرب المسلمين في القيروان ومقتل قادة البربر في المغرب، انتهت تلك الثورة الدامية بعد سنوات ثلاث من المعارك الطاحنة وعاد المغرب بكامله إلى دائرة النفوذ الأموي[٣].



---

١ ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٤٢.

٢ ـ محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٧١.

٣ ـ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا ص١١٤.

ظهور عبد الرحمن الفهري
وتغلبه على ولاية إفريقيـة

ينسب عبد الرحمن الفهري إلى بني الحارث بن فهر بن مالك. فكان من ولد الحارث بن فهر: الظرب بن الحارث ومن ولد الظرب بن الحارث: أمية ومن ولد أمية بن الظرب: نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر، ومن ولد نافع: عقبة بن نافع الذي بنى قيروان إفريقية، فولد عقبة بن نافع: أبوعبيدة فولد أبو عبيدة حبيب، وعبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة، ونافع بن أبي عبيدة، ومن ولد حبيب: عبد الرحمن، ولي إفريقيـة، وإلياس، وعبد الوارث. ولهم بإفريقية عقب كثير، ومن ولد عبد الرحمن بن أبي عبيدة: يوسف، ولي الأندلس وله بها عقب، وبالأندلس من بني فهر عدد عظيم(١).

فهو عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري(٢)، فجد والد عبد الرحمن هو عقبة بن نافع الذي افتتح المغرب الأقصى وكان واليًا على المغرب، ولما استشهد بالزاب بقي بنوه بها فكانت لهم وجاهة معروفة بين أهله لمكانة أبيهم عقبة في الجهاد وفتح بلاد المغرب واختطاطه مدينة القيروان مقر الإمارة فحظيت الأسرة الفهرية بمكانة خاصة زيادة على شرف القرشية وعز الفهرية(٣). وكان استقرار

---

١ ـ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص١٧٦-١٧٧-١٧٨.

٢ ـ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص٦ هامش ٣. * حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس. ص٦٧.

٣ ـ الناصري: الاستقصاء ١:١١٦. * محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربي ١:٩٠-١١٢.

أفراد هذه الأسرة في المغرب كبيراً لدرجة أنهم اعتبروا أنفسهم مغاربة بحكم الاستيطان، ولهذا عرفوا من العرب البلديين أي أصحاب البلاد[١].

فنشأ عبد الرحمن الفهري من عرب إفريقية وكان واسع المطامع عظيم النشاط[٢] فاجتمع لعبد الرحمن من المقومات عاملان عامل الأسرة متمثلاً في تاريخها ومكانتها في النفوس بالإضافة إلى استعداده الشخصي لشؤون الحكم والقيادة. ومما شجع عبد الرحمن على السعي للإمارة والقيادة ماتمَّ بعد هزيمة جيش كلثوم بن عياض من الخوارج ومقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة والد عبد الرحمن سنة ١٢٢هـ فهرب عبد الرحمن إلى الأندلس[٣]. وحاول أن يتغلب عليها وأخذ يتحين الفرصة لذلك إلا أنه عندما تولى حنظلة بن صفوان على إفريقية وكتب إليه أهل الأندلس بأن يبعث إليهم والياً عليهم أرسل إليهم أبا الخطار والياً، فباءت محاولات عبد الرحمن بالفشل وخشي على نفسه، وخرج مستتراً، وركب البحر إلى تونس[٤] حيث نزل بتونس سنة ١٢٦هـ[٥] وقيل: إن نزوله بتونس كان في جمادى الأول سنة ١٢٧[٦]. والرأي الأول أرجح.

١ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٦ هامش٣.

٢ ـ أحمد إبراهيم الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس الأول ص٤٣.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٨.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٠.

٥ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢٢٣. * ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٨. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٠. * الناصري: الاستقصاء ١:١١٦.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٢٣. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٠. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٤. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١١٤. *محمد الباجي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية ص١٥.

وخلال تلك الفترة وعقب وفاة الخليفة الأموي هشام وتولي الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الخلافة بالشام(١) انتهز عبد الرحمن الفرصة وجمع أنصاره في تونس وخرج لقتال حنظلة بن صفوان حتى يخرجه من إفريقية، فلما بلغ ذلك حنظلة أرسل وجوه إفريقية إلى عبد الرحمن وكانوا خمسين رجلاً للتفاوض معه سلمًا، فساروا إليه وأثناء الطريق بلغهم تولي مروان بن محمد الخلافة، فأرادوا الرجوع، إلا أن عبد الرحمن أرسل إليهم جماعة من فرسانه فقبضوا عليهم وساقوهم إليه في تونس(٢).

وتشير الروايات إلى سوء معاملة ابن حبيب لهذا الوفد فقد أوثقهم بالحديد وأقبل بهم إلى القيروان وقال: "إن رماني أحد أوليائهم بحجر قتلتهم" فبلغ ذلك من الناس كل مبلغ(٣) وكره حنظلة أن يعرِّض وجوه القوم وأشرافهم للقتل كما كره قتال المسلمين فقد كان ذا ورع ودين(٤) فدعى القاضي وجماعة من أهل الفضل والعدل وفتح بيت المال بحضرتهم، وأخذ منه ألف دينار وترك الباقي، وقال: "لاأتلبس منه إلا بقدر ما يكفيني ويبلغني"(٥) وخرج حنظلة إلى الشام(٦) وكان خروجه في

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٨. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٠.

٢ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢٢٣. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣١٥.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٢٤. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٤.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٠. * إبراهيم الدوري: عبد الرحمن الداخل في الأندلس ص٣٦.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٠.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٩.

جمادى الأولى سنة ١٢٧هـ[١]. وقيل توفي في جمادى الآخرة من نفس السنة[٢] ومن المؤرخين من ذكر هذه السنة دون تحديد الشهر[٣] وانفرد ابن عذارى بذكر أن خروجه كان في جمادى الأولى سنة ١٢٩هـ[٤]. وأرى أن الرأي الراجح في خروج حنظلة من إفريقية كان في سنة ١٢٧هـ . وفقًا للترتيب الزمني للأحداث.

وقد دخل عبد الرحمن بن حبيب القيروان وأصدر أمره بمنع الناس من وداع حنظلة فرجع كل إلى مكانه خوفًا من عبد الرحمن[٥] فدعا حنظلة على أهل إفريقية وعلى عبد الرحمن وكان مستجاب الدعوة[٦] فقال: "اللهم لاتُهنِّ عبد الرحمن بن حبيب هذا الملك ولاأهله، واسفك دماءهم بأيديهم، وابعث عليهم شرار خلقك، ودعا على أهل إفريقية فوقع الوباء والطاعون بها سبع سنين لايكاد يرتفع إلا وقتًا في الشتاء ووقتًا في الصيف[٧].

وذكر الرقيق أن اثنين من أعيان القيروان خرجا خلف حنظلة

---

١ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢٢٤.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٢٤. * النويري: نهاية الأرب ٦٥:٢٤.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٧٩:٤. * ابن خلدون: العبر ١٩٠:٤. * الناصري: الاستقصاء ١١٧:١.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٦٠:١.

٥ ـ ابن عذارى: المصدر السابق.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٧٩:٤.

٧ ـ النويري: نهاية الأرب ٦٤:٢٤.

لوداعه رغم تحذير عبد الرحمن وهما: عبد العزيز بن قيس عم أبي محرز القاضي، والثاني هو عمر بن غانم. فتقابلا في الطريق وسارا حتى لحقا حنظلة فراعه وقع حوافر دوابهما، وظن أن عبد الرحمن لاحق به فلما وصلا إليه سُرَّ بهما، وشكرهما، فلما أرادا أن يصحباه رفض ذلك حماية لأهلهما من بطش عبد الرحمن فودعاه وانصرفا إلى القيروان، فبلغ عبد الرحمن ذلك فبعث إليهما وقال: " خالفتما أمري وارتكبتما نهي " إلا أنهما أظهرا أن ذلك ردٌّ على صنيع حنظلة معهما، فعفا عنهما، ورغب في وفائهما، فسألاه أن يقرهما على ماكان أقرهم عليه حنظلة سابقًا، فعين عمر بن غانم حاجبًا له، وعبد العزيز بن قيس على شرطته.[1]

وأسرع عبد الرحمن فكسب ودَّ الخلافة الأموية في عهد مروان بن محمد وبعث إليهم بالهدايا[2]. مما جعل مروان يقره على ولاية إفريقية[3].

وتميز عهد عبد الرحمن في إفريقية بكثرة الثورات التي استطاع إخمادها، وعندما زالت الدولة الأموية وقامت الخلافة العباسية سارع عبد الرحمن لإعلان ولائه لبني العباس[4] فأقرَّه الخليفة أبوالعباس السفاح في ولايته على المغرب[5].

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٢٤-١٢٥.

٢ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٣. * محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول القسم الأول ص١٣٠.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١: ٦٠. * ابن خلدون: العبر ٤: ١٩٠. * محمد بركات البيلي: في تاريخ المغرب والأندلس ص٣٦.

٤ ـ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول القسم الأول ص١٣٠. *إبراهيم الدوري: عبد الرحمن الداخل في الأندلس ص٣٦.

٥ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١١٩.

الفصل الأول

الفصل الأول

بنو فهر والأحداث السياسية في عهدهم

١ ـ ثورات المغرب وموقف عبد الرحمن منها.

٢ ـ قيام الخلافة العباسية وعلاقة الفهريين بها.

٣ ـ الصراع بين الأسرة الفهرية في المغرب.

١ ـ ثورات المغرب وموقف عبد الرحمن منها وفتوحاته

ما أن استتب الأمر لعبد الرحمن بن حبيب عقب رحيل حنظلة بن صفوان، ظانًا أن الزمن قد صفا له حتى داهم وباء الطاعون المغرب على مدى سبع سنوات لم يفارقه فيها سوى فترات قصيرة، وصاحب ذلك اشتداد حركات البربر والعرب والخوارج من كل جانب. فثار عروة بن الوليد الصدفي وقام بالإستيلاء على تونس. كما ثار عرب الساحل وابن عطاف الأزدي في طبنياس[١]. والبربر في الجبال، وثابت الصنهاجي في باجة[٢].

لجأ عبد الرحمن إلى الحيلة للتخلص من الثوار فأرسل أخاه إلياس على رأس ستمائة فارس: وأمرهم بانتظار أوامره بقدوم رسول من عنده يأتيه بكتاب له، في مكان حدده له بعد اجتياز معسكر ابن عطاف تمويهًا للثائر. ثم بعث عبد الرحمن بأحد رجاله إلى معسكر ابن عطاف لمراقبة أحوال الثائرين انتظاراً للحظة المناسبة للإنقضاض عليهم وأمره أن لايغادرهم حتى يتأكد أنهم أغمدوا أسلحتهم ولن يخرجوا للقاء جيش إلياس. نجحت حيلة عبد الرحمن وظن ابن عطاف أن حملة إلياس متوجهة إلى تونس فقال عنها:

لقد وقعت بين فكّي الأسد، فهو من جانب وعروة في تونس من

---

١ ـ اختلفت الروايات في الإسم والمكان فقيل: أبوعطاف الأسدي (الأزدي) ونزل في طساس. انظر الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية ص١٢٦. وقيل أبوعطاف عمران ابن عطاف الأزدي في طيفاس. انظر ابن خلدون: العبر ٤:١٩٠.

٢ ـ باجة: بلد بأفريقية تعرف بباجة القمح وسميت بذلك لكثر حنطتها بينها وبين تونس يومان... وهي كثيرة الأنهار. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ١:٣١٤.

جانب. وأصبح خبر انتهائها أمرًا مؤكدًا، وألقى القوم أسلحتهم واستراحوا فتحرك رسول عبد الرحمن إلى إلياس بكتاب عبد الرحمن فإذا فيه:

إذا وصلك رسولي "... فإن القوم قد أمنوك فسر إليهم وهم في غفلتهم"[1]. فسار إلياس إليهم وداهمهم سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م وقضى عليهم[2].

بعث إلياس إلى أخيه عبد الرحمن يعلمه بنجاح الخطة والقضاء على ابن عطاف وتشير رواية الرقيق القيرواني إلى ذلك "... إن عبد الرحمن أصبح على كدية الجلود ينتظر، حتى طلعت عليه الشمس، إذ قيل له: هذا فارس قد أقبل وتجاب. قال: هل ترى غيره؟ قال لا.. قال: "فهذا بريد، وهو الفتح[3] "... فأقبل الرسول ورمى برأس ابن عطاف بين يديه.

بعد ذلك تهيأ عبد الرحمن للقضاء على ثورة عروة في تونس فأصدر أمره إلى أخيه إلياس بالتوجه إليهم قائلاً له: "... أنهم إذا رأوك ظنوك أباعطاف فأمنوك فظفرت بهم...[4] ".فسار إلياس إلى تونس للقضاء على عروة، ووزع جنده ثلاث فرق سلكت إحداها طريق الجزيرة[5]. والأخرى طريق باجة، بينما سلك إلياس على رأس مائتين من رجاله

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٩.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٤:.١٩٠.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب ص١٢٧.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٩.

٥ ـ طريق الجزيرة: في قبلي تونس من أفريقية وأم أقاليمها مدينة باشو. انظر الحميري: الروض المعطار ص ١٦٥، وهي التي تسمى اليوم الرأس الطيب.

طريق القيروان. ويبدو أن أنباء سيره بلغت رجال عروة فقيل لعروة: أصلح الله الأمير: خيل على طريق الجزيرة، فقال: هؤلاء أهل الجزيرة جاؤوا مدداً لنا؛ فقالوا: خيل على طريق باجة. قال: ابن قويدر جاء مدداً لنا. قالوا: خيل على طريق القيروان. فعندها أيقن بأنهم أعداؤه. فبادر إلى الخروج إليهم من حمّامه وركب جواده بدون سلاح، فأدركه إلياس منادياً إياه، فالتقى الإثنان في عراك واستطاع أحد رجال إلياس قتله برمح غرسه في ظهره وقطع رأسه وحمله إلى عبد الرحمن(١).

ثورة الإباضية في طرابلس

وفي سنة ١٢٩هـ قتل عبد الله بن مسعود التجيبي أحد زعماء الخوارج الإباضية(٢). قامت هذه الثورة في طرابلس(٣). وعن أسباب اشتعال هذه الثورة تشير رواية ابن خياط إلى ذلك قائلة: "تحركت الإباضية بالمغرب فوثب عبد الرحمن بن حبيب الفهري على رأسهم وقبض على سعد بن مسعود فقتله وصلبه(٤)".

وقيل: " ... بعث عبد الرحمن بن حبيب أخاه إلياس ... عاملاً على

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية ص ١٢٧.

٢ ـ الإباضية: هي إحدى فرق الخوارج وهم أتباع عبد الله بن أباض الذي قام بنشر مبادئه في أواخر القرن الأول الهجري في خلافة عبد الملك بن مروان ولقيت دعوته تلك قبولاً وانتشاراً إذ كانوا لايكفرون مخالفيهم بل أجازوا الاختلاط بهم، ونسب إلى سلامة بن سعيد نشر هذا المذهب في المغرب. انظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١: ٣١٨-٣١٩.

٣ ـ طرابلس: من مدن أفريقية، وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر. انظر الحميري: الروض المعطار ص ٣٨٩.

٤ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص ٣٨٩.

طرابلس فأخذ عبد الله بن مسعود التجيبي وكان إباضياً ورئيساً فيهم فضرب عنقه[١]".

فالنص الأول يشير إلى أن قاتله هو عبد الرحمن بينما يشير النص الثاني إلى أخيه إلياس. وأغلب الظن أن قتله تمّ على يد إلياس عقب توليه حكم طرابلس حيث انه اليد المنفذة لأوامر أخيه عبد الرحمن الأمر الذي أدى إلى اشتعال ثورة الإباضية هناك بزعامة عبد الجبار بن معن[٢] والحارث بن تليد الحضرمي[٣]، وعمد عبد الرحمن بن حبيب إلى الحنكة والدهاء السياسي في قمع هذه الثورة فقام في البداية بعزل أخيه إلياس عن طرابلس وولاها لحميد بن عبد الله العكي[٤]. وعلى الرغم من ذلك ازدادت حدة الثوار وعمدوا إلى محاصرة الوالي الجديد في بعض القرى واضطر الوالي إلى التفاوض مع الثوار عندما تفشى المرض بين عساكره. فكان الاتفاق بينهم يقضي بخروجه بأمان مع عساكره من طرابلس، ولكن الإباضية عمدوا إلى احتجاز أحد معاونيه وهو نصير بن راشد الأنصاري وأصدر عبد الجبار بن قيس الأمر بقتله لاتهامه بالتحريض على قتل ابن مسعود الإباضي. وازدادت حدة الثورة وفشلت جهود عبد الرحمن في الحد منها وتبع ذلك استيلاء عبد الجبار على أرض زناتة، وأسند عبد الرحمن ولاية طرابلس إلى يزيد بن صفوان المعافري في حين أرسل مجاهد بن مسلم الهواري لمنع قبائل هوارة من الإنضمام

---

١ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ٢٢٤.

٢ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص ٣٨٩ ـ هذا ويشير ابن عبد الحكم إلى أن اسمه عبد الجبار ابن قيس المرادي.

٣ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ٢٢٤.

٤ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١١٩.

للثوار ففشل في مهمته وعاد إلى طرابلس. فسيّر عبد الرحمن بن حبيب جيشًا للقضاء على الثوار وأسند قيادته إلى محمد بن مفروق وأصدر أمره إلى يزيد بن صفوان بالإنضمام إليه فالتقى القائدان مع الثوار في معركة شديدة كانت نتيجتها موت القائدين. فأرسل إليهم عبد الرحمن بن حبيب جيشًا آخر بقيادة عمر بن عثمان فكانت الهزيمة من نصيبه هو أيضًا وسيطر الإباضية على طرابلس ونواحيها[١].

أرسل عبد الرحمن بن حبيب مرة أخرى عمر بن عثمان وبرفقته مجاهد بن مسلم على رأس جيش كبير فسلك طريق (دغوغا أورغوغا)[٢] إلا أن الإباضية بقيادة الحارث بن تليد كانوا لهم بالمرصاد ففر عمر بن عثمان عقب إصابته ببعض الجراح تاركًا جيشه يواجه مصيره على يد الإباضية. ولكن لم يلبث أن دبّ الخلاف بين قائدي الإباضية وانتهى الأمر بمقتلهما[٣] وقيل بل قتلا بيد عبد الرحمن بن حبيب[٤].

تولى أمر الإباضية في طرابلس عقب ذلك اسماعيل بن زياد النفوسي وقام بالاستيلاء على قابس فتوجه عبد الرحمن بن حبيب نحو قابس وأرسل ابن عمه شعيب بن عثمان على رأس فرقة من الفرسان

---

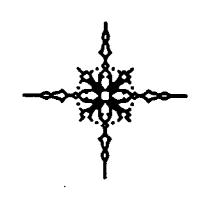
١ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٢٢٤.

٢ ـ دغوغا أو رغوغا: يذكرها ابن خرداذبة بأنها رغوغا وأنها في الطريق من برقة إلى المغرب. انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٥٨-٨٦.

٣ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ص ٣٢٢، هامش ٤١.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية ص ١٢٩.

لقتال الخوارج فاستطاع إلحاق الهزيمة بهم وقتل اسماعيل بن زياد[1]. دخل عبد الرحمن بن حبيب طرابلس وأعمل القتل في البربر والخوارج على نحو آثار الناس[2]، وامتحن كثير من الخلق ولم يسلم في المدينة سوى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[3]. وهكذا استطاع عبد الرحمن بن حبيب بحنكته ودهائه السيطرة الكاملة على تلك الثورات وأسهم في إقرار الأوضاع السياسية لتلك الفترة وعاد إلى طرابلس[4]. ويُذكر أنه بنى سورها سنة ١٣٢هـ[5].



---

١ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢٢٥. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٢٢.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦١.

٣ ـ تولى القضاء زمن عبد الرحمن بن حبيب وهو من أهل الفضل والعلم ومن أجلّ شيوخ أفريقية. * انظر الدباغ: معالم الإيمان ص٢٢٤.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب١:٦١. * أحمد إبراهيم الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس ص٤٤.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية ص١٢٩.

خروج زناتة بتلمسان

عقب استقرار الأوضاع السياسية بطرابلس وعودة عبد الرحمن ابن حبيب إلى القيروان سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. لم يطل مقامه بها إذ وصلته أنباء ثورة زناتة بتلمسان[١] والتي غدت قاعدة لتحركات الخوارج الصفرية[٢] إذ خرج في سنة١٢٩هـ/٧٤٦م أبوقرة الصفري فسيَّر إليه عبد الرحمن بن حبيب سليمان بن عثمان حيث التقى بأبي قرة في معركة اسفرت عن مقتل سليمان وعودة أبي قرة إلى تلمسان[٣]. وقيل إنه في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م التقى عبد الرحمن بن حبيب بالصقر بن أيوب الفزاري واستطاع هزيمة البربر وقتل الصقر بن أيوب، ثم تصدى عبد الرحمن لقتال سليمان بن ذراق المرهبي (الصفري) الذي لم يلبث أن انسحب دون لقاءابن حبيب[٤].وتشير أيضًا رواية ابن الأثير وابن خلدون أنه في سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م تمَّ غزو عبد الرحمن بن حبيب لتلمسان وإيقاعه بالبربر[٥].

كما اهتم عبد الرحمن بالمغرب الأقصى فعمل على إقامة سلسلة من الآبار تصل بين واحات إفريقية وبين أودغست في صحراء المغرب الأقصى فعبر جنوده الصحراء ونشروا الإسلام في ربوع صنهاجة[٦].

---

١ ـ مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وهي دار مملكة زناتة، على الطريق إلى سلجلماسة. * انظر مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٧٦.

٢ ـ عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٦٣.

٣ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٣٨٩. لم توضح هذه الرواية سبب عودة الثائر إلى تلمسان.

٤ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٣٩٥.

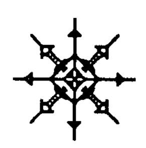
٥ ـ ابن الأثير: الكامل ص٢٧٩. * ابن خلدون: العبر ص١٩٠.

٦ ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص٦٨.

غزو عبد الرحمن بن حبيب جزيرة صقلية وسردينية.

وفي سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م أقدم عبد الرحمن بن حبيب على خطوة هامة أظهرت مدى قوته ومقدرته وهي غزو جزيرتي صقلية وسردينية. فاستطاع في صقلية الظفر بالكثير من الغنائم وفرض الجزية على أهلها، وفي سردينية اشتبك مع الروم وأوقع بهم وانتهت المعركة بعقد الصلح وقبول أهل سردينية دفع الجزية وعاد عبد الرحمن بن حبيب ظافراً إلى القيروان(١).

وهكذا استطاع عبد الرحمن بن حبيب بذكائه وحنكته وسعة حيلته إقرار الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى، والقضاء على حركات الثوار، ولم يقف طموحه عند هذا الحد بل عمد إلى غزو جزائر البحر المتوسط مستفيداً من أسطوله البحري الأمر الذي ألقى الرعب في قلوب أعدائه داخلياً وخارجياً فنعمت البلد بالهدوء والطمأنينة.



---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٩. * ابن خلدون العبر ٤:١٩٠. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١: ٣٢٥. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال أفريقيا ص١٦٣.

٢ ـ قيام الخلافة العباسية وعلاقة الفهريين بها

عاصر عبد الرحمن بن حبيب أواخر الدولة الأموية في المشرق ثم الدولة العباسية فكيف استطاع التعامل معهما؟

لقد تمتع عبد الرحمن بن حبيب بالحنكة والدهاء السياسي فحرص على كسب ود آخر خلفائها وهو مروان بن محمد[١] وبعث إليه بالهدايا فعهد إليه الخليفة الأموي بالولاية على إفريقية والمغرب والأندلس[٢].

وعقب القضاء على الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م التي قيل إن لقيامها علاقة بأحوال أفريقية فتشير رواية في هذا الصدد قائلة:

"... روى المدائني عن جماعة أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس قال: لنا ثلاثة أوقات: موت يزيد بن معاوية، ورأس المائة، وفتق بأفريقية فعند ذلك تدعو لنا دعاة، ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب"[٣]. رأى عبد الرحمن بن حبيب أن الحكمة إظهار الولاء للدولة العباسية فآتت تلك السياسة ثمارها حيث عهد إليه

---

١ ـ مروان بن محمد: هو أبوعبد الملك بن محمد بن مروان ابن الحكم، ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم وبالحمار لأنه كان لايجف له لبد في محاربة الخارجين عليه ومدة حكمه ١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م. * انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٧-٢٣٨.

٢ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٣.

٣ ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٩. # ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة. ص٣١٨.

السفاح[١] بولاية المغرب[٢].

لم تقف تلك السياسة حائلاً بينه وبين الود القديم مع بني أمية حيث قام بإكرام اللاجئين إليه منهم، عقب مقتل مروان بن محمد وتفرقهم في البلاد، بل تزوج منهم[٣] . وقد استمرت سياسة الولاء والطاعة من قبل عبد الرحمن بن حبيب للعباسيين ومأأن تولى أبوجعفر المنصور[٤] مقاليد السلطة حتى بادر بإقرار عبد الرحمن بن حبيب على أمور المغرب وسير إليه الخلع السود وهي شعار العباسيين. فكانت أول سواد دخل أفريقية[٥] وقد ردَّ عبد الرحمن على هدايا المنصور بهدايا منها بزاة[٦] وكلاب وشيء قليل من الذهب[٧] مع الاعتذار للخليفة العباسي عن ضآلة الهدية[٨] ويبدو أن عبد الرحمن لم يكن على قدر كبير من

---

١ ـ السفاح: هو أبوالعباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم(١٣٢-١٣٦هـ وهو أول خلفاء بني العباس وعرف بكثرة سفكه للدماء، انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٨-٢٤١.

٢ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ص٣٢٥.

٣ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص٣٥٧.

٤ ـ أبوجعفر المنصور: هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباسي ١٣٦-١٥٨هـ تولى الحكم عقب موت السفاح وله دور كبير في تاريخ الدولة العباسية. لقب بأبي الدوانيق لمحاسبته الكتاب والعمال على الدواتيق. *انظر ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ٤٨٨:١، ترجمة رقم ١٩٢.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٨٠:٤.

٦ ـ بزاة: جمع باز وهو الصقر المستخدم في الصي * انظر الباجي المسعودي: الخلاصة النقية ص١٦.

٧ ـ الناصري: الاستقصاء ١١٩:١.

٨ ـ ابن خلدون: العبر ١٩٠:٤.

اللباقة مع المنصور مما أثار غضب الخليفة العباسي عليه[١]. علم عبد الرحمن بن حبيب بموقف الخليفة العباسي منه فجمع الناس في المسجد وصعد المنبر وبعد خطبته فيهم أعلن خلع طاعة العباسيين[٢] . وقيل إن عبد الرحمن بن حبيب لما جمع الناس في المسجد خرج إليهم في مطرف خز ونعلان في رجله فصعد المنبر وعقب انتهاء خطبته شتم الخليفة العباسي وأعلن خلع طاعته قائلاً: "... وإني الأن خلعته كما خلعت نعلي هاذين" ثم دعا بالخلع السود التي بعثها المنصور إليه وحرقها. وأمر كاتبه خالد بن ربيعة بكتابة كتاب بخلع طاعة العباسيين وقراءته على الناس[٣].

وقد ذهب حسين مؤنس إلى اتهام عبد الرحمن بن حبيب بالأنانية والانتهازية وافتقاره إلى الملكات السياسية التي تؤهله لحكم بلاده[٤]، وللإجابة على ذلك أقول: إن الأمر على العكس من ذلك بل لقد تمتع عبد الرحمن بن حبيب بالخصال الطيبة التي مكّنته من إقرار الأوضاع السياسية في المغرب والقضاء على حركات الثوار والخوارج ولولم يكن مؤهلاً لذلك لما استطاع الاستمرار في مكان عرف بكثرة حركات البربر والخوارج فيه. ويضيف د. حسين مؤنس أن " عبد الرحمن هجم على الإمارة دون استعداد ... وانه لم يحاول أن يكتسب الشرعية عن طريق

---

١ ـ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية ص ١٦.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨٠. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٠. * أحمد الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس ص٤٤. * سيديو: تاريخ العرب ص٢٧٥.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص ١٣٤. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٧. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٦. * أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٦٤.

٤ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص٦٧.

الدخول في طاعة الدولة الجديدة وهي الدولة العباسية، وللرد على ذلك يجب أن أوضح أن عبد الرحمن لم يبادر الدولة العباسية بالعداء ولا الأذى بل بادرها بالود والصفاء وأعلن الطاعة لها. وماخلعه لطاعة أبي جعفر المنصور عقب استهانة الخليفة العباسي بهديته إلا حفاظًا على الاستقرار السياسي لبلاد المغرب.

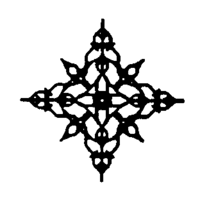
أخذ عبد الرحمن بن حبيب أهبته لمواجهة موقف الخلافة العباسية من بلاد المغرب عقب إعلانه خلع طاعتهم. وتشير رواية الكندي إلى أن تولية الخلافة العباسية لصالح بن علي سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م واليًا على مصر وفلسطين وإفريقية جمعوا له، ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين أبي العباس لغزو المغرب عليهم عامر بن إسماعيل[١]. ويذكر ابن تغري بردي أن صالح بن علي العباسي قدم مصر سنة ست وثلاثين ومائة بجيوش كثيرة من فلسطين لغزو بلاد المغرب وأسند قيادتها إلى أبي عون، وجهزت المراكب من إسكندرية إلى برقة إلا أن هذا الجيش اضطر إلى الرجوع بعد وفاة أمير المؤمنين عبد الله السفاح واستخلاف أبي جعفر المنصور فعاد إلى مصر[٢]. ولكن لماذا يرسل الخليفة أبوالعباس جيشًا إلى المغرب رغم أن عبد الرحمن أعلن ولاءه له وأقره أبو العباس فللرد على هذه الرواية أقول: إن هناك احتمالين لهذا إما أن مسير هذا الجيش إلى المغرب لمساعدة عبد الرحمن بن حبيب في إخضاع المغرب الأوسط والأقصى لسلطة العباسيين أوأن هذه الجيوش قد تكون مرسلة

---

١ ـ الكندي: كتاب الولاة والقضاة ص١٠٢. * وقد أشار لهذا الجيش علي حبيبة: مع المسلمين في الأندلس ص٥٨-٥٩.

٢ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١:٣٣١.

من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور وليس الخليفة أبو العباس لإعادة عبد الرحمن بن حبيب لطاعة العباسيين. وفيما يبدو من الأحداث السياسية فشل هذا الجيش وعاد إلى مقر الخلافة العباسية لمواجهة الاضطرابات المتمثلة في خروج بعض الثوار وخلعهم لطاعة الخليفة أبي جعفر المنصور[١].



---

١ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ص٣٢٦.

٣ ـ الصراع بين الأسرة الفهرية في المغرب.

كما أشرت سابقًا استطاع عبد الرحمن بن حبيب القضاء على الثورات التي قامت ضده في المغرب الأدنى وإقرار الأوضاع السياسية في البلاد ولكن مع الأسف فشل في إيجاد التعاون والتآلف بين أفراد الأسرة الفهرية. وكان من أسباب نشوب الصراع بين عبد الرحمن بن حبيب وأخيه إلياس أن هناك بعض أفراد من بني أمية الفارين إلى إفريقية وكان منهم العاصي وعبد المؤمن إبنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك. وإن إلياس تزوج من ابنة عمهما وقام عبد الرحمن بن حبيب بإكرامهم. وقد بلغت عبد الرحمن بن حبيب معلومات تفيد بإن العاصي وعبد المؤمن يسعيان للفساد[1]. فاحتال عبد الرحمن بن حبيب للتأكد ممابلغه من معلومات فاستطاع الاستماع لحديث العاصي وعبد المؤمن من مكان خفي في إحدى الليالي وهما يحتسيان الخمر فقال أحدهما: "أيظن عبد الرحمن أنه يبقى أميرًا معنا ونحن أولاد الخليفة"[2]. تأكد عبد الرحمن ماسمع عن سعيهما للملك والسلطان وأدرك في الحال خطورة الموقف وعزم على التخلص منهما. علم الشقيقان بموقف عبد الرحمن بن حبيب منهما فهربا ولكن تمكن ابن حبيب من إلقاء القبض عليهما وأمر بقتلهما الأمر الذي أثار ابنة عمهما زوجة إلياس فأخذت في تحريض زوجها ضد أخيه قائلة له: " قتل أختانك وأنت صاحب حربه وصاحب سيفه"[3]. ويبدو من خلال الأحداث أن عبد الرحمن بن حبيب رأى أن الفرصة سانحة لإقرار ولاية المغرب الأدنى لأولاده[4] فمهد لجعل ابنه

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٧٩.
٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦١.
٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٢.
٤ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١:٣٣٢.

حبيب الحاكم من بعده نظراً لما رآه من خطورة بقايا الأمويين اللاجئين إليه وخاصة زوجة أخيه إلياس. فحرص على إسناد كل فتح أونجاح لابنه حبيب في مراسلاته للخلفاء. فأحسنت زوجة إلياس استغلال ماسبق في إثارة الأخ ضد أخيه حتى عزم إلياس على التخلص من عبد الرحمن لينفرد بحكم المغرب. واشترك معه في تلك المؤامرة شقيقه عبد الوارث وبعض من العرب وأهل القيروان[١]. وقد اتخذت مؤامرة قتل عبد الرحمن بن حبيب شعار إعادة المغرب الأدنى لطاعة العباسيين والتخلص من الخارجين عليها[٢]. وبلغت أنباء تلك المؤامرة مسامع عبد الرحمن بن حبيب، فعزم على إبعاد أخيه إلياس فأصدر أمره إليه بالمسير إلى تونس ودخل إلياس وشقيقه عبد الوارث[٣] عقب صلاة العشاء[٤] إلى عبد الرحمن لوداعه وجلسا معه قليلاً ثم قام إلياس وعانق شقيقه واستل سكينه وغرسها بين كتفي عبد الرحمن حتى بلغت صدره ثم ضربه بالسيف، وخرج هارباً، فلقيه أصحابه سائلين عما تمَّ في الأمر فأخبرهم بقتله. فطلبوا إحضار رأسه ففعل[٥] وكان ذلك سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م[٦]، وقيل بل قتل سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م[٧]، حاول إلياس الظفر بحبيب ابن أخيه

---

١ - النويري: نهاية الارب ٢٤:٦٧-٦٨.

٢ - الباجي المسعودي: الخلاصة النقية ص١٦٠. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٦٥.

٣ - الباجي المسعودي: المصدر السابق ص١٦٠.

٤ - النويري: المصدر السابق ٢٤:٦٨.

٥ - ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٧-٦٨.

٦ - ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨٠. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٠.

٧ - ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧. * حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٦٧.

عبد الرحمن ولكنه استطاع الفرار عقب علمه بمقتل والده.

وتشير رواية الرقيق عن مقتل عبد الرحمن بن حبيب إلى إصرار المتآمرين في التخلص منه وعلم بعض أهالي القيروان بتلك المؤامرةفقيل: في تلك الليلة التي جرى فيها تنفيذ المؤامرة أن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أثناء جلوسه مع صهره شراحيل للعشاء. فقال شراحيل لابن أنعم: "ابنتك طالق إن رفعت هذه المائدة من بين أيدينا حتى يقتل عبد الرحمن بن حبيب، فقال ابن أنعم "ويحك حرمت عليك" فماهي إلا برهة حتى سمعا الصياح والخبر بمقتل عبد الرحمن بن حبيب[١]. والواقع أن مؤامرة التخلص من عبد الرحمن بن حبيب ذات أبعاد سياسية عميقة اجتمعت فيها أطراف عديدة ولكن سببها الأساسي موقفه السلبي ومناصبته العداء للعباسيين، إذ أنه من المستحيل على أبي جعفر المنصور التهاون في خروج المغرب عن الخلافة العباسية، ولذلك سعت الخلافة بطُرُقها ووسائلها للتخلص من عبد الرحمن بن حبيب إذ أصبح يشكل خطرًا كبيرًا عليها خصوصًا في تلك المرحلة. وقد جمعت هذه المؤامرة حولها الحاقدين على ابن حبيب ثم أسهمت الأميرة الأموية زوجة إلياس[٢] بحقدها على عبد الرحمن بن حبيب القاتل للأميرين الأمويين في جعل إلياس أداة التنفيذ لهذه المؤامرة، وتمَّ بالفعل نجاح الخطة الموضوعة للتخلص من عبد الرحمن. وكانت النتيجة التخلص من شخصية قوية استطاعت بحنكتها ودهائها أن تلعب دورًا كبيرًا خلال تلك الفترة في تاريخ المغرب الأدنى.

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٣٥.

٢ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ١: ٣٣٢.

لجأ حبيب بن عبد الرحمن إلى عمه عمران بتونس[١]، وكان عمران يحمل في قلبه مشاعر الحقد والحسد لإلياس لقيامه بقتل عبد الرحمن الذي أحسن إليه ولاستئثاره بمقاليد السلطة في البلد، فعزم على التصدي له وقتاله[٢]، سار عمران وابن أخيه حبيب للقاء إلياس الذي استقر في مدينة القيروان، وتشير رواية ابن الأثير إلى نشوب معركة بينهما ولم تكن حاسمة[٣]، وقيل بل كانت معركة شديدة بين الطرفين[٤]، وقيل بل وقع الصلح بين الطرفين على جعل حبيب واليًا على قفصة[٥] وقسطيلية[٦] وسائر بلاد الجريد[٧]، وعمران على تونس وسطفورة والجزيرة، وإلياس على القيروان وسائر المغرب وذلك في سنة

---

١ ـ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية ص١٦. يبدو أن ماقيل سابقًا من أن عبد الرحمن أصدر أمره لأخيه الياس بالذهاب إلى تونس في حين كان عمران شقيقه واليًا عليها هي رغبة عبد الرحمن بن حبيب للتخلص من أخيه الياس عندما شعر بعزم الياس على الغدر به وربما يكون هناك اتفاق مسبق بين عبد الرحمن وأخيه عمران في التخلص من الياس عند وصوله إلى تونس على يد عمران، هذا ولكن لم يقدَّر لتلك الخطة النجاح.

٢ ـ محمد علي دبوز: تاريخ المغرب ٢:٤٢.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨٠.

٤ ـ الناصري: الاستقصاء ١:١٢٠.

٥ ـ قفصة: من البلاد الجريدية بينها وبين تقيوس مرحلة. انظر الحميري: الروض المعطار ص٤٧٧.

٦ ـ قسطيلية: من بلاد الجريد وهو قطر كبير فيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة توزر. *انظر مؤلف مجهول: الاستبصار: ص١٥٥.

٧ ـ بلاد الجريد: سميت بذلك لكثرة النخيل بها وهي مدن كثيرة وأقطار واسعة، تقع في آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء. * انظر مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٥٠.

١٣٨هـ/٧٥٥م. وتوجه كل منهم إلى مقر عمله[١].

لم يستمر الهدوء بين آل حبيب عقب ذلك الصلح كثيرًا إذ أضمر إلياس نية الغدر بشقيقه عمران حيث تشير رواية ابن الأثير إلى قيامه بقتله[٢]. وقيل بل قبض عليه بالإضافة إلى جماعة آخرين وبعث بهم إلى الأندلس. وأقام محمد بن المغيرة القرشي على تونس ثمَّ عاد إلى القيروان[٣].

وبعد استقرار الأمور لإلياس بعث وفدًا إلى بغداد من أهل القيروان ومعهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم لمبايعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[٤]. علم حبيب بن عبد الرحمن بغدر عمه إلياس بعمران فخشي على نفسه وخاصة أن إلياس بلغه عن حبيب مايكرهه، فسارع إلياس إلى حث ابن أخيه بالسير إلى الأندلس وأرسل معه عبد الوارث مرافقًا له ويبدو أن رياح البحر كانت شديدة فتعذر وصولهم إلى الأندلس فعادوا إلى طبرقة[٥] فكتب إلياس إلى عامله على المدينة محذرًا من حبيب وأصحابه، وكانت أخبار وصوله قد بلغت مسامع الموالين لأبيه

---

١ ـ الناصري: الاستقصاء ١:١٢٠.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨٠. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٣٧. * النويري: نهاية الارب ٢٤:٦٩.

٤ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١٠٧. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩١. * الناصري: الاستقصاء١:١٢٠.

٥ ـ طبرقة مدينة كبيرة وهي على نهر بقرب البحر تدخل فيه السفن حتى باب المدينة وبقربها مرسى الخزر. وتقع طبرقة بين درنة وباجة من البلاد الأفريقية. * انظر مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٢٦. * الحميري: الروض ص٣٨٦.

عبد الرحمن فقدموا إليه وقاموا بالقبض على عامل إلياس على طبرقة سليمان بن زياد الرعيني وشدوا وثاقه واستقبلوا حبيباً بالترحاب[١].

قام حبيب بالاستيلاء على الأربس[٢] وما إن علم إلياس بذلك حتى أعد العدة للقائه واستخلف على القيروان محمد بن خالد القرشي، والتقى الفريقان في مناوشات بسيطة ثم عمد حبيب إلى استخدام الحيلة مع عمه فأوقد النيران بحيث تشير إلى مكان وجوده في حين ترك المعسكر وتوجه إلى القيروان مستولياً عليها وأوقع بعامل إلياس محمد ابن خالد وأخرج أخاه سلام بن عبد الرحمن من سجن عمه وضم حوله الموالين لأبيه فقويت بذلك شوكته.

علم بذلك إلياس فعاد لمنازلة ابن اخيه على القيروان ولكن لم يلبث أن غدر به رجاله وقواده وسارعوا بالانضمام لقوات حبيب[٣] مما أسهم في ازدياد قوته فسار للقاء عمه إلياس فلما التقيا آثر حبيب حقن دماء الرجال فنادى عمه قائلاً: " لِمَ نقتل صنائعنا وموالينا وهم لنا حصن ولكن أبرز أنا وأنت فأينا قتل صاحبه استراح منه"

فناداه الناس: "قد أنصفك ياإلياس[٤]" فوقع القتال بين الاثنين وأجهد كل منهما صاحبه مظهراً شجاعته وبأسه حتى تمكن حبيب من قتل عمه إلياس ثم قتل العديد من أصحابه وعاد إلى القيروان سنة

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٨-٦٩. * النويري: نهاية الارب ٢٤:٦٩.

٢ ـ الأربس: مدينة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين باجة مرحلتان.
* انظر الحميري: الروض المعطار ص٢٤.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٢٨.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٩.

١٣٨هـ/ ٧٥٥م وبذلك أخذ حبيب بثأر أبيه عبد الرحمن الذي قتله أخوه إلياس واجتز رأسه[1].

تولى حبيب بن عبد الرحمن مقاليد الأمور في المغرب وقد باركت الخلافة العباسية ذلك[2]. وحاول حبيب السعي في طلب عمه عبد الوارث لينتقم منه لاشتراكه في قتل أبيه ولكن عبد الوارث شعر بذلك فلجأ إلى إحدى قبائل البربر وهي ورفجومة[3] وأجاره كبيرهم عاصم بن جميل[4]. وسعى حبيب لدى عاصم في تسليم عمه عبد الوارث إليه فرفض عاصم ذلك، فزحف حبيب إليه بعد أن استخلف على القيروان القاضي أباكريب، والتقيا حبيب وعاصم في معركة. ففر أصحاب حبيب عنه فكانت الدائرة عليه فانهزم واضطرإلى التراجع إلى قابس. اشتدت قوة البربر بانتصارهم على حبيب فكاتب أهل القيروان عاصم بن جميل للولاية عليهم. ويشير الرقيق والنويري إلى أن هذه المكاتبة من بعض وجوه أهل القيروان إلى عاصم إنما كانت خوفًا منهم على أنفسهم[5]. ويؤكد هذه المعلومة ابن عذارى حيث يذكر أن بعض أهل القيروان كاتبوا عاصمًا وأشياخ ورفجومة وظنوا أنهم يوفون لهم بالعهد[6]. ويذكر ابن خلدون أن بعض أهالي القيروان استخلفوا عاصمًا على الحماية والدعاء

---

١ ـ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية ص١٧.

٢ ـ اليعقوبي: التاريخ اليعقوبي ٢:٢٨٥-٢٨٦.

٣ ـ ورفجومة: إحدى بطون نفزاوة بن لوى وهم من البربر البتر.

٤ ـ الناصري: الاستقصاء ١:١٢٢.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٤٠. * النويري: نهاية الارب ٢٤:٧١.

٦ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٩.

للمنصور[١] ولكن خليفة حبيب على القيروان الداعية والقاضي أباكريب استحث أهل المدينة على الخروج لقتال هؤلاء الخوارج الصفرية فاجتمع له ألف رجل والتقوا على الوادي المعروف بوادي أبي كريب فاستشهد أبوكريب على إثر معركة شديدة بين الطرفين سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م. وقيل سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م[٢].

دخلت ورفجومة القيروان وعاثت فيها عيثًا شديدًا[٣] وكثر السلب والنهب بالبلاد[٤]، ثم غادر عاصم القيروان بعد أن استخلف عليها عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني، وسار إلى قابس لمحاربة حبيب بن عبد الرحمن فهزمه في البداية وفرَّ حبيب إلى جبل أوراس[٥] وفيه أخوال أبيه وقدم عاصم في طلبه وهناك استطاع حبيب هزيمة عاصم وقتله مع جماعة من أصحابه[٦].

بعث ذلك النصر الأمل في نفس حبيب في استعادة ملكه واستعادة القيروان فسار إليها في جمع من أنصاره ولكن عبد الملك بن أبي الجعد استطاع الحفاظ عليها وهزيمة حبيب وقتله مع عدد كبير من

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ١٩١:٤.

٢ الدباغ: معالم الإيمان ٢٢٨:١-٢٢٩.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية، ص١٤١. * حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٦٨.

٤ ـ أحمد بن أبي الضيِّاف: إتحاف أهل الزمان ١١٨:١.

٥ ـ جبل أوراس: هو جبل قريب من باغاية بإفريقية. * انظر الحميري: الروض المعطار ص٦٥.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية، ص١٤١.

أنصاره سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م[1]، وبقتل حبيب انتهت مراحل الصراع بين أفراد الأسرة الفهرية بكل تفاصيله التي استنزفت موارد البلاد وأشاعت الفوضى والإضطرابات والقلاقل في المغرب الأدنى.

وهنا أجدني في حاجة إلى وقفة قصيرة مع هذه الأسرة ودورها في أحداث تلك الفترة.استمرت تلك الأسرة مسيطرة على أمر المغرب الأدنى أكثر من عشر سنوات عاصرت خلالها أواخر الدولة الأموية ثم بداية الدولة العباسية فاستطاع عبد الرحمن بن حبيب استغلال الاضطرابات التي سادت المشرق في أواخر عهد الدولة الأموية ثم ماصاحب قيام الخلافة العباسية وحتى استقرار أوضاعها في إقرار نفوذ الأسرة الفهرية في المغرب.

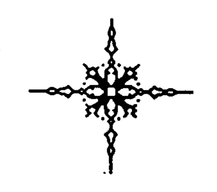
تمكن عبد الرحمن بن حبيب بقوته وحنكته من اجتياز الصعوبات التي واجهته من ثورات وحركات البربر والخوارج فتمكن من القضاء عليها إلى جانب حرصه على كسب ود الخلافة الأموية ثم العباسية، ولم يمنعه وده للخلافة العباسية من مساعدته اللاجئين إليه من بقايا الأمويين عقب سقوط دولتهم في المشرق.

استقامت الأمور لعبد الرحمن بن حبيب في المغرب ولكن يبدو أن تولي أبي جعفر المنصور للخلافة في المشرق وسياسته تجاه المغرب جعل عبد الرحمن بن حبيب يفكر جدِّيًا في تكوين ملك خاص بالأسرة الفهرية في المغرب. فأعلن خلع طاعة العباسيين. إلا أن ذلك التصرف كان ذريعة وحجة اتخذها أخوه الياس في الثورة عليه. وكان التفكك والأطماع بين

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤: ٢٨٠.

أفراد الأسرة الفهرية، واشتداد الصراع بينهم عاملاً أساسياً في القضاء على هذه الأسرة العريقة قبل تحقيق آمالها في السيطرة على الولاية وجعلها وراثية بين أفرادها ماترتب عليه فترة اضطراب في تاريخ المغرب بسيطرة الخوارج الصفرية ثم الإباضية وفي النهاية استطاعت الخلافة العباسية إعادة المغرب لطاعتها وإرسال الولاة إليها من قبلها.



الفصل الثاني

الثورات الإنفصالية في المغرب
على يد الخوارج الصفرية والإباضية

* أسبابها. * أهدافها. * انتشارها. * نتائجها.

الثورات الإنفصالية في المغرب على يد الخوارج الصفرية والإباضية

* نبذة تاريخية لنشوء المذهب الخارجي وموقف أهل السنّة والجماعة منه:

اتَّصَفَ الخوارج بالتطرُّف الفكري ووضعوا لهم مبادىء وأفكاراً يسيرون عليها، ومثال ذلك تكفيرهم لعليٍّ وعثمان وأهل التحكيم (رضي الله عنهم)، وخلع طاعة الإمام الظالم وتكفير مرتكبي الكبائر، ويقولون بإمامة كل مسلم عالم بالكتاب والسنة[1] وقد كان شعارهم منذ البداية "لاحكم إلا لله" بعد قبول علي رضي الله عنه بالتحكيم فردَّ علي رضي الله عنه على ذلك بقوله: (كلمة حق أريد بها باطل)، وإنما مذهبهم ألايكون أمير، ولابدَّ من أمير براً كان أوفاجراً[2] وهم يرون غيرهم من المسلمين كفاراً بارتكابهم الذنوب ووفقًا لتلك المبادىء العجيبة، فهم يرون عصمة دم الكتابي ويستحلُّون دم المسلم، ومثال لذلك مقارنتهم بين مسلم ونصراني، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً، قائلين: إحفظوا ذمَّة نبيكم، مع ملاحظة توصية النبي صلى الله عليه وسلم بالذمي وتحريم دم المسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(كل المسلم على المسلم حرام .. دمه وماله وعرضه)**[3].

---

١ ـ القلقشندى: صبح الأعشى ٢٢٥:٥. * محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع ص٢٥.

٢ ـ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١١٩.

٣ ـ رواية الحديث هي: حدثنا بكر بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الله بن نافع ويونس بن يحيى جميعًا عن داوود بن قيس، عن أبي سعيد، مولى عبد الله ابن عامر بن كريز، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه. انظر ابن ماجه: السنن، ج٢، ص١٢٩٨، حديث رقم: ٣٩٣٣.

وعلى الرغم من حروبهم مع الإمام علي رضي الله عنه إلاأنه قال في آخر أيامه: (لاتقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن يطلب الباطل فأدركه) وقد عبَّر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عن ذلك عندما قال لبعضهم: إني قدعلمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أومتاع ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها[١].

ومن ثم كان لهم مذهب متطرف انفردوا به وانعكس أثره عليهم فاختلفت آراءهم في كثير من المسائل الفقهية وانقسموا إلى ثماني فرق كبرى وكل فرقة من هذه الفرق انقسمت بدورها إلى فرق أصغر مما أدى إلى ضعفهم، وأسهم في تغلب الخلافة الأموية عليهم[٢]ولكن من أهم أسباب فشل الخوارج كثرة سفكهم للدماء وتطرفهم في بعض الآراء التي نفَّروا منها جمهور أهل السنة. ويهمنا منهم هنا فرقتان هما: الصفرية والإباضية.

أما الصفرية، فهم أتباع زياد بن الأصفر، وكانوا أكثر ميلاً إلى المسالمة من الأزارقة وأقرب إلى الاعتدال وأبعد عن التطرف فلم تُجِز هذه الفرقة قتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، ولم تسقط الرجم، وهي لاتكفر القاعدين عن القتال .. وتمسكوا بالتقيَّة في القول دون العمل[٣].

---

١ ـ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١٢٨-١٢٩.

٢ ـ مصطفى الشكعة: المرجع السابق ص١٢٣.

٣ ـ صالح باجيه: الإباضية بالجريد ص٣١. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٤٤-٤٥. * مصطفى الشكعة: المرجع السابق ص١٣٢. وانظر ص١٢٨-١٤٧. حيث ذكر تفصيلاً واسعًا لمذهب الخوارج وأسماها أحزابًا سياسية أكثر منها أحزابًا دينية.

أما الإباضية فهم أتباع عبد الله بن إباض وتميزوا بأنهم أقرب الفرق إلى أهل السنة، وتصريحهم بعدم الانتساب إلى الخوارج، واعترافهم بالقرآن والسنة مصدرين للأحكام، ومالوا إلى الأخذ بالرأي بدل الإجماع والقياس وكانت نظرتهم إلى الإمامة معتدلة ولايجيزون الإمامة بالوصية، ويقولون بتكفير مرتكب الكبيرة وهو في نظرهم كافر كفر نعمة لاكفر ملّة[١]. أي أنه موحد وليس بمؤمن.

ولم يعتبروا مخالفيهم بأنهم مشركين بل أجازوا مخالطتهم في كافة الأمور المعيشية مثل الإرث والنكاح والإقامة معهم ولم يجيزوا قتالهم إلا بالحجة والبرهان، واعتبروا دارهم دار إسلام إلا معسكر السلطان[٢].

ومن فِرَقِهم الحفصية، والحارثية، واليزيدية وغيرها[٣].

وقد لاقت تعليمات الخوارج الصفرية والإباضية رواجًا وانتشارا في بلاد المغرب إذا ماقورنت بالمذاهب الأخرى كالأزارقة مثلاً[٤] وقد خرجت فرق الخوارج عن طاعة الخلافة القائمة وأشارت رواية أبي يعلى

---

١ ـ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١٣٢.

٢ ـ صالح باجيه: الإباضية بالجريد ص٣٥.

٣ ـ أبومنصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٦١-٦٢.

٤ ـ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص٤٤. وقد أشار بكير ابن سعيد أعوشب في كتابه دراسات إسلامية إلى نشأة المذهب الإباضي، والإباضية والخوارج، وموقفهم من الخوارج. وينتهي إلى القول بأنهم ليسوا من الخوارج بالإضافة إلى شرحه لعقائد هذا المذهب، ويبدو أن مؤلف هذا الكتاب إباضي المذهب. انظر: الفصل الثاني والثالث والرابع من هذا الكتاب.

الحنبلي إلى الأحكام الفقهية الواجب اتباعها في قتالهم قائلة: وأما قتال أهل البغي وهم الذين يخرجون على الإمام، ويخالفون الجماعة، وينفردون بمذهب ابتدعوه، نظرت فإن لم يخرجوا به عن المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها وكانوا أفرادًا متفرقين تنالهم القدرة، وتمتد إليهم اليد، تركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام أهل العدل في الحقوق والحدود... فإن تظاهروا باعتقادهم، وهم على اختلاطهم بأهل العدل، أوضح لهم الإمام فساد مااعتقدوه، وبطلان ماابتدعوه، ليرجعوا عنه إلى اعتقاد الحق، وموافقة الجماعة. وجاز للإمام أن يعزِّر من تظاهر بالعناد، أدبًا وتعزيرًا، ولم يتجاوزه إلى قتل ولاحدٍّ، لقول النبي صلى الله عليه سلم: **"لايحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنًا بعد إحصان وقتل نفس بغير نفس"**[١].

وإن اعتزلت هذه الطائفة الباغية أهل العدل وتحيَّزت بدار تميزت فيها.نظرت فإن لم تمتنع من حق، ولم تخرج عن طاعة، لم يحاربوا، ماداموا مقيمين على الطاعة، وتأدية الحقوق... فإن امتنعت هذه الطائفة الباغية من طاعة الإمام، ومنعوا ماعليهم من الحقوق، وتفرَّدوا باجتباء الأموال، وتنفيذ الأحكام، نظرت، فإن فعلوا ذلك، ولم ينصبوا لأنفسهم إمامًا كان ماجتبوه من الأموال غصبًا، لاتبرأ منه ذمة، ومانفذوه من

---

١ ـ ورد الحديث بالشكل التالي: "حدثنا علي بن محمد وأبوبكر بن خلاد الباهلي، قالا: حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرَّة عن مسروق، عن عبد الله وهو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لاإله إلا الله وأني رسول الله إلا أحد ثلاثة نفر: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة". * انظر: ابن ماجه: السنن ج٢،ص٨٤٧، حديث رقم ٢٥٣٤.

الأحكام مردوداً، ولايثبت به حق. وإن نصبوا إماماً اجتبوا بقوله الأموال، ونفذوا بأمره الأحكام. لم يتعرض على أحكامهم بالرد، ولا على ماجتبوه بالمطالبة، وحوربوا حتى يفيئوا إلى الطاعة، قال تعالى:

{ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله } (١)

وإذا قلّدَ الإمام أميراً على قتال البغاة، قدّم قبل القتال إنذارهم وإعذارهم ولايهجم عليهم غرة، ويكون قصده بالقتال ردعهم، ولايتعمد به قتلهم بخلاف قتال المشركين والمرتدين. ويقاتلهم مقبلين ويكف عنهم مدبرين، بخلاف أهل الحرب والمرتدين. ولايقتل أسراهم، ويجوز قتل أسرى أهل الحرب والمرتدين. ويعتبر أحوال من في الأسر منهم، فمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس حتى تنجلي الحرب، ثم يطلق ولايحبس بعدها، ولاتغنم أموالهم، ولاتسبى ذراريهم، ولايستعين على قتالهم بمشرك معاهد، ولاذمي"(٢).

ومن هنا نرى الأساليب التي ينبغي اتباعها في قتال الخوارج والذين هدفوا بحركتهم تلك إقامة خلافة مستقلة ذات مبادىء وأحكام خارجة عن التعاليم الإسلامية الصحيحة والتي اتفق عليها أهل السنة والجماعة.

---

١ ـ القرآن الكريم: سورة الحجرات، آية رقم ٩.

٢ ـ أبويعلى محمد الحنبلي: الأحكام السلطانية ص٥٤-٥٥.

أسباب الثورات الإنفصالية في المغرب

قامت الثورات في المغرب على أسس مذهبية مخالفة لمبدأ الخلافة القائمة، لذلك يهمني توضيح أسباب انتشار مذهب الخوارج في المغرب، فهذه المبادىء أو هذه العقائد التي آمنت بها تلك الفئة المتطرفة جعلتهم في ثورة دائمة لنشرها،مما أدى إلى صراع بينهم وبين الخلافة الأموية حمل البعض إلى القول بأنهم أسهموا إلى حد كبير في سقوط الدولة الأموية"[١].

وكان لاضطهاد الخلافة الأموية لهم ومحاربتهم في العراق أن انتشروا في أطراف الدولة البعيدة، شرقًا في خراسان، وشمالاً في أرض الجزيرة، وجنوبًا على سواحل الخليج ، وفي بلاد المغرب[٢] ضمانًا لعدم وقوعهم في يد الخلافة من ناحية ولنجاح وسرعة انتشار مذهبهم وفق التنظيم السياسي الذي وضعوه لمذهبهم[٣]. ووفقًا لذلك أحسنوا استغلال بلاد المغرب نظرًا لماتعانيه تلك البلاد من أحداث وصراعات سياسية بسبب سوء سياسة الولاة تجاه البربر والتي كانت عاملاً مهمًا في ثوراتهم المستمرة.

وسأستعرض هنا بعض الآراء المختلفة لأسباب انتشار مذهب الخوارج في المغرب وقيام البربر بالثورات وأبدي رأئي فيها.

فيذهب كارل بروكلمان إلى تفسير ثورات البربر على أنها

---

١ ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ٣:٢٠٧.

٢ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١:٢٨٥.

٣ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب ص٢٤.

احتجاج ضد التعصب العربي ومن ثم يتجه بها اتجاهًا قوميًا "بأن هؤلاء الأقوام [يعني البربر] على الرغم من دخولهم في الإسلام، ثبتوا في وجه جميع المحاولات الرامية إلى تعريبهم، واحتفظوا بحس قومي لايزال حيًا إلى الوقت الحاضر، ومن هنا وجد الخوارج الذين كادوا يُستأصلون في قلب الإمبراطورية الأرض الصالحة بين البربر لبث دعايتهم ونشر أفكارهم مرة بعد مرة".(١)

ويُشير رأي أرشيبالد إلى أن سبب الثورة كان فداحةالضرائب "لدرجة بدت معها الضرائب الإسلامية نوعًا من الاغتصاب".(٢)

ويذهب محمد ولد داداه إلى إسناد أسباب ثورة البربر بعد اعتناقهم مذهب الخوارج إلى أنهم كانوا يتعطشون للمساواة مع العرب والحرية وهذا التعطش للمساواة والأخوة والحرية يوافق تمامًا تعاليم الدين الإسلامي، لكن أمراء القيروان ثم بني الأغلب كانوا يؤسسون سلطتهم على القوة الحربية أي على الإرهاب، وكانت هذه القوة الحربية الإرهابية تتمثل في الجند العربي الموضوع تحت تصرفهم، وكانوا يشكلون طبقة أرستقراطية تبغض المساواة والديمقراطية وكانوا ينظرون إلى البربر المسلمين وغير المسلمين ـ بعين الاحتقار ـ ويمتنعون عن أية مساواة معهم، فلا غرو أن اتجه البربر إلى ـ المذاهب ـ الخارجية وصاروا خوارج، لأن هذا المذهب كان يلائم آمالهم وميولهم فاعتمدوا عليه واتخذوه وسيلة لمحاربة الأرستقراطية العربية بالقيروان(٣)".

---

١ ـ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٨٢.

٢ ـ أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص١٤٤.

٣ ـ محمد ولد داداه: مفهوم الملك في المغرب ص٢٩.

وللرد على ماسبق من آراء حول نجاح الخوارج في استغلال البربر ومحاربة السلطة الحاكمة كما يذهب بروكلمان، نقول: إن التركيز على القومية العربية أمر غير مقبول لتلك الفترة والتي عرفت بتعمق أصول الإسلام في نفوس البربر، ومن أقوى الأدلة على ذلك ما نورده عن رسالة كتبها حنظلة بن صفوان لأهل طنجة بعد مشاوراته مع كبار علماء القيروان لتكون نبراساً لعامة المسلمين في المغرب وهي: "أما بعد، فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: إنه يرجع جميع ماأنزل الله عزوجل إلى عشر آيات: آمرة وزاجرة ومبشرة ومنذرة، ومخبرة، ومحكمة، ومشتبهة، وحلال وحرام ، وأمثال.

فآمرة بالمعروف ، وزاجرة عن المنكر، ومبشرة بالجنة ومنذرة بالنار، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين، ومحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أمر أن يُؤتى، وحرام أمر أن يجتنب، وأمثال واعظة .

فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة، فقد فلح وأنجح، وحيي حياة الدنيا والآخرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".[١]

مما سبق نرى المبادىء الإسلامية الصحيحة التي حرص العلماء الأجلاء على ترسيخها في نفوس أهل المغرب بصفة عامة، فأدى الأمر إلى اعتناق أعداد كبيرة من البربر للإسلام بأسسه الصحيحة بل والقيام على نشرها إلى جانب حرص العرب الفاتحين على الاندماج بأهل البلاد

---

١ ـ المالكي: رياض النفوس ١:٦٧.

والزواج منهم، فاستقرت في النفوس الأصول الصحيحة للعقيدة الإسلامية ، وعندما قامت حركة الخوارج في الشرق وقاومتها الخلافة الإسلامية بكل قواها لابتعادها عن مفهوم العقيدة الصحيحة آثرت الابتعاد عن مركز الخلافة سواء في دمشق أوفي بغداد بحثًا عن تربة خصبة تساعدها على نشر مبادئها لتقيم كيانها وفق الأسس التي وضعتها لذلك الكيان، ثم كانت الخطوة الثانية وهي إيجاد أنصار لهذه المبادىء تحت شعار الحرية والمساواة، وجاعلة من ذلك شعارًا لإخفاء حقيقة أهدافها، فسعت إلى إثارة النزعة القومية في نفوس البربر بأن الإسلام والمسلمون يرمون إلى القضاء على الأصول البربرية لأهله، وأنه ليست هناك حرية ولامساواة، فاستطاعت بذلك اكتساب الأنصار والأعوان فتهيأ للخوارج تربة صالحة لإقامة دولتهم الخارجة عن مبدأ السنة والجماعة إلى جانب اكتسابها الآلاف من أبناء ذلك البلد أنصارًا لها.

وأما ماذهب إليه إرشيبالد صاحب الرأي الثاني وهو أن سبب كثرة ثورات البربر ومساندة الخوارج لها هو فداحة الضرائب المفروضة عليهم حتى غدت نوعًا من الاغتصاب، فهذا الأمر أيضًا غير مقبول، فالإسلام لم يفرض على المسلمين في الناحية المالية سوى ماجاء به القرآن والسنة النبوية وهما الزكاة الواجبة على عامة المسلمين والجزية على أهل الكتاب ولم يلجأ إلى القوة في أخذها بل حض الناس عليها لإرساءمبدأ التكافل الإسلامي المتمثل في مساعدة الأغنياء للفقراء وتأليفًا لقلوبهم وليس أدل على صدق ذلك ماسبق وذكرناه في الفصل الأول من موقف عبد الرحمن الفهري من الخليفة أبي جعفر المنصور الذي استقل المال المرسل إليه، ورد عبد الرحمن بأن البلاد أصبحت إسلامية

ومايجبى فيها هو وفق الأسس الشرعية التي أقرها الإسلام، وعندما أثار ذلك الرد غضب أبي جعفرالمنصور آثر عبد الرحمن خلع طاعة الدولة العباسية حفاظًا على مصلحة البلاد وترسيخًا لدعائم الإسلام فيها.

وأما ماذهب إليه محمد ولد داداه من إسناد ثورة البربر عقب اعتناقهم لمذهب الخوارج إلى تعطشهم للمساواة مع العرب والرغبة في الحرية التي نادى بها الإسلام.

فالواقع أن هذا أمر غير صحيح إذ حظي البربر منذ دخول المسلمين الفاتحين بكل حرية ومساواة في ظل الشريعة الإسلامية بل وأسهموا مع عقبة بن نافع في نشر الإسلام وفتح بقية مدن المغرب بل لانكون مبالغين إن قلنا أن الإسلام أدرك حب البربر للحركة والعمل وماتعودوه من قسوة الحياة فأقبلوا على الجدية في العمل وشغل أوقاتهم فأتى الإسلام مستفيدًا من طبيعتهم تلك في نشر تعاليمه بين الناس فكانت الفائدة العظيمة لتلك البلاد ورأينا العديدمنهم يسير مع العرب جنبًا إلى جنب في جيش موحد حاملاً تعاليم الخير والصلاح للبشرية، وخير مثال لذلك طارق بن زياد البربري والذي تمَّ على يديه فتح بلاد الأندلس.

وأما مايشير إليه من أن ولاة المغرب قد أسسوا سلطانهم على القوة الحربية فأمر غير مقبول نظرًا لأن نجاح الحاكم في تسيير أمور الحكم ترجع إلى مدى حنكته وحسن تصرفه السياسي وقدرته على اكتساب تأييد الرعية له فليست السلطة قائمة على القوة الحربية وخير مثال لذلك ماقام به أهل المغرب من طرد الوالي محمد بن مقاتل العكي لسوء سيرته في الناس وهذا دليل على تمتع الناس بوعي كبير وعميق

لمعنى السلطة السياسية في البلاد وقد لجأ بعض ولاة المغرب إلى استخدام القوة في قمع الثورات التي أثارتها الخوارج مثل الصفرية والإباضية لكسر حدة نشاط تلك الفئات في إثارة البربر وزرع القلاقل ونشر الإضطرابات في البلاد مستغلة بعدها عن مركز الخلافة [١] فالسلطة الحاكمة هناك لاتلجأ لمبدأ القوة إلا في حالات الضرورة والتي تعود بالنفع والصالح العام لجميع أفراد المجتمع.

ولم يتجه البربر لاعتناق مبدأ الخوارج طلباً لمبدأ المساواة بل هناك طائفة الخوارج التي أحسنت الاستفادة من البربر عن طريق إثارة النزعة القومية[٢] والتي جعلتها ستاراً أخفت أهدافها الحقيقية خلفه في سبيل إقامة دولتهم المزعومة بعد القضاء على الدولة السنية.

ولاننسى هنا أيضاً النقطة الهامة في الموضوع والمتعلقة بالناحية المالية والتي قام بعض الولاة في تلك البلاد بحمل البربر على مالا طاقة لهم به لإرضاء الخلافة في المشرق[٣].

فاستغل الخوارج تذمر البربر من ظلم هؤلاء الولاة وتصرفاتهم فانتشروا بين مختلف القبائل المغربية دعاة ومعلمين ينشرون مبادئهم الدينية والسياسية تحت شعار الإصلاح والدعوة إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فوجد المغاربة في هذه الدعوة

---

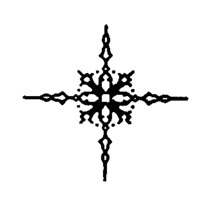
١ ـ راسم رشدي: طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ص٧٣.

٢ ـ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص٤٤.

٣ ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢:٢٠٧-٢٠٨. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٣٨.

مايتلائم وأهدافهم في التخلص من تسلط وجور بعض الولاة عليهم(١). ورغم تضجر البربر من قسوة هؤلاء الولاة إلا أنهم لم يفجروا ثوراتهم قبل أن يسلكوا الطرق السلمية، فقد تشكل وفد منهم لعرض شكواهم على الخليفة إلا أنهم فشلوا في الوصول إليه(٢).

ومن هنا أتت جهود الخوارج بثمارها، وهي كثرة ثورات البربر وحروبهم مع ولاة إفريقية(٣) وترتب على ذلك محاولات الخلافة إخماد تلك الثورات في الوقت الذي استطاع الخوارج استغلال كافة الثغرات لدى السلطة الحاكمة في المغرب، وكذلك لدى الخلافة العباسية لإشعال المزيد من الثورات في سبيل الحصول على النتائج المرجوة لمبادئهم.



---

١ ـ عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٤٦-٤٧.

٢ ـ عن ذكر هذا الوفد انظر ماذكرته في التمهيد ـ الحالة السياسية ص١٦-١٧

٣ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٥٢. * عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٤٨.

* أهداف الثورات *

لا شك أ ن الأهداف لهذه الثورات ستختلف تبعًا لاختلاف التفسير المختار لأسباب الثورات حسب رأي الكتاب السابقين.

فالذين جعلوا سبب الثورة قائمًا على عامل قومي عنصري كان هدفهم الانفصال عن دولة الخلافة لإقامة دولة مغربية حكامها من البربر تمثل وجهة نظرهم الخاصة بهم.

والذين جعلوا سبب الثورة فداحة الضرائب كان هدفهم من الثورة التخلص من الضرائب، ولكن عند محاولة التعمق في الأسباب سأجد أن العقيدة هي مبعث تلك الثورات لاعتقادهم أنهم على حق، وأنهم بهذه الثورات سيكونون أحق بالملك من القائمين على السلطة، فضلاً عما يعتقدونه فيهم من ضلال.

غير أنني لاأغفل الثناء على ثورة (بربر طرابلس) ضد انتهاك الأعراض ، إذ قامت هذه الثورة على أثر ماتواترت عليه الروايات من قيام ورفجومة الصفرية بالاعتداء على امرأة داخل مسجد القيروان بالتناوب عليها.

عند ذلك ثار أبو الخطاب في إباضية طرابلس ضد الصفرية في القيروان ونادى "بيتك اللهم بيتك اللهم" وهي دليل على أصالة المجتمع الإسلامي.. فبرغم ثورة ورفجومة، وهم خوارج صفرية، وبطشهم من قبل بالقيروان وتناقل أخبار ذلك بين الناس فلم يتردد المسلمون في الاستجابة لنداء أبي الخطاب(وإن كان إباضيًا) دفاعًا عن العرض.

* إنتشار الثورات الإنفصالية في المغرب *

تمكن الخوارج الصفرية من تحقيق النجاح الكبير لمبادئهم وتثبيتها في أرض المغرب، وقد رأينا كيف استطاع عاصم بن جميل الورفجومي من دخول القيروان واستباحتها هو وجيشه، وبهذا أصبح نجاح الصفرية في السيطرة على القيروان مكسباً كبيراً لها.

غادر عاصم القيروان بعد أن ترك عبد الملك بن أبي الجعد حاكماً عليها، وعندما تمكن حبيب بن عبد الرحمن الفهري من قتل عاصم تقدم باتجاه القيروان حيث خرج إليه عبد الملك بن أبي الجعد في ورفجومة وتمكن الخوارج من قتل حبيب في المحرم سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م[١].

وحكمت ورفجومة، وهم صفرية متطرفة القيروان، وأذاقوا أهلها الظلم والهوان أكثر من عاصم وأشد منه مما اضطر أهل القيروان إلى الرحيل عنها فراراً بأنفسهم وحفاظاً على حياتهم[٢].

وندم الذين أعانوهم ودعوهم أشد ندامة[٣] ويذكر أن رجلاً من الإباضية دخل القيروان لحاجة له فرأى ناساً من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهراً وكابروها على نفسها، وهو ينظر والناس ينظرون، ولايفعل أحد شيئاً ولاينكر ذلك، ويذكر ابن الأثير أن ذلك كان في الجامع[٤].

---

١ ـ محمد الباجي: الخلاصة النقية، ص١٧.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٩١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٤١. * النويري : نهاية الأرب ٢٤:٧٢.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨١

وإن كان الرقيق يذكر رواية المرأة كاملة ولكنه لايشير إلى أن ذلك كان في الجامع[١]. وقد ترك الإباضي حاجته التي جاء من أجلها إلى القيروان وقصد أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني الأصل، الإباضي المذهب ـ الحاكم على طرابلس عقب انتزاعها من يد عمر ابن سعيد المرداوي سنة١٤١هـ/٧٥٨م عاملها من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور[٢] مُعْلِماً إيَّاه بما حدث في القيروان ومايدور فيها من قبل الصفرية، فخرج أبو الخطاب ومعه برابرة طرابلس بقيادة زناتة وهوارة وهو يقول: " بيتك اللهم بيتك" فاجتمع إليه أنصاره من كل مكان وقصدوا طرابلس الغرب فانضم إليه العديد من الإباضية والخوارج وغيرهم، وفي مقدمتهم زناتة وهوَّارة[٣].

فسيَّر إليهم عبد الملك مقدم ورفجومة جيشاً فهزموه وواصلوا سيرهم إلى القيروان، فخرجت إليهم ورفجومة فالتقى الفريقان في معركة شديدة، وكانت الدائرة على ورفجومة حيث خذلهم الموالون لهم من أهل القيروان. فاستطاع الإباضية هزيمتهم هزيمة منكرة، وأسفرت المعركة عن عدد كبير من القتلى منهم عبد الملك نفسه، وقام أبو الخطاب بتتبع الفارين منهم بالقتل، ثم عاد إلى طرابلس واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي[٤].

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٤١-١٤٢.

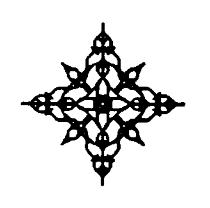
٢ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٠.

٣ ـ هوارة: إحدى بطون أويغة من البرانس. * انظر: ابن خلدون: العبر ٦:١١٢. * الناصري: الاستقصاء ١:١٢٣.

٤ ـ عبد الرحمن بن رستم الفارسي: هو أحد كبار علماء الإباضية من أبناء رستم الفارسي قائد جيش الفرس يوم القادسية. * ابن خلدون: العبر ٦:١١٢.

وكان قتل ورفجومة على هذا النحو في صفر سنة ١٤١هـ[١]. فصارت طرابلس ومايليها من إفريقية كلها تحت سيطرة الإباضية .

وتحولت إفريقية من سلطان الصفرية إلى سلطان الإباضية[٢]. وخلال هذه الحروب الدائرة في القيروان تمكنت قبيلة مكناسة بناحية المغرب الأقصى من نقض طاعة العرب، وولوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب وأحد كبار الخوارج، واختطوا مدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ مستقلين بها عن دولة الخلافة وعن التبعية لولاة القيروان، فنشأت دولة بني مدرار ملوك سجلماسة[٣].



١ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٨١:٤. * النويري: نهاية الأرب ٧٢:٢٤-٧٣.

٢ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب ص٦٨.

٣ ـ الناصري: الاستقصاء ١٢٤:١. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٥٦.

* نتائج ثورات البربر *

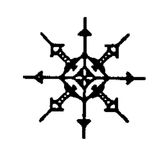
من أولى النتائج لهذه الثورات هي تنبه الناس إلى حقيقة عقيدة الخوارج ومخالفتها لمبادىء الإسلام السمحة مامهَّد إلى نهايتهم بعد بضع سنين.

وثانية النتائج هي شعور الناس بالحاجة إلى الارتباط بدولة الخلافة القائمة في المشرق والتي لم يمتدّ سلطانها بعد إلى تلك الأماكن البعيدة.

وثالثة النتائج هي تحرك الخلافة في المشرق فعلاً لإنقاذ المغرب ماتردى فيه على نحو ماسيتبين في الفصل القادم إن شاء الله.

لكنني لا أغضي الطرف عن انحراف عقيدة الخوارج حتى ولو كان بعضهم معتدلين كالإباضية مما انعكس أثره في الثورات التي أدت إلى سقوط العديد من القتلى في بلاد المغرب.

وأهم نتيجة لهذه الثورات هي نجاح الخوارج الصفرية في إقامة دولتهم وفق مبادئهم في سجلماسة سنة ١٤٠هـ والتي استقلوا بها عن التبعية للخلافة العباسية.



الفصل الثالث

تحرك

الدولة العباسية لإصلاح الوضع في المغرب

١ - ولاة بني العباس من ١٤٤ هـ إلى سنة ١٥٤ هـ

ولاة بني العباس من ١٤٤ هـ إلى سنة ١٥٤ هـ

أ ـ محمد بن الأشعث الخزاعي:

لم تكن الدولة العباسية لترضى عن أحوال بلاد المغرب وقد خرجت تماماً عن تبعيتها لدولة الخلافة وساد فيها الخوارج بمذاهبهم من صفرية وإباضية فكان لابدَّ لها من أن تتحرك خاصة وقد وصل وفد من رجال القيروان إلى الخليفة المنصور يستصرخونه على الخوارج الصفرية[١] وما ارتكبوه في القيروان، وكان رئيس هذا الوفد هو العالم السني المحدِّث تلميذ الإمام مالك الفقيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الذي ولاه أبوجعفر قضاء إفريقية[٢].

"قال عبد الله بن الوليد: وحدثونا أنه لما غلبت البربر على القيروان، وفد إلى الخليفة رجال، قال عبد الرحمن: فكنت أنا فيهم، قال: فلما صرت إليه قال لي: كيف رأيت ماوراء بابنا؟ قلت له: رأيت ظلماً فاشياً وأمراً قبيحاً، قال: فقال لي: لعله فيما بَعُدَ من بابي؟ فقلت: بل كلما قربت من بابك استفحل الأمر وغلظ، فقال لي: إنك لاتهوى الدخول في شيء من أمرنا، ثم قال: كأنك كرهت صحبتنا؟ فقال عبد الرحمن: مايدرك المال والشرف إلا في صحبتكم ولكن تركت عجوزاً وإني أحب مطالعتها، قال: إذهب فإنا قد أذنَّا لك، ثمّ ولاه قضاء القيروان[٣].

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٢. * الناصري: الاستقصاء ١:١٢٧.

٢ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١٠٢.

٣ ـ أبوالعرب تميم: طبقات علماء أفريقية ١:٣٠-٣١. * الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣١. حيث ذكر بأن ردَّ الإمام عبد الرحمن على سؤال الخليفة أبي جعفر بأن قال له: ياأمير المؤمنين مامن أمر كنت أراه بباب هشام إلا وأنا اليوم أرى منه ببابك.

وكان من ضمن رجالات الوفد نافع بن عبد الرحمن السُلَمي، وأبوالبهلول بن عبيدة، وأبوالعرباض[١].

وعندما بلغ المنصور أخبار بلاد المغرب حمل مسؤوليته كخليفة فتحرك لإصلاح الوضع وأمر عامله على مصر محمد بن الأشعث[٢] بالتأهب لإنقاذ القيروان، فوجه محمد بن الأشعث أباالأحوص العبدي أحد قادته في ستة آلاف إلى أفريقية[٣] لقتال أبي الخطاب ويظهر من عدد هذا الجيش أن الخلافة على علم بكثرة البربر وما أصبح لهم من قوة في زمن أبي الخطاب.

وبعد أن استتب الأمر لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في طرابلس والقيروان، عين عمر بن يمكتن عاملاً على سرت، وكان البربر يتوقعون هجوم ابن الأشعث عليهم من الشرق، فقد مرَّ أعرابي بابن يمكتن في سرت فقال له: نخشى أن يباغتنا محمد بن الأشعث من الشرق. فقال له العربي:"لايأتيكم ابن الأشعث بغفلة، وهو في جند أمير المؤمنين برجال مشمرين، وخيل مضمرات، وسيوف مهندات، بل يأتيكم جهاراً نهاراً"[٤].ويصف لنا ابن خلدون أحوال المغرب بعد أن استولت الإباضية على القيروان بقوله: "واضطرم المغرب ناراً وعظمت فتنة

---

١ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٣.

٢ ـ هو محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي، أمير مصر، وليها من قبل المنصور بعد عزل موسى بن كعب التميمي. انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١:٣٤٦.

٣ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص ٤٢٠.

٤ ـ الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٢٠.

ورفجومة هؤلاء إلى أن قدم محمد بن الأشعث"[١] وقد استعد أبوالخطاب للقاء جيش الخلافة ولم ينتظره حتى يدخل عليه طرابلس بل سار إليه حتى لقيه في سرت في مكان يقال له[٢] مقداس على شاطىء البحر فهُزِمَ أبوالأحوص وقتل عسكره[٣]. واحتوى أبوالخطاب على عسكرهم. فقفلوا إلى مصر راجعين وكان ذلك سنة ١٤٢هـ[٤].

ومضى أبوالخطاب إلى طرابلس.

وأهمية جيش أبي الأحوص هذا تظهر في أنه كان بمثابة جيش استكشافي أوغزوة استطلاعية وضحت لمحمد بن الأشعث مدى قوة أبي الخطاب ومدى تكاثر الخوارج من بربر وعرب في تجمعاتهم الهائلة مما جعله يستعد بكل جيوشه وقواده لملاقاتهم.

بالإضافة إلى ذلك فهناك عامل آخر أتى لابن الأشعث بالأخبار عن مدى كثرة الخوارج وقوتهم وذلك عيونه ورجاله الذين أرسلهم وبثهم في جيش أبي الخطاب.

فسألهم عن أخبار أبي الخطاب "فقالوا له: (أنُجْمِلُ أمْ نُفَصِّلُ)؟ فقال: بل أجملوا. فقالوا: (رأينا رهبانًا بالليل أسودًا بالنهار ويتمنون لقاءك كما يتمنى المريض لقاء الطبيب. لو زنى صاحبهم لرجموه ولو

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ١١٥:٦.

٢ ـ الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٢٢.

٣ ـ الكندي: كتاب الولاة والقضاة ص ١٠٩. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٤٦:١. * حورية سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب ص٢٣-٢٤.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧١:١. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١١٨:١. *الباجي المسعودي: الخلاصة النقية ص ١٨.

سرق لقطعوه. خيلهم من نتاجهم. ليس لهم بيت مال يرتزقون منه، وإنما معاشهم من كسب أيديهم).

فلما سمع ابن الأشعث ماوصفوه هاله ذلك[١]. فأعد ابن الأشعث العدة في جيش أكثر واستعداد أقوى فخرج إلى الجيزة وصلى بها يوم الأضحى سنة اثنتين وأربعين ومائة، وتوجه إلى الاسكندرية، واستخلف على مصر محمد بن معاوية بن بحير بن ريان[٢]. وفي هذا التاريخ الذي ذكره الكندي خلاف سأوضحه فيمابعد.

وكان خروج ابن الأشعث في أربعين ألف فارس من أهل خراسان، وعشرة آلاف من أهل الشام أي خمسين ألفًا[٣] وقيل في ثلاثين ألفًا من أهل خراسان وعشرة آلاف من أهل الشام[٤] أي في أربعين ألفًا[٥].

وذكر البلاذري أنهم في سبعين ألف ويقال في أربعين ألف[٦] عليهم ثمانية وعشرون قائدًا من المدربين على الحروب[٧] منهم الأغلب بن

---

١ ـ صالح باجيه: الإباضية بالجريد ص١٥٣.

٢ ـ الكندي: كتاب الولاة والقضاة ص١٠٩. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١:٣٤٤.

٣ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٤. * مصطفى الشكعة: إسلام بلامذاهب ص١٤١.

٤ ـ لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢. * الناصري: الاستقصاء ١:١٢٨. * حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص ٦٨. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٠.

٦ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣١.

٧ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٧١.

سالم التميمي، والمحارب بن هلال الفارسي، والمخارق بن غفار الطائي[١] وانفرد ابن الأبار بذكر أنهم مائة وثمانية وعشرون قائداً "فخرج في أربعين ألفًا عليهم مائة وثمانية وعشرون قائدًا من تحت يد ابن الأشعث، منهم ثلاثون ألفًا من خراسان وعشرة آلاف من الشام ـ وقيل ألفان فقط من الشام[٢]" فقد يكون هناك خطأ لأن عدد ١٢٨ قائدًا عدد كبير جدًا من القواد في جيش عدده أربعون ألفًا ولعله ذكر عدد ٢٨ ولكن الناسخ أضاف عدد ١ قبل الإثنين فصارت ١٢٨ قائدًا.

وكان حرص الخليفة وشدة اهتمامه باسترداد تبعية بلاد المغرب له ظاهرة عندما أمدَّ الجيش بكل أولئك القواد، وعين أكثر من خليفة للقائد حيث عين عليهم محمد بن الأشعث "فإن حدث به حدث كان أميرهم الأغلب، فإن حدث به حدث فالمخارق فإن حدث به حدث فالمحارب بن هلال[٣]" وبلغت أنباء هذا الجيش أباالخطاب فأعد عدته بأن جمع عددًا كبيرًا من كل ناحية وأعانه على ذلك أن مذهب الخوارج كان قد انتشر بكثرة في المغرب واعتنقه أغلب البربر فتوفر لأبي الخطاب حشد كبير من أفراد الجيش قيل أنه وصل إلى قرابة مائتي ألف مقاتل[٤] وقيل في

---

١ ـ النويري: نهاية الارب ٧٤:٢٤. * محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٨٨. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٣٤٤:١.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٦٩:١.

٣ ـ النويري: نهاية الارب ٧٤:٢٤.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧١:١. * محمد زيتون. المسلمون في المغرب والأندلس ص٧٤. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال أفريقيا ص١٧١.

سبعين ألفًا من الإباضية[١] وقد خرج لملاقاة ابن الأشعث بسرت* [٢] فضاق ابن الأشعث بلقاء أبي الخطاب لمابلغه كثرة جموعه[٣] وخاف كثرة الجموع هذه ولكن تدخلت إرادة الله فتنازع أنصار أبي الخطاب من هوارة وزناته حيث وقع قتيل من زناته فاتهمت زناتة أباالخطاب بالميل مع هوارة. ففارقه جماعة منهم وبلغ ذلك ابن الأشعث ففرح وقوي جنانه[٤] وضبط أفواه السكك حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب[٥] وحاول ابن الأشعث إظهار حنكته وسياسته وخبرته بأمور الحرب فاحتال على أبي الخطاب بإشاعة أن المنصور قد أمره بالعودة إلى مصر وبدأ في التراجع متثاقلاً ثلاثة أيام سيرًا بطيئًا فوصلت عيون أبي الخطاب وجواسيسه إليه بالخبر فتفرق عنه كثير من أتباعه وأصحابه وأمن الباقون.

فلما علم ذلك ابن الأشعث اختار أهل الجلد والقوة من جيشه وشجعان عسكره وسار بهم ليله كله فصبَّح أباالخطاب وهو غير متأهب للحرب وأعمل فيهم القتل والقتال، حتى قتل أبوالخطاب وعامة

---

١ ـ محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٨٨.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧١. * الناصرى: الاستقصاء ١:١٢٨. * مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١٤١.

* ـ "وسرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وطابية، وبها قبائل من البربر". * ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٠.

٣ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٣.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢.

٥ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٤.

أصحابه[1] ووجه برأسه إلى أبي جعفر[2].

وقد كان عدد القتلى من الإباضية كثيرًا جدًا حتى قيل أنه وصل إلى اثني عشر ألفًا[3].

وبالغ النويري حيث ذكر أن عدة من قتل من البربر أربعين ألفًا[4].

وقد اختلفت المصادر حول تحديد قدوم ابن الأشعث إلى إفريقية. فقد ذكر ابن خياط أن قدوم ابن الاشعث كان سنة ثلاث وأربعين ومائة[5].

وأورد الطبري خبر توجه ابن الأشعث إلى أفريقية وانتصاره بأنه كان ضمن أحداث سنة ثلاث وثلاثين ومائة[6] وذلك غير صحيح لأنه في ذلك التاريخ كان عبد الرحمن بن حبيب الفهري واليًا على أفريقية وكان تابعًا للعباسيين ولم يكن الخوارج قد استولوا على القيروان.

أما ابن خلدون فإن هناك اختلافًا في رواياته وتناقضًا في معلوماته عن تحديد السنة التي خرج فيها ابن الأشعث، ففي الجزء

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨١. * النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٥.

٢ ـ اليعقوبي: التاريخ ٢:٣٨٦. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢. * الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٢٣.

٣ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الحاضر والماضي ص١٢١. * الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٢٣. * مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١٤١.

٤ ـ النويري: نهاية الارب ص٧٥.

٥ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٣٤.

٦ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٧:٤٥٩.

الثالث يذكر العمال على النواحي أيام السفاح والمنصور سنةثلاث وثلاثين ومائة ويقول: "وفيها بُعث محمد بن الأشعث إلى أفريقية ففتحها".

وفي الجزء الرابع يذكر أن ابن الأشعث لقي أباالخطاب في سرت وهزمه وذلك سنة أربع وأربعين ومائة. بينما أجده في الجزء السادس يذكر أن فتنة ورفجومة عظمت إلى أن قدم محمد بن الأشعث سنة ست وأربعين ومائة[١]. والبلاذري أيضًا يذكر أنه دخل في آخر خلافة أبي العباس، بسبعين ألفًا ويقال بأربعين ألفًا، فالبلاذري أيضًا لم يحالفه الصواب في تاريخ خروج ابن الأشعث إلى أفريقية حيث حدده في آخر خلافة أبي العباس[٢].

ولكن ابن الأثير وابن عذارى ذكرا أن قدوم ابن الأشعث كان في صفر سنة أربع وأربعين ومائة[٣]. وقد ذكر النويري تاريخًا محددًا بالشهروهو شهر ربيع الأول. سنة أربع وأربعين ومائة[٤]. فيتفق مع ابن الأثير وابن عذارى في التحديد بسنة أربع وأربعين ومائة، ويتفق أيضًا مع ماأورده ابن خلدون في أحد آرائه[٥]،وهذا التاريخ هو الرأي الراجح الذي أميل إليه ويتفق مع طبيعة سير الحوادث في المغرب.

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ٣:٢٠٠ / ٤:١٩٢ / ٦:١١٥

٢ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٤.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨١. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧١. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش ١. * محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٧٤.

٤ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٥. * مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١٤١.

٥ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٩٢.

ويذكر محمود اسماعيل أن قدوم ابن الأشعث بجيوشه إلى المغرب كان سنة مائة واثنتين وأربعين هجرية[١].

أما راسم رشدي فقد ذكر أن هذه الحملة على شمال إفريقية وقتل ابن الخطاب بأرض تاورغة كان سنة سبع وثلاثين ومائة هـ وذكر أن عودة ابن الأشعث إلى المشرق كانت سنة ١٤٨هـ[٢]. ومعنى ذلك أن ولاية ابن الأشعث استمرت حوالي أحد عشر عاماً، وهذا مخالف لإجماع المصادر.

وبعد أن تحقق انتصار ابن الأشعث على الإباضية وتتبعهم في الجبال وكسر شوكتهم، تقدم إلى طرابلس ودخلها وولى عليها المخارق بن غفار الطائي[٣] ثم توجه إلى القيروان فدخلها دون مقاومة لأن واليها الإباضي عبد الرحمن بن رستم لما سمع بمقتل أبي الخطاب هرب ناحية الغرب إلى تيهرت فاختطها حيث أصبحت فيما بعد مركزاً للمذهب الإباضي، وعندما علم أهل القيروان بقتل أبي الخطاب وهروب ابن رستم قبضوا على عامله في القيروان وأوثقوه في الحديد وولوا على أنفسهم عمرو بن عثمان القرشي إلى أن قدم عليهم محمد بن الأشعث ودخل القيروان في جمادى الأولى سنة ١٤٤هـ[٤].

وبدا لمحمد بن الأشعث أنه أخمد الفتنة وقبض على الخوارج، لكن

١ـ محمود اسماعيل عبد الرازق: الأغالبة، سياستهم الخارجية ص١٠.

٢ ـ راسم رشدي: طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ص٧٣.

٣ ـ النويري: نهاية الارب ٧٥:٢٤. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الحاضر والماضي ص١٢١.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٢:١. * النويري: نهاية الارب ٧٥:٢٤.

مقاومة الخوارج لاتستسلم بسهولة فقد خرجت عليه قبيلة زناتة في ستة عشر ألفًا فلقيهم ابن الأشعث وقتلهم جميعًا[١] وقيل قتل بعضهم[٢]. وكتب إلى المنصور بظفره وراح يطارد الخوارج والبربر فسير جيشًا بقيادة اسماعيل بن عكرمة الخزاعي[٣] إلى زويلة وودّان وكانتا مسكونتين بالإباضية فافتتح ودان[٤] وقتل من بها من الإباضية، وافتتح زويلة[٥] وقتل مقدمهم عبد الله بن سنان الإباضي وقتل عددًا كبيرًا من أتباعه وأجلى الباقين، فلما رأى ذلك منه أهل العبث كفوا وخافوا وأذعنوا له بالطاعة[٦].

وقد انفرد ابن خلدون بذكر ثورة بني يفرن ضد ابن الأشعث فقال: "ثم انتفض بنو يفرن بنواحي تلمسان ودعوا إلى الخارجية وبايعوا أباقرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة، فسرح إليهم ابن الأشعث الأغلب بن سوادة التميمي فانتهى إلى الزاب وفر أبوقرة إلى المغرب الأقصى"[٧] وهكذا تمكن المنصور من استعادة المغرب الأدنى للخلافة.

---

١ ـ ابن الأثير : الكامل ٤:٢٨١.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧١. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ص٣٤٥.

٣ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٥.

٤ ـ ودّان: من أعمال برقة وتبعد عن مدينة سرت خمسة مراحل. انظر اليعقوبي: البلدان ص.٣٤٥.

٥ ـ زويلة: هي بلد وراء ودّان وأغلب أهلها مسلمون على المذهب الإباضي. انظر اليعقوبي: المصدر السابق ٣٤٥.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨١. * حسن سلمان محمود: ليبيا بين الحاضر والماضي ص١٢١.

٧ ـ ابن خلدون: العبر ٧:١٢.

وبدأ ابن الأشعث في تنظيم شؤون ولايته "فعين الأغلب بن سالم على رأس الزاب على أن يقيم في طبنة وكانت الزاب بمثابة الدرع الواقي لأفريقية:[١].

وحاول ابن الأشعث وقاية القيروان وحمايتها فشرع في بناء سور القيروان من الطوب وجعل سعته عشرة أذرع وذلك في ربيع الأول سنة ١٤٤هـ[٢] وقيل في ذي القعدة[٣] وكان تمامه في رجب سنة ١٤٦هـ[٤]. وبذلك كان ابن الأشعث "أول قائد للمسودة" فتمكن من نشر الأمن والهدوء حتى ساد البلاد بحزمه وقوته حتى قيل أن بلاد إفريقية أخصبت على أيامه[٥] ولهذه العبارة معانٍ كثيرة منها أن أهل البلاد قد أمنوا بعد تلك الفترة الصعبة من الحروب والثورات فعادوا لزراعاتهم فأخصبت الأرض وهي تعبير أيضاً عن الرخاء المادي نتيجة للأمن والاستقرار.

ولكن رغم هذه النتائج الطيبة التي استطاع ابن الأشعث أن يحققها إلا أن الأمور لم تسر على هواه فقد تمرّد عليه بعض عساكره وثار عليه رجل من جنده واختلفت المصادر في ثورة الجند هذه. فقد ذكر البلاذري "أن جند ابن الأشعث وأهل البلد وثبوا عليه فمكث يقاتلهم أربعين يوماً وهو في قصره حتى جمع قوته من أهل الطاعة ممن كانوا قد

---

١ - محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٨٥.

٢ - ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص٤٦.

٣ - ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢.

٤ - ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٦.

٥ - ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٣.

قدموا معه من أهل خراسان وغيرهم فاستطاع أن يظفر بالثائرين من جنده ويقضي عليهم ثم استعرض أسماءهم فمن كان اسمه معاوية أوسفيان أومروان أواسماً موافقًا لأسماء بني أمية قتله ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فكان تصرفه ذلك سبباً في غضب المنصور عليه وعزله عن إمرة القيروان"[١].

ولقد انفرد البلاذري بذكر الثورة على هذه الصورة وفي ذكر سبب خروج ابن الأشعث من القيروان بأن المنصور عزله وأنا لا أؤيد هذا الرأي فكيف يعزل المنصور واليه وقائده الذي تغلب على الخوارج وأعاد القيروان إلى أحضان الخلافة العباسية. أما اليعقوبي فذكر أن الذي خرج عليه هو هاشم بن استاخنج الخراساني مع بعض الجند وأهل خراسان فأخرجوه عن البلد وولوا عليهم عيسى بن موسى الخراساني فانصرف ابن الأشعث إلى العراق[٢].

ويورد ابن الأثير هذه الحادثة مفصلة بأن الثائر على ابن الأشعث هو أحد جنده يقال له: هاشم بن الشاحج بقمونية[٣] مع عدد كبير من الجند فسير إليه ابن الأشعث أحد قواده إلا أن هاشماً قتله وانهزم أصحابه، وكان للمضرية من قواد ابن الأشعث دور إذ حرضوا أصحابهم على اللحاق بهاشم كراهية لابن الأشعث لأنه تعصب عليهم فأعد لهم ابن الأشعث جيشه ثانياً فاقتتلوا وانهزم هاشم ولحق بتاهرت. فكان التجمع الثالث ومعهم من كان موتوراً من البربر وبلغت جموعهم في تاهرت

---

١ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٣٤.

٢ ـ اليعقوبي: التاريخ ٢:٣٨٦.

٣ ـ قمونية: مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان وقيل إنها المدينة المعروفة بسوس المغرب. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤:٣٩٩.

حوالي عشرين ألفًا فسير إليهم ابن الأشعث جيشًا فانهزم هاشم وقُتِلَ كثير من أصحابه من البربر وغيرهم، وبذلك تمكن ابن الأشعث من القضاء على هذه الثورة فأرسل المنصور رسولاً إلى هاشم يدعوه إلى الطاعة فزعم هاشم الطاعة وقال: ماخالفت ولكني دعوت للمهدي بعد أمير المؤمنين وأنكر ابن الأشعث عليَّ ذلك وأراد قتلي فقال له الرسول: فإن كنت على السمع والطاعة فمُدَّ عنقك، فمَدَّ رقبته فضربه بالسيف وقتله في صفر سنة سبع وأربعين، وأعطى ابن الأشعث الأمان لجنده إلا أنهم ما إن دخلوا في طاعته وعادوا حتى غدر بهم وقتلهم، فغضب المضرية لغدره بإخوانهم وعادوه وأجمعوا على إخراجه من أفريقية فلما رأى ذلك غادرها، وقد لقيته رسل المنصور بالبر والإكرام فقدم على المنصور(١) وذلك على خلاف ماذكره البلاذري سابقًا في عزل المنصور له.

وقد ذكر ابن عذارى أن هذا الثائر هو عيسى بن موسى بن عجلان ثار في جماعة من جنده وأخرجوا ابن الأشعث من القيروان من غير قتال في ربيع الأول سنة ١٤٨هـ ثم اتفقوا على تولية عيسى بن موسى الخراساني من غير عهد من المنصور ولارضى منه ولاتراضي من العامة فكانت مدته ثلاثة أشهر(٢).

وذكر ابن خياط أن الجند أخرجوه وولَّوا عيسى بن موسى الذي عزله أبوجعفر وولى الأغلب(٣) وقد جاوز الصواب إحسان حقي في كتابه

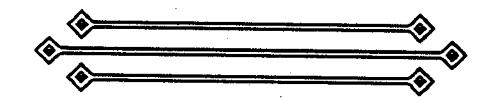
---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٤:٢٨١-٢٨٢.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢-٧٣. * حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٦٨. * ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ١:١١٨. * محمد بركات البيلي: من تاريخ المغرب والأندلس ص٣٠. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص١٨.

٣ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٣٤.

تونس العربية حينما ذكر أن ثورة الجند ضد ابن الأشعث كانت ثورة "الخوارج من جديد بقيادة عيسى بن عجلان وعجز ابن الأشعث عن الصمود في وجهه فترك تونس وقفل راجعًا إلى العراق وعادت السيطرة في تونس إلى الخوارج(١)" فلم يعجز ابن الأشعث عن القضاء على الخوارج منذ بداية الأمر كما أنه لم يعجز عن القضاء على ثورة الجند ثم إن عيسى ابن عجلان كان من الجند التابع للخلافة وليس من الخوارج، فهي ثورة جند وليس كما يذكرها هنا بأنها ثورة خوارج. كما أن السيطرة لم تعد للخوارج إذ أن الخليفة المنصورعهد بالولاية إلى الأغلب بن سالم.



---

١ ـ إحسان حقي: تونس العربية ص٤٧.

ب ـ الأغلب بن سالم التميمي:

كانت ولاية ابن الأشعث بداية لتثبيت سلطان العباسيين في المغرب لكن الجند ثاروا عليه. فآثر أن يتركهم وأن يترك ولايته ويعود للمشرق. وقد ولى قواد الجند المضرية عليهم عيسى بن موسى[١] من غير عهد من الخليفة ولارضى منه فلم تدم مدة ولايته أكثر من ثلاثة شهور كما ذكرت سابقًا حيث عهد الخليفة المنصور بولاية أفريقية إلى الأغلب بن سالم في جمادى الآخرة سنة ١٤٨هـ[٢].

وقد ذكر البلاذري أن الذي أرسل الأغلب واليًا على المغرب هو موسى الهادي[٣] وهذا خطأ لأن المصادر تُجمع على أن تعيين الأغلب كان في عهد المنصور وبتكليف منه ولأن الأغلب قد استشهد سنة ١٥٠هـ قبل وفاة المنصور وقد كان الهادي آنذاك طفلاً. وهو الأغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجة التميمي. كان من أنصار أبي مسلم الخراساني في نشر الدعوة العباسية بخراسان[٤]، فهو من رجال العباسيين المخلصين وساهم في الدعوة العباسية منذ قيامها وكانت له مشاركة كبيرة في الحياة السياسية للدولة العباسية، فقد كان يعمل ضمن الحرس الخاص للخليفة وساهم في قتل رئيسه أبى مسلم الخراساني ليثبت ولاءه

---

١ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٣٤.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٦:٥. * ابن عذارى: البيان ٧٤:١.

٣ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٣٤.

٤ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٦٨:١-٦٩. * ابن الأثير: الكامل ٢٦:٥ .* لسان الدين الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش٢.

لأبي جعفر المنصور[١].

وقدم في جيش محمد بن الأشعث إلى المغرب معاونًا له ومعاضدًا وقد ولاه ابن الأشعث على الزاب وطبنة[٢].

وقد اشتهر بالرأي والمشورة والحزم والشجاعة فكان على معرفة بأحوال البلاد ومشاكلها[٣].

فلما أتاه العهد بولاية أفريقية قدم القيروان وأخرج منها جماعة من قواد المضرية فاستقامت له أحوال البلاد ودان الناس له بالطاعة[٤]، بفضل من كان معه من الخراسانيين وبمساعدة من انضم إليه من البربر فقبض على زمام الأمور في المغرب[٥].

وقد وصله كتاب من المنصور الذي كان مهتمًا بأحوال بلاد المغرب وحريصًا على استقرار أحوال الرعية يأمره فيه بالعدل، وحسن السيرة في الجند وتحصين مدينة القيروان، وحفر خندقها، وترتيب نظام الحرس، ومن يوليه أمر البلاد إذا خرج منها لإخماد ثورة[٦] وغير ذلك من التوجيهات الهامة التي بعث بها إلى والي بلاد المغرب البعيدة عن مركز

١ ـ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٨٤.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٩٢. * الناصري: الاستقصاء ١:١٢٩. * وطبنة من أعظم مدن بلاد الزاب وبها أخلاط من السكان. انظر اليعقوبي: البلدان ص.٣٥.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٤. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص١٨. * ابن أبي الضياف: اتحاف أهل الزمان ١:١١٩.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٢٦. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال أفريقيا ص١٧٧.

٥ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش٢.

٦ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٤. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال أفريقيا ص١٧٧. * محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٨٥.

الخلافة والمتصفة بكثرة الثورات مع تعدد المذاهب والعناصر والعصبيات فكان على الوالي أن يتقيد بها، وقد اهتم الأغلب بكل التوجيهات التي أرسلها إليه الخليفة، فقام بتحصين مدينة القيروان وأقر على طرابلس المخارق بن غفار الطائي الذي كان واليًا عليها منذ قدوم ابن الأشعث وفي أيام عيسى بن موسى الثائر[١] وهكذا تمكن الأغلب من نشر الأمن والهدوء في البلاد ولكن لفترة قصيرة. فالإضطرابات السياسية لم تتركه يكرس جهوده للمسائل العمرانية وتحسين القيروان كما أوصاه بذلك أبوجعفر المنصور[٢] ففي سنة ١٥٠هـ ثارت عليه الصفرية بقيادة زعيمهم أبوقرة الصفري بجهة تلمسان في جمع كبير من البربر الصفرية من زناتة، فسار إليهم الأغلب في عامة قواده الشجعان وخلف على القيروان سالم بن سوادة[٣] وعندما قرب الأغلب من أبي قرة هرب أبوقرة من غير قتال إلى المغرب الأقصى حتى وصل إلى طنجة وانتهى الأغلب إلى الزاب[٤] وعزم الأغلب على الرحيل إلى تلمسان قاعدة زناتة ثم إلى طنجة فكره الجند المسير معه ورفضوا وقالوا: قد هرب أبوقرة الذي خرجنا إليه وتسللوا عنه إلى القيروان ولم يبق معه إلا قليل من الوجوه وأكابر القواد[٥].

---

١ ـ الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي ص١٢٤-١٢٥. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١٢١.

٢ ـ الحبيب الجنحاني: القيروان ص٥٠.

٣ ـ ابن عذري: البيان المغرب ١:٧٤. * ابن أبي الضياف: اتحاف أهل الزمان ١:١١٩.

٤ ـ الناصري: الاستقصاء ١:١٢٩.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٢٦. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٤.

وقد سَوَّلَ انشغال الأغلب مع الصفرية لأصحاب النفوس الضعيفة الذين جبلوا على الثورات والتمرد أن ينتهزوا الفرصة فقام الحسن بن حرب الكندي أحد القواد بمدينة تونس وكاتب الجند ودعاهم إلى نفسه فاستجاب له بعض القواد وانضموا إليه ومنهم بسطام بن الهذيل والفضل بن محمد وغيرهم فسار حتى دخل القيروان من غير مقاومة(١) وأخذ عاملها سالم بن سوادة فحبسه فلما بلغ ذلك الأغلب أقبل بمن معه ممن أطاعه وأشار عليه قواده وأصحابه أن يكاتب قواده الذين خرجوا عليه مع الحسن ويحثهم على العودة إلى الانضمام إليه فيعد عدته من قابس حتى لايواجه الحسن بالعدد القليل الذين معه فاستجاب لمشورتهم فكثر جمعه وتقوى بمن انضم إليه من القواد والجند الذين تركوا الحسن(٢). وتتضح لنا هنا أهمية هذه النصيحة من أهل المشورة إذ أنها حققت النصر والنجاح للأغلب فلو أنه واجه الحسن في القيروان بهذه العدة القليلة والمُجْهَدَة من الرحلة لما حقق النصر، كما تبين حسن تقبل الأغلب للمشورة والعمل بها، وهذا يظهر أهمية العمل بمبدأ الشورى في الإسلام. وقد جَدَّ الأغلب بعد أن اجتمع جنده في المسير إلى الحسن، ولكنه كاتَبَه قبل أن يقاتله فأرسل إليه يقول:

ألا من مبلغ عني مقالا
يسير به إلى الحسن بن حرب
فإن البغي أبعده وبال
عليك وقربه لك شر قرب
فإن لم تدعني لتنال سلمي
وعفوي فادن من طعني وضربي(٣)

---

١ ـ النويري: نهاية الارب ٧٧:٢٤. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٤٩:١.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٢٦:٥. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال أفريقيا ص١٧٨.

٣ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٧٠:١

لكن الحسن بن حرب أعاد الجواب إلى الأغلب وقد كتب رداً عليه يقول:

ألاقولاً لأغلب غير سر
مغلغلة عن الحسن بن حرب
بأن الموت بينكم وبيني
وكأس الموت أكره كل شرب
رويدكم، فيومكم ويومي
وإن بَعُدا ـ مصيرهما لقرب[(١)]

وقد أثار هذا الرد الأغلب، فحث السير للقاء الحسن، وقدم رسول المنصور عليه بكتاب منه إليه وإلى الحسن بن حرب، يدعو الحسن إلى الطاعة. ولكن الحسن لم يقبل دعوة الخليفة أيضًا فأقبل إليه الأغلب واقتتلوا[(٢)] فانهزم الحسن وعاد إلى تونس وأقبل الأغلب حتى دخل القيروان إلا أن ذلك لم يكن نهاية الثورة فقد أصرَّ الحسن على التمرد ولم يعتبر بهزيمته أمام الأغلب بل عاود الكرَّة مرة أخرى وأعدَّ جيشًا كبيرًا أمدَّه بعدد كثيرة وحشد فيه كثيرًا من المقاتلين[(٣)] وقد استعد الأغلب وكثر اهتمامه بهذا اللقاء الثاني فجمع قواده وجمع أهل بيته وخاصته ليعاونوه وحثَّ الناس على الانضمام إليه.

ودار اللقاء الكبير بين الجيشين بتخطيط عسكري منظم من الأغلب حيث شدَّ الأغلب وأصحابه على ميمنة الحسن بن حرب فكشفهم

---

١ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٢.

٢ ـ ابن عذارى: البيان ١:٧٥.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٢٦. * ابن عذارى: البيان ١:٧٥. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٢.

ثم انصرف وهو يقول:

لم يبق إلا القلب أو أمـــوت

إن تحم لي الحرب فقد حميت

وإن تـوليـت فلابقيـــت

ثم حمل على القلب بقوة وعنف وكاد أن يسيطر على المعركة لأن القلب صُلْبُ الجيش وأوشك النصر أن يتحقق وصار قاب قوسين أوأدنى إلا أن إرادة الله كانت أسرع فقد أصابه سهم قتله وذلك في سنة خمسين ومائة[١].

فلما سقط الأغلب صاح صائح "مات الأمير" وكان سالم بن سوادة التميمي في الميمنة وهو ابن عم الأغلب فقال: "لاأنظر إلى الدنيا بعد اليوم" وتقدم بكل اندفاع وحماس وقوة إلى جيش الحسن كما أن الأصوات تعالت في معسكر الحسن بقول مات الأمير فظن أتباعه بأن الحسن هو المقتول، فولوا منهزمين[٢] وانهزم الحسن وهرب إلى تونس ثم لحق بكتامة وولى أصحاب الأغلب عليهم بعد موته المخارق بن غفار الطائي الذي كان على طرابلس.

فتتبع بهم الحسن بن حرب الذي رجع إلى تونس بعد شهرين فقتله الجند وقيل إن أصحاب الأغلب قتلوه[٣] بتونس وأتوا به مقتولاً إلى القيروان، فصلبه المخارق على أبوابها تنكيلاً به وليكون عبرة للجند والثائرين، وكان صلبه يوم السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة[٤] وذكر ابن خياط أن الخليفة أباجعفر المنصور كتب إلى المخارق بن

---

١ ـ النويري: نهاية الارب ٢٤:٧٨.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٢.

٣ ـ ابن خلدون : العبر ٤:١٩٢. * الناصري: الاستقصاء ١:١٢٩.

٤ ـ ابن الأبار: المصدر السابق. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٧٩.

غفار الطائي بولايته ثم ولاها عمربن حفص[١] بينما يذكر اليعقوبي أن أهل أفريقية ثاروا على الأغلب وولوا الحسن بن حرب فلما بلغ أباجعفر الخبر كره اضطراب البلد وكتب إلى الحسن بن حرب بولايته البلد[٢].

أما البلاذري فيذكر أن الثائر من الجند على الأغلب كان اسمه حريش وأنه من جند الثغر من تونس جمع جمعًا وسار بهم إلى القيروان وحاصر الأغلب فخرج إليه الأغلب فقاتله وأصابه سهم فسقط ميتًا وأصحابه لايعلمون ولم يعلم كذلك أصحاب حريش، ثم إن حريشًا هُزِمَ وجيشه فتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثة أيام. فقتلوهم وقتلوا حريشًا بموضع يعرف بسوق الأحد فسمي الأغلب الشهيد[٣].وقد اختلف اسم الثائر هنا عن اسمه في المصادر الأخرى التي اجمعت على أنه الحسن ابن حرب الكندي كما سبق أن وضحت. وإن كانت رواية البلاذري قد أوجزت كذلك في عرضها للأحداث بعدم ذكر استيلاء الحسن على القيروان. وقد تجاوز عدد من المؤرخين المحدثين الصواب حينما ذكروا أن ثورة الجند هذه على الأغلب إنما كانت ثورة خوارج من البربر وهم يركزون بذلك على أن السبب في هذه الثورة هو العامل المذهبي والعنصري حيث قال محقق كتاب أعمال الأعلام: إن الخوارج من البربر هؤلاء ثاروا عليه فقاتلهم بالقرب من تونس فأصابه سهم فَتَّاك أودى بحياته[٤].

وذكر صاحب خلاصة تاريخ تونس أن اتباع النحلة الصفرية ثاروا

---

١ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص ٤٣٤.

٢ ـ اليعقوبي: التاريخ ٢:٣٨٦.

٣ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٣٤،٢٣٥.

٤ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش٢ من التعليق للمحقق أحمد مختار العبادي.

على الأغلب فقاومهم ثم أعادوا الكرّة فنهض إليهم والتقى بهم قرب سبخة تونس سنة ١٥٠هـ فأصيب بسهم فَتّاك قضى به نحبه[١] وذكر حسن إبراهيم حسن أنها كانت ثورة بربر بزعامة قواد من العرب قتل فيها الأغلب على أبواب القيروان[٢].

أما إحسان حقي فيذكر بأن الأغلب لما أرسله الخليفة إلى أفريقية قاتل الخوارج حتى تغلب عليهم ولكنه لم يكد يطمئن لهذا النصر حتى فاجأه الخوارج قرب تونس ونشبت بين الفريقين معركة اندحر فيها جنود الأغلب ومات وهو في المعركة وعاد الخوارج يسيطرون على البلاد ودامت سيطرتهم خمس سنوات[٣].

ولكن الرأي الصحيح الذي أميل إليه هو أن الأغلب قتل بسهم في جنده وأن بعض الجند العرب في تونس بقيادة الحسن بن حرب هم الذين خرجوا عليه، وقد سمي الأغلب بالشهيد وأن أهل البلاد ولوا عليهم من بعده المخارق بن غفار فقام بأمر أفريقية إلى أن يأتي الأمر من الخليفة.

وعندما بلغ المنصور استشهاد الأغلب قال: "إن سيفي بالمغرب قد انقطع، فإن دفع الله عن المغرب بريح دولتنا، وإلا فلامغرب"[٤] وهي عبارةتدل على مدى تقدير المنصور للأغلب واعتماده عليه وماتصف به الأغلب من شجاعة وقوة.

---

١ ـ حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٦٨.

٢ ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢:٢٠٨.

٣ ـ إحسان حقي: تونس العربية ص٤٧.

٤ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧١. * محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٨٦.

جـ ـ عمر بن حفص بن قبيصة

هو الشهيد الثاني الذي له من ماضيه مارشحه لحاضره، وله في حاضره ما رشحه للشهادة في سبيل الله. وهو عمر بن حفص ولد قبيصة بن أبي صفرة أخي المهلب، ونسب إليه لشهرته[١] ويكنى أباجعفر عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة، كان واليًا على السند[٢] وعزله المنصور ليوليه إفريقية لشجاعته وبسالته، وقد كان يُلقب هزار مرد[٣] ومعناها بالفارسية ألف رجل، أي أنه كان يقوم مقام ألف فارس في الحرب[٤]. ولاه أمير المؤمنين المنصور إفريقية بعد أن بلغه استشهاد واليها الأغلب بن سالم، وسوء أحوالها فأصبحت إفريقية مشكلة بالنسبة للخلافة العباسية لبعدها عن مركز الخلافة، ولوجود فئات مختلفة فيها من عرب وبربر ومذاهب مختلفة من أهل السُنَّة والخوارج على اختلاف مذاهبهم فكان على الخليفة إيجاد الحل السريع الحاسم لذا نجده يختار كبار رجاله من ذوي الكفاءة[٥] ليوليهم على إفريقية ، وقد

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٣١. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٥. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٧٩. ويذكر اسم عمر بدون واو في أكثر المصادر والمراجع عدا البيان المغرب لابن عذارى وإتحاف أهل الزمان لابن أبي الضِّياف وفي الخلاصة النقية لمحمد الباجي وليبيا بين الماضي والحاضر لحسن سليمان محمو

٢ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٨:٣٣.

٣ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٤. * اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٣٨٦. * ابن خلدون العبر: ٤:١٩٢.

٤ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٣٤. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش ٣. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٦.

٥ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص٧١.

قدم عمر بن حفص إفريقية سنة ١٥١هـ[١] في شهر صفر[٢]. وقد صحبه عندما توجه إلى إفريقية نفر من أهل بيته من آل المهلب وهم في جملتهم أهل معرفة وخبرة بشؤون الإدارة[٣]. كما قدم في رفقته خمسمائة فارس[٤] وإفريقية يومئذ تعج بعشرات الآلاف من الثائرين الخوارج، ولئن دلّ ذلك العدد القليل الذي صحبه على شيء فإنما يدل على الشجاعة وحسن الاختيار، إن خمسمائة يحسن اختيارهم مع بقية الجند التابع للخلافة في إفريقية قد يغلبوا بإذن الله عشرات الألوف.

قدم عمر بن حفص إلى القيروان عاصمة إفريقية وقتئذٍ فوادع أهلها، ووادّ وجهاءها وأعيانها[٥]، وذلك لما يتصف به من حنكة سياسية وبراعة إدارية، وقد مكث فيها ثلاث سنوات بلا متاعب حيث استقامت له البلاد وأعاد الأمن والاستقرار إليها[٦] حتى أتاه كتاب الخليفة بالتوجه إلى الزاب، واختلف المؤرخون فيما أُمر به هل جاءه الأمر ببناء مدينة

---

١ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣٣:٨. * ابن كثير: البداية والنهاية ١٠٨:١٠. * ابن خلدون: العبر٢٠١:٣. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦:٢.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٣١:٥. * النويري: نهاية الأرب ٧٩:٢٤. * حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢٠٨:٢.

٣ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص٧١.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٣١:٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٥:١. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٦. * ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ١١٩:١.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ٣١:٥. * النويري: نهاية الأرب ٥٩:٢٤. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٦. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٦٤.

٦ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٥:١. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش ٣. *الناصرى: الاستقصاء ١٣٠:١. * الحبيب الجنحاني: القيروان ص٥٠.

طبنة أوبناء سور لها، فيذكر ابن الأثير والنويري أن كتاب المنصور قدم على عمر بالشخوص إلى الزاب لبناء طبنة[١] بينما يذكر ابن خلدون والناصري أن خروج عمر إلى الزاب كان لبناء السور على مدينة طبنة[٢] وهو الرأي الذي أرجحه، فإن الخليفة مهتم ببناء سور حول مدينة طبنة قاعدة إقليم الزاب لتحصينها، ولأن مدينة طبنة مدينة قديمة موجودة فقد ذكر ياقوت الحموي عنها بأنها "بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير"[٣].

وقد يوضح ياقوت الحموي هذا الاختلاف السابق بقوله: "...استجدها عمر بن حفص هزار مرد المهلبي" [٤]، فقد يكون عمر استجد بناء هذه المدينة بالإضافة إلى بناء سورها.

ويذكرها الحميري بأنها من أعظم بلاد الزاب افتتحها موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية وليس من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها[٥].

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٣١:٥. * النويري: نهاية الأرب ٧٩:٢٤. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٧٩. * حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢٠٨:٢.

٢ ـ ابن خلدون العبر: ١٩٢:٤. * الناصرى: الاستقصاء ١٣٠:١. * الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٢٧. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٦٥.

٣ ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢١:٤.

٤ ـ ياقوت الحموي: المصدر السابق.

٥ ـ الحميري: الروض المعطار ص٣٨٧ ـ

فسار عمر إلى مدينة طبنة واستخلف على القيروان أباحازم حبيب بن حبيب بن يزيد المهلبي[١].وقد رغب الخليفة من واليه أن يخرج إلى بلاد الزاب ليحصن مدينة طبنة ويستقر بها لتركز قوة الخوارج الإباضية بقيادة عبد الرحمن بن رستم.

وقد أغرى خروج عمر بن حفص من القيروان إلى الزاب وخلوٌ البلاد من الجند الخوارج من البربر فثاروا على نائب عمر في القيروان فخرج إليهم حبيب بن حبيب وقاتلهم فقتلوه.. وانتصروا عليه.

وتوجهوا إلى طرابلس وولوا عليهم أباحاتم الإباضي(واسمه يعقوب بن حبيب مولى كندة).. وهو الذي يسمى أباقادم.

وكان عامل عمر بن حفص على طرابلس الجنيد بن بشار الأزدي أوالأسدي، فكتب إلى عمر يستمده[٢]،فبعث إليه خالد بن يزيد المهلبي في أربعمائة فارس عدا الرجّالة فالتقوا وقاتلوا أباحاتم الإباضي فهزمهم فساروا إلى قابس فبعث عمر بن حفص إليهم بجيش آخر بقيادة سليمان بن عبّاد المهلبي ولقوا أباحاتم بقابس وقاتلوه ولكنهم انهزموا أيضًا وسار سليمان إلى القيروان منهزمًا[٣].

كل هذه الأحداث وعمر مقيم بطبنة. ثم انتفضت إفريقية على عمر ابن حفص وهو بطبنةوكان الثائرون بكثرة كبيرة كأنما تنشق الأرض عن

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٥:١. * ابن خلدون العبر: ١٩٢:٤. * ابن أبي الضّياف: إتحاف أهل الزمان ١١٩:١.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٣١:٥-٣٢. * ابن خلدون العبر: ١٩٢:٤-١٩٣.

٣ ـ النويري: نهاية الأرب ٧٩:٢٤-٨٠. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩٠.

جنود خارجين ثائرين، وأحاط بطبنة إثنا عشر عسكرًا، يذكرهم المؤرخون على النحو التالي:

* أبوقرة الصفري في ٤٠ ألف فارس.
* عبد الرحمن بن رستم الإباضي في ١٥ ألف فارس.
* عاصم السدراتي الإباضي في ٦آلاف فارس.
* المسعود أوقيل المسور الزناتي الإباضي في ١٥ ألف فارس.
* عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين.
* وأبوحاتم الإباضي في عدد كثير[١].

وجماعة أخرى غير هؤلاء منهم جرير بن مسعود المديوني فيمن تبعه من مديونه وغيرهم من خوارج زناتة. وهوارة وصنهاجة بأعداد لاتحصى[٢] وقد يكون ثمة مبالغة في العدد، ولو قدِّر العدد بالنصف أوالثلث من ذلك لبدا الأمر كذلك خطيرًا وصعبًا على حاكم بعيد عن مركز الدولة وبعيد عن إمداداتها خاصة وأن عدد جيش عمر بن حفص كان خمسة عشر ألفًا وخمسمائة[٣] وقيل خمسة آلاف وخمسمائة[٤]، وكان

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٥:١. * النويري: نهاية الأرب ٨٠:٢٤. ابن خلدون العبر: ١٩٣:٤. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢٠٩:٢.

٢ ـ الناصري: الاستقصاء ١٣٠:١.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٥:١. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٦٦. * الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٢٨. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٣٥٤:١.

٤ ـ النويري: نهاية الأرب ٧٩:٢٤.

الوضع على هذه الصورة امتحانًا صعبًا لشجاعة عمر بن حفص، الذي جمع قوّاده للمشورة، وهو يرى مناهضتهم وحربهم، فألحوا عليه ألا يخرج، وقالوا له: أَخْرِجْ منَّا من أردت إلى عدوك ولاتخرج أنت! فإنك إن أُصِبْتَ، تَلِفَ المغرب وفَسَد[(١)].

وأشاروا عليه بالحيلة إذ أن عدد جنده قليل بالنسبة لتجمعهم الهائل، فأرسل عمر بن حفص بناء على مشورة قواده إلى أبي قرة الصفري يعرض عليه ستين ألف درهم ليذهب بعساكره ويفض الحصار، لكن أباقرة أبى، وقال: بعد أن سلم عليٌّ بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا لاحاجة لي به.

فأرسل إلى أخيه وقيل ابنه أربعة آلاف درهم وبعض الملابس فقبل وأخذ يعمل في رد الصفرية عن الحصار إلى بلادهم فارتحل من ليلته وتبعه العسكر منصرفين وسقط في يد أبي قرة فلم يجد بداً من أن ينسحب معهم[(٢)]. ويذكر ابن خلدون في رواية أخرى ومعه الناصري أن أباقرة قبل الأموال عندما عرض عليه عمر بن حفص على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفًا ولابنه أربعة آلاف فارتحل بقومه[(٣)].

وهكذا نجد عمر بن حفص ينجح في التخلص من أكثر عناصر

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٥:١-٧٦. * النويري: نهاية الأرب ٨٠:٢٤. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٣٥٤:١.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٣. * ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. *النويري: نهاية الأرب ٨١:٢٤. * ابن خلدون العبر: ١٩٣:٤.

٣ ـ ابن خلدون:المصدر السابق ١٢:٧. الناصري: الاستقصاء ١٣٠:١-١٣١.

الحصار بالدهاء وإعمال الحيلة في تفريق كلمتهم[1]، وبعد أن انصرف الصفرية نظر عمر إلى ثاني أكبر تجمع من الخوارج من الإباضية وأرسل عمر بن حفص معمر بن عيسى العبدي في ألف وخمسمائة فارس إلى عبد الرحمن بن رستم وهو في تهودة[2] وعدته خمسة عشر ألف فارس كما ذكرت، فانهزم ابن رستم وقتل من أصحابه نحو من ثلاثمائة[3]، وقيل ثلاثة آلاف[4]، ورجع ابن رستم منهزمًا إلى تاهرت. وآثر أبوحاتم العودة لحصار القيروان، أماالمسور الزناتي فالراجح أنه لحق بأبي حاتم وانضم إليه في حصار القيروان[5].

وهكذا تخلص عمر بن حفص من الجيوش المحاصرة له في طبنة وبقي بها يصلح أمورها ويحفظها ممن يجاوره من الخوارج إلا أنه سمع بتجمع الإباضية حول القيروان فأقبل يريد القيروان، واستخلف على طبنة المهنا بن المخارق بن عفان الطائي، فلما علم أبوقرة بخروج عمر من طبنة عاد لمحاولة دخولها فأقبل بجموعه وحاصر طبنة فكتب إليه المهنا يطلب منه الإنصراف عنه إلاأن أباقرة كان قد طمع في الغنائم وأصر على الحرب فخرج إليهم المهنا وقاتلهم وانتصر على أبي قرة وقتل من عسكره

---

١ ـ مبارك الميلي: تاريخ الجزائر ٢:٤٢.

٢ ـ تهودة: من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم. انظر الحميري: الروض المعطار ص١٤٢.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٣. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١:٣٥٥.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٦. * الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٢٨.

٥ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩١.

خلقًا كثيرًا[١].

أما القيروان، فكان أبوحاتم الإباضي قد حاصرها ثمانية أشهرواشتد حصارها، وليس في بيت مالها دينار ولادرهم ولافي أهرائها* شيء من الطعام. وكان الجند أثناء ذلك يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفي النهار حتى أجهدهم الجوع، وأكلوا دوابهم وكلابهم، وكادوا أن يتركوها للخوارج، ولكن أتاهم نبأ ترك عمر بن حفص لطبنة وقدومه إلى القيروان ونزوله مدينة الإربس في سبعمائة فارس فزحف إليه الخوارج المحاصرون للقيروان بأجمعهم وتركوا القيروان لما سمعوا بمقدمه[٢]. فانتهز عمر بن حفص فرصة ترك الخوارج لحصار القيروان فسار إلى تونس ولماتبعه البربر عاد مسرعًا إلى القيروان وأدخل إليها مايحتاج إليه من لوازم الحصار من طعام ودواب وحطب وغير ذلك استعدادًا لحصار الخوارج[٣] وعاد أبوحاتم والخوارج إلى حصار القيروان وقد اختلفت المصادر في ذكر أعدادهم الهائلة فقيل: إنهم كانوا مائة ألف وثلاثين ألفًا[٤] ومنهم من بالغ في ذلك العدد حتى أوصله إلى ثلاثمائة ألف وخمسين ألف[٤]، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفًا[٥] وقيل: خمسة

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٣. * النويري: نهاية الأرب ٨١:٢٤. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٣٥٥:١.

* أهرائها: الأهراء جمع أهرة: أي متاع البيت ـ لسان العرب، المجلد الرابع، مادة أهر.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٤٣-١٤٤. * ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. *النويري: نهاية الأرب ٨١:٢٤. * الناصري الاستقصاء ١٣١:١.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥.

٤ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٢:٨. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٤. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٦:١. * النويري: نهاية الأرب ٨٢:٢٤. * ابن كثير: البداية والنهاية ١١٠:١٠. * ابن خلدون العبر: ١٢:٧. * الناصرى: الاستقصاء ١٣١:١. * الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٢٨.

٥ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٢:٨.

وثمانون ألف فارس والباقي رجّالة(١).

ويظهر أن هذه الأعداد فيها مبالغة كبيرة ،لكن ممالاشك فيه أن عددهم كان أكثر من عددجيوش الثوار الذين اجتمعوا على عمر بن حفص عندما كان في طبنة .

"وكان ابن حفص يخرج إليهم في كل يوم فيحاربهم، فلم يزالوا كذلك حتى ضاق أمرهم في القيروان، وأكلوا دوابهم وكلابهم وسنانيرهم، وماتوا جوعًا. وانتهى الملح عندهم أوقية بدرهم. واضطرب على ابن حفص أمره وساءت خلقه"(٢). واختلف أصحابه في آرائهم حول حل هذه المشكلة فقد عرض عليهم عمر بن حفص أن يخرج هو في بعض الجند ويغير على جيش الإباضية بمايشبه المناورات العسكرية، فمن جهة يحصل على بعض الغنائم، ومن جهة أخرى يُناور قوات الخوارج المجتمعة لحصاره على أن يترك على القيروان بدلاً منه أيًا من الرجلين جميلاً أو المخارق. فكان رد أصحابه في بداية الأمر بالموافقة على هذا العرض فلما همَّ عمر بالخروج اختلفوا عليه وقالوا: "تريد أن تخرج أنت ونبقى نحن في الحصار، لا تخرج وأقم معنا" فقال: أنا أقيم معكم ويخرج جميل والمخارق بمجموعة من الجند قالوا: نعم، فلما جاؤوا إلى باب المدينة قالوا: تقيم أنت في الراحة ونخرج نحن؟ لاوالله لانفعل" فغضب عمر وقال: "والله لأوردنكم ونفسي حياض الموت".

---

١ ـ ابن خلدون العبر: ١٢:٧. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١:١٦. * الناصرى: الاستقصاء ١:١٣١.

٢ ـ ابن عذارى:البيان المغرب ١:٧٦.

وفي هذه الظروف الصعبة وصله من زوجته خُليدة بنت المعارك كتاب تخبره أن أمير المؤمنين استبطأه فبعث إليه بابن عمه يزيد بن حاتم المهلبي في ستين ألفًا لمساعدته وإخراجه من الحصار[١]. فما كان من عمر ذي النفس الأبية الشجاعة إلا أن يرفض تلك المساعدة التي ستنقذه مماهو فيه وقال: "لاخير في الحياة بعد أن يقال يزيد أخرجه من الحصار! إنما هي رقدة ثم أبعث إلى الحساب" وخرج للخوارج وظل يقاتل ويحارب حتى قتل في أواسط ذي الحجة سنة ١٥٤هـ[٢] قرب سور القيروان[٣].

وقيل: إن مقتله كان سنة ١٥٣هـ[٤] ولكن الأرجح أنه استشهد سنة ١٥٤هـ كما ذكر الرقيق القيرواني وابن الأثير والنويري.

وبعد مقتل عمر وقبل وصول يزيد بن حاتم في تلك الفترة قام بأمر الناس أخو عمر لأمه جميل بن صخر[٥] فلما طال عليه الحصار لجأ إلى عقد مهادنة مع أبي حاتم الإباضي وكان من شروط الهدنة أن تكون الحرية لجميل بن صخر وأصحابه فلايخلعون طاعة سلطانهم أي الخليفة

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٥. * النويري: نهاية الأرب ٨٢:٢٤-٨٣.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٦:١. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش ٣. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١١٩:١-١٢٠. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص١٩. *حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٧٠.

٣ ـ الحبيب الجنحاني: القيروان ص٥٠.

٤ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣٨٦:٢. * الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٢:٨.ابن كثير: البداية والنهاية ١٠٩:١٠-١١٠. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٠:٢.

٥ ـ خليفة بن خياط: : التاريخ ص٤٣٤.

ولاينزعون سوادهم وهو شعار الدولة العباسية[١] وعلى أن كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر، وعلى أن لايجبروا أحداً من الجند على بيع سلاحهم ودوابهم فوافق أبوحاتم على شروطهم ووقع على الوفاء بالعهد أبرز الشخصيات الإباضية وهو عمر بن عثمان الفهري[٢] ففتح جميل أبواب القيروان وخرج أكثر الجند إلى طبنة، ودخل أبوحاتم القيروان وأحرق أبوابها وثلم سورها[٣] وصارت إفريقية في يد أبي حاتم[٤].

وعندما سمع أبوحاتم بقدوم جيش يزيد بن حاتم المرسل من الخلافة استعد للقائه وتوجه إلى طرابلس بأكثر الجند الذين معه واستخلف على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري. وقد خاف أبوحاتم الإباضي من أن يثور الجند الذين في القيروان بعد خروجه منها وهو أمر طبيعي فقرر تجريدهم من أسلحتهم التي وقع اتفاقية الصلح على تركها لهم وكتب إلى واليه على القيروان عبد العزيز المعافري يأمره بأخذ سلاح الجند، وألا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد أي أن يحرص على تفريقهم وأن يقبض عليهم ويرسلهم إليه واحداً بعد واحد .

فتجمع الجند لاتخاذ قرار بشأن ماصدر ضدهم من نقض العهد

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٦:١.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٦. * النويري: نهاية الأرب ٨٣:٢٤-٨٤.

٣ ـ ابن خلدون العبر: ١٩٣:٤. * الناصري: الاستقصاء ١٣١:١. * عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٧٨.

٤ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٣٤.

واستوثق بعضهم من بعض بالأيمان المؤكدة أن لايرضوا بهذا وقويت قلوبهم بجيش يزيد بن حاتم القادم لنجدتهم[١]. ولجؤوا إلى التفاوض أولاً حيث قابلوا عمر بن عثمان الفهري حليف أبي حاتم الذي وقع على عهد الصلح فقالوا له: قد كنتم حلفتم لنا على الوفاء بما اشترطنا عليكم وإنّا نرى هؤلاء القوم قد غدروا بنا وأخذوا سلاحنا ليفرقوا بيننا وبينها.

فأظهر لهم عمر بن عثمان عدم قبوله لهذه الأفعال من حليفه أبي حاتم وأنه يرفضها لأن فيها نكثاً بالعهد وقال: "ليس يجمعني مع البربر خُلُق ولادين" قالوا: " أما أنت فقد جامعتهم على قتل والي أمير المؤمنين عمر بن حفص وشيعته وأنصاره، فهل لك بجنود أمير المؤمنين من طاقة، أم تستطيع أن تحرز منهم دمك ونفسك ومالك وأهلك، ولكن هل لك في أمر تمحو به ذنوبك القديمة والحديثة؟" قال: "ماهو" قالوا تقوم بطاعة أمير المؤمنين معنا، وتنقم على أبي حاتم غدره بنا" ففعل ذلك عمر بن عثمان.[٢].

وبذلك ضمنوا انضمامه إلى صفهم ليتقووا به وليقع الخلل في صفوف أتباع أبي حاتم بانقسامهم عليه فولوه أمرهم وثاروا معه على أصحاب أبي حاتم الموجودين في القيروان ودرات بينهما معركة شديدة قتل فيها من البربر خلق كثير، فلما سمع أبوحاتم بماحصل لجنده

---

١ ـ النويري: نهاية الأرب ٨٤:٢٤.* السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٦٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٧-١٤٨

بالقيروان اضطر للعودة وقاتل أهلها ودخلها فهرب عمر بن عثمان وأصحابه إلى تونس وخرج منها أيضًا جميل بن صخر متوجهًا نحو المشرق ليلتقي بجيش يزيد وينضم له.

وخرج أبوحاتم في طلب عمر بن عثمان، ووجه قائدًا من قواده يقال له جرير بن مسعود المديوني على مقدمته، فلحق جرير بعمر بن عثمان في موضع يقال له جيجل(١) من ناحية كتامة وقاتله فقتل جرير بن مسعود وأصحابه ودخل عمر بن عثمان تونس، ولم يكن لدى أبي حاتم الوقت ليلحق به فقد كان لابد له أن يمضي إلى طرابلس ليستعد للقاء يزيد بن حاتم(٢).



---

١ ـ جيجل: مدينة قديمة بينها وبين ميلة من أرض المغرب مرحلة وبين جيجل وبجاية خمسون ميلاً. وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر. انظر الحميري: الروض المعطار ص١٨٤.

٢ ـ النويري: نهاية الأرب ٨٤:٢٤. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٣٥٩:١.

٢ ـ أسرة المهالبة

من سنة ١٥٤هـ إلى سن١٧٨م ـ ٧٧٠م إلى ٧٩٤م

يزيد بن حاتم

تولت أسرة المهالبة الحكم حوالي ربع قرن من الزمان في ذلك البلد المتقلب، الذي لم يكن ينفك من الثورات والانتفاضات.

فعرفت البلاد لونًا من الاستقرار لم تكن تعرفه، وعرفت الصلاح والإصلاح بمالم تكن تعرفه كذلك. وأول هؤلاء يزيد بن حاتم الذي حكى عنه سحنون أنه كان يقول: "والله الذي لاإله إلاهو ماهبتُ شيئًا قط كهيبة رجل واحد يزعم أنني ظلمته، وأنا أعلم أنه لاناصر له إلا الله، يقول بيني وبينك الله" (١).

وقد استمر واليًا خمسة عشر عامًا، ثم تولى من بعده ابنه داود ابن يزيد، ثم روح بن حاتم، ثم نصر بن حبيب، ثم الفضل بن روح، وهم أهل بيت كبير، اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان الأمجاد النجباء(٢).

والمهالبة نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة، واسم أبي صفرة ظالم ابن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد بن عمران ... وولد المهلب نحو ثلاثمائةولد، أعقب منهم تسعة عشر... فولد الحبيب بن يزيد بن المهلب: سفيان، ونصر، ولي إفريقية وكان محمودًا في ولايته... وولد قبيصة بن المهلب: حاتم، وحفص،

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٧. * ابن خِلِّكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٨.

٢ ـ إبن خلكان: المصدر السابق ٥:٣٦٥.

وعثمان.

فولد حاتم بن قبيصة روح، ويزيد، كلاهما ولي إفريقية والسند. فولد يزيد بن حاتم: المغيرة، قتل بالسند. وداود ولي السند وإفريقية، وولد روح بن حاتم الفضل بن روح، ولي إفريقية[١].

ولقد تقلد أفراد هذه الأسرة في عهد الدولة الأموية والعباسية المناصب العالية والولايات الجليلة[٢].

يزيد بن حاتم:

إلى المهلب بن أبي صفرة ينتهي يزيد بن حاتم نسبًا، وينتهي إليه خلقًا وكرمًا وشجاعة، فقد قيل بحق: إنه كان صورة من جده، وكان يكنى بأبي خالد وكان كثير الشبه بجده المهلب بن أبي صفرة في حروبه وكرمه وكان له أولاد مذكورون بالشجاعة والإقدام[٣].

وكان يشبه جده أيضًا في الدهاء والشجاعة وبُعد الهمة وجلال المقدار[٤] وأخباره في السخاء والنجدة والشهامة معروفة، وكان من خواص المنصور ووجوه ولاته[٥] تولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب

---

١ - ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب ص٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠.

٢ - حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٧٠ هامش رقم ١.

٣ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٤٩. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٨.

٤ - ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٨.

٥ - محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٠.

منها أرمينية، والسند، وأذربيجان ومصر(١) وكانت ولايته مصر سنة ١٤٤هـ(٢).

فلما بلغ المنصور ماكان من الخوارج مع عامله عمر بن حفص(٣) وهو العالم ببلاد إفريقية .راح ينثر كنانته، فأخرج منها أصلبهم عودًا وأكثرهم إقدامًا، فرمى المغرب بيزيد "وكان سبب قدومه إفريقية أنه اتصل بأبي جعفر المنصور أن عمر بن حفص قُتِلَ فغمَّه ذلك وشغله، وأُخبر بفساد البلد وكثرة اجتماع البربر وصنيعهم بجنده، فرأى أن يوجه يزيد لعلمه بقيامه وحزمه ونكايته، ولأن عمر بن حفص عمه، فهو لايألوا في طلب ثأره"(٤) وألاحظ هنا أن الرقيق في هذا التعليل يخالف ماقد ذكره سابقًا من أن أمير المؤمنين لما استبطأ انتصار عمر بعث إليه يزيد ابن حاتم في ستين ألفًا لمساعدته وإخراجه من الحصار(٥). وهو ماتعضده رواية كنت اعتمدتها وهي التي تروي خبر رسالة جاءت إلى عمر بن حفص من زوجته تعلمه أن أمير المؤمنين كلف يزيد بن حاتم بإنجاده في محنته(٦). وتجدر الإشارة هنا إلى أن عمر بن حفص بن قبيصة هو ابن

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥١. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١.

٢ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:١ * محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٨٧.

٣ ـ ابن الأثير الكامل ٥:٣٣.

٤ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٥٩.

٥ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٤٥.

٦ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٤٥. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٨٣.

عم يزيد بن حاتم بن قبيصة كما توضح رواية ابن الخطيب والناصري[١] وليس عمه كما يذكر الرقيق.

فسار يزيد إلى المغرب سنة ١٥٤هـ[٢] وقيل سنة١٥٥هـ من قبل المنصور[٣] وجهز معه جيشاً كبيراً. واختلفت المصادر في عدده فذكر الرقيق والنويري أنه تسعين ألفاً "ثلاثين ألفاً من خراسان وستين ألفاً من أهل البصرة والكوفة والشام"[٤] وذكر الرقيق في رأي آخر وابن الأثير وابن خلدون أن عدة الجيش كانت ستين ألف فارس[٥].

بينما تجمع أغلب المصادر المشرقية على أن عدة الجيش المرسل مع يزيد كانت خمسين ألفاً[٦]، وكان الجيش يتكون من جند الشام والعراق وخراسان[٧]، وكلفه الخليفة المنصور الضنين بالمال ثلاثة وستين

---

١ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٧ هامش ٣. * الناصري: الاستقصاء ١:١٣١.

٢ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٣٨٦. * ابن الأثير: الكامل ٥:٣٧. * ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٥.

٣ ـ ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٦.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٩. * النويرى: نهاية الأرب ٢٤:٨٥.

٥ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٤٥. * ابن الأثير: الكامل ٥:٣٣، ويذكر في ص٣٧ أنهم ٥٠ألف. * ابن خلدون العبر ٤:٩٣. * حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢:٢٠٩. * إحسان حقي: تونس العربية ص٤٧. * راجع سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٥٨.

٦ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٤. * ابن خلكان: وفيات الأعيان ص٣٦٥. * ابن كثير: البداية والنهاية ١٠:١١١. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٢١.

٧ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٩. * ابن أبي الضّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٠.

ألف ألف درهم[١]، وقيل ستين ألف ألف درهم وزيادة[٢]. ويذكر ابن كثير أنها ثلاثة وستون ألف درهم[٣] فقط، ليست ألف ألف.

وقد سار المنصور مع الجيش يشيعه حتى بيت المقدس[٤] وذلك التصرف زيادة في التكريم لشخص يزيد وزيادة في التعبير عن اهتمام المنصور بهذا الجيش، وتعبير عن المهمة الخطيرة التي يتجهون لإنجازها، وحثه لهم على الثبات أمام الخوارج وإيضاح أن لهم دوراً هاماً ومهمة جليلة هم سائرون لتحقيقها ممايبعثهم على البذل والعطاء والشجاعة.

وعبَّر عن ذلك الرقيق بأن يزيد قال: ولما ولاني المغرب [أي الخليفة المنصور] انتهى في تشييعي إلى فلسطين، فحسدني أقوام منهم شبيب ابن شيبة بن عقال، ورفع إليه ابن شيبة بن عقال كتاباً لم يأل فيه من الحمل عليَّ والذكر لمساوئيء وتخويفه الغوائل، قال: فأرسل إلى، فحضرت، فرمى إليَّ بالكتاب فقرأته وذهبت لأتكلم، فقال: «كفيت مؤونة الاحتجاج» وقال لهما: لولا أني لم أتقدم إليكما لقتلتكما» قال يزيد: فأخذت الكتاب وخرجت، فجعلت الكتاب في كتب كانت معي وقدمت إلى أفريقية فما لبث أن وجَّه إليَّ ابن شيبة بن عقال في بعض ماتوجه الخلفاء فيه، فبلغت في برِّه وإكرامه فوق ما أمَّله، فلما أراد الانصراف لم يكن قط إلا على المودَّة والمحبة، فضربت بيدي إلى ذلك الكتاب فأخرجته

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٣٧.

٢ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٢١.

٣ ـ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠:١١١.

٤ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٤. * اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٢٨٦. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٨.

ورميته إليه وقلت له: "ولاغرو كتبت هذا الكتاب؟!" فسألني الإقالة والتغمُّد، فقلت له: "لولا أنك تستغفلني ماعرَّفتك هذا"، فسأل دفع الكتاب إليه، فلم آمن أن يدفعه إلى أبي جعفر، فأمرت به فخُرِّق"(١).

واستخلص من هذا النص مايثبت ثقة الخليفة المنصور في يزيد ابن حاتم.

ومن بيت المقدس ودَّع الخليفة الجيش الزاحف إلى إفريقية وسار الجيش حتى وصل إلى سرت فاجتمع بجميل بن صخر ومن معه من الجند القادمين عليه من القيروان(٢)، كما انضم إليه جماعات من البربر منهم قبيلة مليلة الهوارية الذين كان خروجهم قد أثار غيظ الخوارج مما جعل زعيمهم أباحاتم يدعو عليهم قائلاً: اللهم أذلل مليلة(٣).

وسار يزيد بن حاتم بكل تلك القوة نحو طرابلس في خلق عظيم للقاء أبي حاتم الإباضي(٤).

كان استعداد أبي حاتم الإباضي لهذا اللقاء في غاية الصعوبة لأن أباحاتم عندما خرج للقاء جيش يزيد استخلف على القيروان عبد العزيز

---

١ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٥١-١٥٢.

٢ - الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٥٩.* النويري: نهاية الأرب ٢٤:٨٥.

٣ - الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي ص١٢٩. * محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩٣. * صالح باجيه: الإباضية بالجريد ص١٥٣ اعتماداً على مصادر خارجية إباضية.

٤ - البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٤. * اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٣٨٦. * أحمد الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص٥٦-٥٧.

ابن السمح المعافري فثار عليه أهل القيروان بمساعدة حليفه عمربن عثمان الفهري فعاد إليهم أبوحاتم فهرب عمر بن عثمان الفهري إلى تونس وخرج جميل بن صخر حيث استطاع أن ينضم إلى جيش يزيد، وقد سار أبوحاتم وهو منهك القوى للقاء يزيد بن حاتم حيث التحق بجبال نفوسة(١) وقد سيَّر إليه يزيد بن حاتم جزءًا من عسكره بقيادة سالم بن سوادة التميمي ولعل يزيد أراد أن يزيد في إنهاك قوة أبي حاتم فبعث إليه جزءًا من جيشه فلقيهم أبو حاتم واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم سالم وأصحابه ورجعوا إلى معسكر يزيد(٢).

ويعلق سعد زغلول على هذا الحادث الهام بأنه "رغم ماتقوله رواية الرقيق التي ينقلها النويري والتي يظن أنها إباضية الأصل، من أن أباحاتم نجح في دفع مقدمة الجيش الخلافي حتى ردها إلى بقية العسكر. فالظاهر أن الأمر ليس كذلك، إذ يُذكر أن أباحاتم ارتد بعد ذلك إلى جبل نفوسة حيث اعتصم بموقع منيع، وهناك هاجمته قوات يزيد. والأقرب إلى العقل أن يكون أبوحاتم انهزم في الموقعة الأولى فحاول الاعتصام بالجبل"(٣).

وقد يكون ذلك التعليل صحيحًا لأنه يفسر لنا ماتذكره المصادر من

---

١ ـ جبل نفوسة: من قفصة إليه نحو ستة أيام، وهو جبل عالٍ نحو من ثلاثة أيام طولاً. انظر الحميري: الروض المعطار ص٥٧٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٠. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٨٥. * أحمد بك الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص٥٧-٥٨. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩٣.

٣ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٦٠.

أن أباحاتم هاله أمر يزيد أي أنه استشفَّ من الطلائع مدى قوة هذا الجيش مماضطره إلى أن يلجأ إلى مكان وعر ويتخذ خندقًا[١] وقيل: إنه اتخذ في عزِّ المنازل وأوسعها مكانًا عسكر فيه وخندق على عسكره[٢].

وعند ذلك عبأ يزيد قواته وسار إلى أبي حاتم حيث التقوا في ربيع الأول عام خمسة وخمسين بعد المائة[٣] ودارت رحى الحرب تشيب لهولها الولدان. وانهزم جيش أبي حاتم فقتل أبوحاتم وقتل معه من جنده يومئذ ثلاثون ألفًا[٤]، وتغلب يزيد قائد جيش الخلافة على الخوارج حيث "قتل أمراءهم وأسر كبراءهم وأذل أشرافهم"[٥]. وقيل أن عدة من قتل من جند يزيد ثلاثة رهط[٦] وفي ذلك مبالغة واضحة حيث أن عدد القتلى من الخوارج لايتناسب مع عدد القتلى من جند الخلافة، وهي معركة احتدم فيها القتال، وسلت السيوف وأزهقت الأرواح ممايبين أن من استشهد من جند يزيد أكثر من ذلك بكثير.

وأقام يزيد في هذا المكان نحوًا من شهروهو يرسل جنوده في

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * النويري: نهاية الأرب ٨٥:٢٤.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٠.

٣ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣٨٦:٢. * ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٦٥:٥. * ابن كثير: البداية والنهاية ١١٣:١٠.

٤ ـ ابن الأثير: المصدر السابق ٣٢:٥. * ابن خلدون: العبر ١٩٣:٤. * أحمد الأنصاري: المنهل العذب ص٥٨.

٥ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ١١٣:١٠.

٦ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٦٠. * النويري: نهاية الأرب ٢٤: ٨٥-٨٦. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٦١:١.

طلب الخوارج ويقال أن الجيش أمعن في طلب الخوارج وكانوا يقولون يالثارات عمربن حفص، وتعقبوا الخوارج في كل سهل وجبل[١] وقتلوهم شرَّ قتلة، ثم رحل يزيد بن حاتم حتى نزل قابس فدخلها[٢] بعد أن استخلف على طرابلس سعيد بن شداد[٣].

وكان قد كتب إلى المخارق بن غفار بالقيام بأمر القيروان أثناء وجوده في طرابلس[٤]وهو بذلك يؤمن الولاية أثناء انشغاله بمحاربة الخوارج والقضاء على ثوراتهم قبل الوصول إلى القيروان.

وقد دخل يزيد بن حاتم القيروان سنة ١٥٥هـ[٥] يوم الاثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة[٦] وبعث المخارق إلى آخر الزاب فنزل طبنة واليًا عليها فكانت له وقائع في محاربة البربر من ورفجومة وغيرهم[٧] وقد تتبع يزيد فلول الجيش المنهزم في كل مكان حتى لايتجمع شملهم من جديد ويثوروا ضده فاهتم بأمر عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص.١٦٠* ابن الأثير: الكامل ٥:٣٣. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٨٦.

٢ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص.١٦٠. * النويري: نهاية الأرب ص٢٤:٨٦.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٩. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٠. *حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١٢٢.

٤ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص.١٦٠. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٦١.

٥ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٨:٤٦.

٦ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٩.

٧ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٦١. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٣.

الفهري أحد حلفاء أبي حاتم الإباضي والذي هرب بعد مقتل أبي حاتم ولحق بكتامة ونزل بمكان يعرف باسم جيجل فجهز يزيد جيشاً بقيادة المخارق ابن غفار والي الزاب وطبنة وضم إليه قواداً من أهل خراسان وأهل الشام حيث استطاعوا محاصرة عبد الرحمن ثمانية أشهر، كما بعث يزيد قريبه العلاء بن يزيد المهلبي فحاصر عبد الرحمن من ناحية أخرى غير ناحية المخارق. فلما ضيقوا الحصار على عبد الرحمن وهجموا عليه انهزم هو ومن معه وهرب إلى الأندلس وقتل أكثر من كان معه، وبعد أن تحقق النصر انصرف العلاء إلى القيروان والمخارق إلى طبنة[١]. ،قد خرج على يزيد بن حاتم من بربر هوارة يحيى بن قرباس الهواري بناحية طرابلس سنة ١٥٦هـ واجتمع إليه كثير من البربر فأرسل إليهم يزيد بن حاتم قائده عبد الله بن السمط الكندي فالتقوا على شاطىء البحر واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم يحيى بن قرباس وقتل عامة أصحابه من هوارة وغيرهم[٢].

وساد الأمن أرجاء البلاد وسكنت أحوالها وهدأت الثورات بها بفضل قوة وشجاعة يزيد بن حاتم المهلبي وماكان من حسن سيرته، فأمن الناس على معاشهم وأموالهم وعاد الهدوء إلى أرجاء الولاية الإفريقية وظلّ مخيماً على المغرب الأدنى[٣] وأحسّ الناس بالطمأنينة لأول مرّة

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦١. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٩:١. * ابن خلدون: العبر ١٩٣:٤. * الناصرى: الاستقصاء ١٣٢:١.

٢ ـ ابن عذارى: المصدر السابق ٧٩:١. * ابن خلدون: المصدر السابق ١٤١:٦. أحمد بك الطرابلسي: المنهل العذب ص٥٨. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقية ص١٨٥.

٣ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٦١. * سيف الدين الكاتب: أعلام من المغرب والأندلس ص١٧. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص٢٧٢.

بعد دهر طويل من الفتن.

إلا أن هذا الأمن لم يستمر طويلاً إذ انتفضت قبيلة ورفجومة سنة ١٦٤هـ في أرض الزاب وولوا عليهم أبازرجونة الورفجومي.

فأرسل إليه يزيد جيشًا بقيادة يزيد بن مجزأة المهلبي فالتقوا واقتتلوا ولكن انهزم جيش يزيد وقُتِل كثير من أصحابه، وذكر ابن الأثير أنه قتل في هذه المعركة المخارق بن غفار والي الزاب فولى يزيد مكانه ابنه المهلب بن يزيد المهلبي، أما الرقيق فيذكر أن يزيد عزل المخارق عن الزاب، وولى مكانه المهلب بن يزيد. فكتب المهلب إلى أبيه يستأذنه في الخروج إلى ورفجومة، إلا أن يزيداً أمره أن يتريث وينتظر المدد حيث أمده بجيش كبير بقيادة العلاء بن سعيد المهلبي وكتب إلى ابنه المهلب أن يستخلف على عمله من يثق به وينضم لجيش العلاء مع بقية فلول الجيش المنهزم، فتجمعت القوات للقاء ورفجومة، ودارت معركة حامية الوطيس انهزم فيها البربر وقتلوا وتتبعهم الجيش في كل سهل وجبل حتى أتى على آخرهم، ولم يقتل من الجند أحد[1].

وهذه مبالغة من المصادر لابدً من الإشارة إليها، فإن هذا الجيش لم يقضِ على البربر على آخرهم، وأن هذا الجيش لايمكن أن يقوم بهذه المعركة الحامية الوطيس دون أن يقتل منه رجل واحد.

وبعد هذه المعركة استقامت البلاد ليزيد بن حاتم واطمأن الخليفة

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦١-١٦٢. * ابن الأثير: الكامل ٣٣:٥. * الناصري: الاستقصاء ١٣٢:١-١٣٣.

المنصور على الوضع في بلاد المغرب قبل وفاته. وقيل: إنه كان منذ لقاء عمر بن حفص بالخوارج إلى انقضاء أمرهم ثلاثمائة وخمسة وسبعون وقيعة[١].

* إصلاحاته:

من أهم الأعمال التي قام بها يزيد: اهتمامه بناحية العمران الديني المتمثل في إصلاحه للمسجد الجامع بالقيروان، ويظهر لي أن إصلاح المسجد كان كبيرًا وجذريًا حيث قيل: إنه هدم جامع القيروان ماعدا المحراب[٢] وجدد بناء المسجد من جديد، وكان ذلك سنة ١٥٧هـ وصار المسجد غاية في الجودة والحسن[٣].

أما ماقام به يزيد بن حاتم من إصلاحات وتنظيمات إدارية ، فقد ظهر في النشاط الاقتصادي حيث رتّب أسواق القيروان، وجعل لكل صناعة مكانًا مخصصًا لها، وبذلك ساهم في نشاط الحركة التجارية بهذا التنظيم الدقيق والترتيب المتقن حتى استحق قول المؤرخين: "إنه الذي مصَّرَها، لم يَبعد عن الحق"[٤].

كما هدأت أحوال البلاد السياسية واستقرت أوضاعها بعد ذلك

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٧:١.

٢ ـ ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٦.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص ١٤٩ و ١٦٢. * ابن عذارى: البيان المغرب ٧٩:١. * إحسان حقي: تونس العربية ص٤٨.

٤ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٤٩. * النويري: نهاية الأرب ٨٦:٢٤. *سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٣٦٥:١.

في عهده فلم تذكرالمصادر أي ثورات لامن الجند ولامن الخوارج، ممايؤكد إحكام قبضته على أمور البلاد حتى استقامت له مدة ولايته وهي مدة طويلة امتدت إلى خمسة عشر عامًا منذ ولايته إلى وفاته[١]. حيث صعدت روحه إلى بارئها يوم الثلاثاء لاثنتي عشر ليلة بقين من شهر رمضان[٢] عام ١٧٠هـ في خلافة هارون الرشيد[٣].

وهناك من يذهب إلى أن وفاته في رمضان سنة ١٧١هـ . وذكروا أن ولايته كانت خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر[٤]. وكانت وفاته بدار الإمارة بالقيروان التي كانت بالموضع المعروف برحبة التمر، وقيل توفي بمنية الخيل ممايلي باب سالم[٥] ودفن بباب سالم[٦].

وقد استمرت ولايته على إفريقية جزءًا من خلافة أبي جعفر المنصور وخلافة المهدي وخلافة موسى الهادي وبعضًا من خلافة الرشيد[٧].

---

١ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٢٣.

٢ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٩. * الناصري: الاستقصاء ١:١٣٣.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٢. * ابن الأثير: الكامل ٥:٣٣. * النويري: نهاية الأرب٢٤:٨٦. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٨. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١-٨٢. * ابن خلدون: المصدر السابق ٣:٢٢٧. * ابن تغري بردي: المصدر السابق ٢:١. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٠. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ص١٢٠.

٥ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٦٢.

٦ ـ ابن خلكان: المصدر السابق ٥:٣٦٩.

٧ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص ٤٤١ -٤٤٦- ٤٦٤. * اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٣٨٦-٣٨٧.

وللتاريخ والأحداث لي وقفة مع يزيد بن حاتم تبين من هو يزيد؟ وبماذا اتصف؟ وماقيل فيه من مدح، وماتمثل فيه من خوف الله وخشيته ويقظة على شؤون الرعية من خلال عدة مواقف له يرويها لنا التاريخ.

منها الخبر المشهور الذي يرويه الرقيق القيرواني بقوله: :إن من أخباره المشهورة بإفريقية أن بعض وكلائه أتاه يومًا فقال: «أعزَّ الله الأمير، أعطيت في الفول الذي زرعناه في فحص القيروان كذا وكذا» وذكر مالاً جليلاً، فسكت عنه وأمر قهرمانه وطباخه أن يخرجا إلى ذلك الموضع وأمر فراشيه أن يضربوا فيه، مضارب كثيرة، وخرج مع أصحابه فتنزه فيه وأطعم، فلما أراد الانصراف دعا بالوكيل وأمر بأدبه، وقال: «يابن اللخناء، أردت أن أعير بالبصرة، فيقال: يزيد بن حاتم باقلاني، أمثلي يبيع الفول لاأمَّ لك؟» ثم أمر بإباحته فنادى في أهل القيروان بالخروج إليه، فخرج إليه الناس، فمن بين آكل وشارب ومتنزه حتى أتوا على آخره"(٢).

وهذه القصة تشهد بأن يزيد رفض أن ينافس الناس في المكاسب مستغلاً ماله من نفوذ وسلطة، وكان من كرمه أن جعل هذه المزارع للناس فأكلوا ونعموا.

ومن مشهور أخباره أيضًا : «أنه خرج من القيروان يومًا متنزهًا إلى منية الخيل، وهو الذي حفر البئر العذبة وبناها، وجعل خيله هناك في اصطبلات، أمر ببنائها في هذه المنية، فبذلك سميت منية الخيل،

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٧-١٥٨. * النويري: نهاية الأرب ٨٥:٢٤.

ونظر يوماً في طريقه إلى غنم كثيرة، فقال: "لمن هذه الغنم؟" فقالوا: "لاسحاق ابنك". فدعا به، فقال: "ألك هذه الغنم؟" قال: "نعم"، قال: "لِمَ أردتها؟" قال: "آكل من خرافها وأشرب من ألبانها، وأنتفع بأصوافها"، قال: "فإذا كنت أنت تفعل هذا، فما بينك وبين الغنامين والجزارين فرق". وأمر بالغنم أن تذبح وتباح للناس، فانتهبوها وذبحوها وأكلوا لحمها، وجعلوا جلودها على كدية، فهي تعرف من ذلك الوقت إلى اليوم بكدية الجلود »(١).

وفي ذلك إشارة إلى مدى كثرة هذه الغنم التي أباحها للناس لدرجة أن جلودها كونت مايعرف بالكدية أي الأرض الغليظة، وذلك دليل على كرم يزيد حيث لم يبخل على الناس بكل هذه الأغنام التي أراد ابنه أن يتاجر فيها فأحلها هو للناس ونهى ابنه عن ذلك، فقد "أنف لابنه من مشاركة العامة في أسباب التكسب، لما في ذلك من جور يتوقع"(٢).

وكان يزيد بن حاتم يكرم الشعراء ويجزل لهم العطاء وكان له أكثر من موقف كتبه له التاريخ لإكرامه للشعراء ومامناله من حسن مديحهم وماتردد على ألسنة الناس من أبيات التبجيل له والإشادة بكرمه، فقد وفد عليه في إفريقية أبو أسامة ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي فأكرمه وأحسن إليه فمدحه بأشعار كثيرة منها قصيدته التي يمدحه فيها ويهجويزيد بن أسيد السلمي والي أرمينية ثم والي مصر بعد أن قصده

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٨. * النويري: نهاية الأرب ٨٧:٢٤.

٢ ـ ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ص١٢٠.

بشعر أجاد فيه فقصَّر في حقه، وقصد يزيد بن حاتم فبالغ في الإحسان إليه، فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد من أبياتها:

حلفت يميناً غير ذي مثنوية
يمين امرئٍ آلى وليس بآثم
لشتان مابين اليزيدين في الندى
يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال، والفتى
أخو الأزد للأموال غير مسالم
فهمُّ الفتى الأزدي إتلاف ماله
وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلايحسب النمام أني هجوته
ولكنني فضّلت أهل المكارم(١)

فصار قوله: "لشتان مابين اليزيدين في الندى" مثلاً يتمثل به في كل ناحية على لسان كل سائر، وقيل إنه كان على ربيعة وقومه ديات يجب دفعها فقصد يزيد بن أسيد فلم ينل منه شيئًا ثم رحل إلى يزيد بن حاتم بالقيروان فأجزل له العطاء وأعطاه عشر ديات وأحسن إليه فامتدحه بالأبيات السابقة(٢) كما امتدحه كثير من الشعراء ومنهم ابن

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٢-١٥٣. * ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٥-٣٦٦.

٢ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٥٣. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١.

المولى محمد بن عبد الله بن مسلم الذي يروي لنا كرم يزيد بن حاتم بقوله: "كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه، فلما ولاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة، فأنشدته منذ خرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن صار إلى مسجد الصخرة، فأعطاني رزمتين ثيابًا وعشرة آلاف درهم، فاشتريت بها ضياعًا تغل ألف دينار، أقوم في أدناها فأصيح أغنى أغني، فلايسمعني من هو في أقصاها"(١). ومن عظيم هذا العطاء المبذول من يزيد يظهر مدى كرمه ومدى ماوصلت إليه القيروان في عهده من رخاء وسعة بفضل الاستقرار.

ومن أبيات ابن المولى هذا في مدحه ليزيد بن حاتم قوله:

ياواحد العرب الذي دانت له

قحطان قاطبة وساد نزار

إني لأرجو إن لقيتك سالمًا

ألا أعالج بعدك الأسفار(٢)

وفيه يقول ابن المولى أيضًا:

ياواحد العرب الذي

أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك ثانيًا

ماكان في الدنيا فقير

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٥-١٥٦.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١.

فدعى يزيد بخازنه وسأله كم في بيت مالي؟ قال: فيه من الوَرِق والعين مامبلغه عشرون ألف دينار فقال: إدفعها إليه، ثم قال: ياأخي المعذرة إلى الله تعالى وإليك، ولو كان في ملكي غيرها ماادخرتها عنك.

وفي مدحه أيضًا قال ابن المولى:

وإذا تباع كريمة أو تشترى

فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا تُخيل من سحابك لامع

سبقت مخيلته يد المستمطر

وإذا صنعت صنيعة أتممتها

بيدين ليس نداهما بمكدر

وإذا الفوارس عُددت أبطالها

عدُّوك في أبطالهم بالخنصر(١)

وممن قدم عليه من الشعراء مروان ابن أبي حفصة الشاعر الذي أنشده:

إليك قصرنا النصف من صلواتنا

مسيرة شهر ثم شهر نواصله

---

١ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٩.

فلانحن نخشى أن يخيب رجاؤنا

لديك ولكن أهنأ البر عاجله

فأمر يزيد بصرف عطايا الجند ثم قال لهم: من أحبني وأحب أن يسرني فليعطِ هذا الشاعر درهمًا، وكان معه خمسون ألف مرتزق فاجتمع للشاعر منهم خمسون ألف درهم وأعطاه هو من عنده خمسين ألفًا، فرجع الشاعر بمائة ألف درهم في بيتين[١] ويذكر ابن خلكان أن عطاء الجند له كان درهمين فاجتمع للشاعر مائة ألف درهم وأعطاه يزيد مائة ألف أخرى[٢].



١ ـ ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٧. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٠.

٢ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٨.

* القضاء في أيام يزيد بن حاتم *

اهتم يزيد بن حاتم بنشر العدل وسيادته في إفريقية وعمل على أن يصل إلى كل إنسان حقه، وقد تولى القضاء في عهده رجال لهم مكانتهم ومنزلتهم السامية، منهم: أبوخالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري السفياني: من أهل إفريقية من رجال الطبقة الثالثة، مات في خلافة أبي جعفر المنصور[١]. وهو أول مولود ولد في إفريقية بعد أن تمَّ فتحها وذلك سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين هجرية، وقد ولد ببرقة والجند داخلون إلى إفريقية[٢].

وكان من كبار العلماء وجملة المحدثين، ذا ورع وزهد وصلاح، روى عن أبيه زياد بن أنعم، عن أبي أيوب، ويروي عن جماعة من التابعين منهم: أبو عبد الرحمن الحُبُلي، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وبكر بن سوادة.

وروى عنه الكثير من أصحاب كتب الحديث منهم: سفيان الثوري، وابن لهيعة، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المبارك، وروى عنه من أهل القيروان جماعة منهم: عبد الله بن غانم القاضي، والبهلول بن راشد، وعبد الله بن أبي حسان، ومعاوية الصمادحي، وغيرهم[٣].

ولي القضاء مرتين: الأولى في أيام بني أمية ، ولاه عليها مروان ابن محمد المعروف بالجعدي، وظلَّ قاضياً إلى سنة ١٣٢هـ حيث عزل عن

---

١ ـ ابن خياط: الطبقات ص٢٩٦..

٢ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٢٩.* الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣٦.

٣ ـ الدباغ: االمصدر السابق ١:٢٣٠.

القضاء وولي القاضي أبوكريب وكان فاضلاً ورعًا قتلته الصفرية سنة١٤٤هـ لما خرج ليدافع عن القيروان. فأرسل علماء إفريقية وفدًا إلى الخليفة أبي جعفر المنصور وكان رئيس الوفد عبد الرحمن بن زياد فأرسل الخليفة جيش محمد بن الأشعث لإنقاذ الموقف وأمره أن يولي عبد الرحمن بن زياد على قضاء إفريقية لما له من صفات الدين والفضل والزهد[١] وظلّ عبد الرحمن قاضيًا على إفريقية للمرة الثانية فترة إمارة ابن الأشعث و الأغلب بن سالم وعمر بن حفص وزمنًا من ولاية يزيد بن حاتم[٢].

وكان قاضيًا عدلاً صلبًا في قضائه[٣] سار في أهل القيروان بسيرة أهل العدل وأقام فيهم الكتاب والسنة[٤].

ومن مشهور أخباره مارواه أبوعثمان المعافري قال: "كنت يومًا عند عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قاضي إفريقية، وهو يتنفس الصعداء، والكآبة ظاهرة عليه، حتى أتاه شاب معه مخلاة بصل، فأسر إليه كلامًا فأسفر وجهه وتبسم، وقال لغلامه: "جئنا بالفول الذي طبخوه البارحة لنا"، فجاءه به، فقال: "تقرَّب" قال أبو عثمان: فقلت: "لاأفعل". قال: "ولِمَ ياأباعثمان، أظننت ظنًا؟" قلت له: "نعم". قال: "أحسب ياأباعثمان أنك قلت إذا رأيت الهدية دخلت دار القاضي، فاعلم أن الأمانة قد خرجت من

---

١ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١٠١-١٠٢.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٦. * الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣٤.

٣ ـ أبوالعرب ابن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٢٧.

٤ ـ المالكي: المصدر السابق ١:١٠٢.

كوة داره، وليس هو هدية"، [إنما هو مولى لي أتاني بهذا البصل من ضيعتي] قال: فقلت له: "إني كنت رأيتك مغموماً فلما أتاك هذا الطعام انطلقت وأسفر وجهك"، قال لي: "إنني أصبحت وقد بَعُدَ عهدي بالمصائب، فخفت أن أكون قد سقطت من عين الله، فلما أتاني هذا الغلام ذكر لي أن أكفأ عبيدي وأقومهم بضيعتي توفي، فزال عني الهم والغم واسترحت"(١).

وجرى له موقف مع يزيد بن حاتم فقد كانت هناك امرأة "تدخل إلى نساء يزيد بن حاتم، وكان لها خصومة عند عبد الرحمن، فكتب لها كتاب حكم، وختمه، وأعطاها إياه فأخذته ودخلت به إلى دار يزيد بن حاتم، فقال لها: ماهذا؟ فأعلمته، فأخذه وفضَّ خاتمه وقرأه فصاحت، فقال لها لاعليك، أنا أبعث به إليه يختمه" ثم بعث إليه فقال:" ماأختمه حتى تعيد البينة مرة أخرى، فردَّه عليه يزيد ثانية ليختمه فأبى". فقال: ماأفعل. فلما ولَّى رسول يزيد أخذ عبد الرحمن خاتمه فكسره، وأخذ جلده، وقال: "والله لاأحكم بين اثنين أبداً"(٢).

وكانت تلك الحادثة سبباً في أن يترك عبد الرحمن القضاء ورحل إلى تونس، ولم يزل معظماً في صدور الناس رفيع القدر عندهم حتى توفي رضي الله عنه(٣).

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٥-١٦٦. والزيادة من أبي العرب تميم: طبقات علماء إفريقية ص٢٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص١٦٦-١٦٧. * الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣٤-٢٣٥.

٣ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١٠٢.

وقيل أن سبب وفاته أنه أكل حيتانًا درنية وشرب لبنًا على مائدة يزيد بن حاتم، وكان يوحنا المتطبب حاضرًا، فقال: إن كان الطب حقًا فإن الشيخ يموت الليلة، فمات في ليلته سنة إحدى وستين ومائة وشهد يزيد بن حاتم جنازته حيث وقف خارجًا من باب نافع ورأى كثرة ازدحام الناس على جنازة عبد الرحمن فتمثل ببيت لعبيد بن الأبرص:

ياكعب ماراح من قوم ولا ابتكروا

إلاوللموت من آثارهم حادي[1]

وتوفي عبد الرحمن عن عمر يناهز التسعين عامًا ودفن بباب نافع[2] ورغم أن عبد الرحمن بن أنعم كان قد ترك القضاء إلا أنه كان على صلة بيزيد بن حاتم لأنه كان محمود السيرة في ولايته وله مناقب مشهورة لذا استخف عبد الرحمن أكل طعامه على ورعه وفضله رحمه الله[3].

ومن القضاة في ولاية يزيد بن حاتم الذين كان لهم دور في نشر العدل، يزيد بن الطفيل التجيبي: القاضي واسمه عبد الله بن عبد الرحمن، وسبب توليه القضاء "أنه قدم إلى القيروان وزير للخليفة فدخل المسجد الأعظم، فرأى حلقة عظيمة وفيها شاب، وكلما اختلف

---

١ ـ المالكي: رياض النفوس ١٠٢:١. * الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٨. * ابن عذارى: البيان المغرب ٨٠:١.

٢ ـ الدباغ: معالم الإيمان ٢٣٦:١.

٣ ـ المالكي: المصدر السابق ١٠٣:١. * الدباغ: المصدر السابق ٢٣٧:١.

اثنان ممن حضر الحلقة رُجِع إليه وصدرا عن رأيه، فقال الوزير: "من يكون هذا؟" فقيل له: هذا يزيد بن الطفيل، فرجع الوزير إلى الخليفة فبينما هو يومًا بين يدي الخليفة ذكر قاضيًا لإفريقية، فقال له الوزير: أين أنت من ابن الطفيل؟ ووصف له ما رأى منه فبعث إليه بسجله. فبينما ابن الطفيل على دكان له على باب داره بصطفورة إذ أقبل البريد فقال: من فيكم ابن الطفيل؟ فقيل له: هذا، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أيها القاضي، وناوله السجل"(١).

ومن هنا يتضح اهتمام الخليفة بإصلاح أوضاع القيروان باختيار خيرة القادة والولاة الشجعان لإصلاح الأوضاع السياسية واختيار خيرة القضاة لإصلاح الأوضاع الاجتماعية، وكان يزيد بن الطفيل يركب حمارًا حتى يأتي المسجد الجامع بالقيروان وقد كانت المساجد مجلس القضاة للحكم بين الناس فلم يكن هناك دار قضاء، فكان يزيد بن الطفيل يصل إلى المسجد ثم ينزل ويخلي الحمار فينطلق الحمار يريد دار يزيد بن الطفيل بغير قائد ولاسائق فيأكل مايلقى في الأزقة من حشيش وبقل، حتى يصل دار ابن الطفيل فيؤخذ ويُدخل الدار حتى يحين وقت عودة ابن الطفيل فيسرجوا الحمار فيأتي إلى باب الجامع فيخرج ابن الطفيل ويركبه وينصرف(٢).

ويذكر أن ابن الطفيل كان يجلس أحيانًا في المسجد الجامع من

---

١ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١١٠-١١١.

٢ ـ أبوالعرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٣٢. * المالكي: رياض النفوس ١:١١١.
* الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٧.

أول النهار فلايأتيه أحدإلى أن ينصرف لقلة الخصومات في ذلك الزمان[1] وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على أوضاع البلاد الهادئة أيام يزيد بن حاتم وما اتصف به عهده من استقرار وأمان.

وقد عزل يزيد بن حاتم القاضي أبا الطفيل لأنه كان إذا انصرف من مجلس قضائه يستودع ديوانه رجلاً صباغًا مقابل المسجد الجامع فمنعه يزيد من ذلك فقال: "إنها مختومة وأنا أحفظ مافي ديواني فلايضرني هذا" فرأى يزيد أن في ذلك تضييع لحقوق الناس وهو ليس من سير القضاة فعزله[2].

وهذا يدل على حرص الوالي يزيد بن حاتم على ديوان القاضي لما فيه من أسرار وأخبار ومتابعته للقضاة ومراقبتهم.

وإذا كان المغرب في عهد يزيد قد سعد بهذا العدد من القضاة الفضلاء، فقد زخر كذلك بعدد كبير من الفقهاء الذين كان لهم دور مهم في تعليم الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، ومن هؤلاء الفقهاء: عبد الله بن فروخ الفارسي: من شيوخ أهل إفريقية، وقد رحل في طلب العلم فلقي بالمشرق مالك ابن أنس وسفيان الثوري ولقي أيضًا أباحنيفة وكان يكاتب مالكًا وكان مالك يعرفه ويكاتبه بجواب مسائله، وكان ثقة في حديثه[3].وكان لهؤلاء الفقهاء دور كبير في القيروان، فقد حملوا على

١ ـ أبوالعرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٣٢-٣٤. * المالكي: رياض النفوس ١١١:١.

٢ ـ أبوالعرب بن تميم: المصدر السابق. ص٣٤. * المالكي: المصدر السابق. * الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٨.

٣ ـ أبوالعرب بن تميم: المصدر السابق ص٣٤.

عاتقهم مسؤولية توعية الناس وإرشادهم وتوجيههم للصحيح من تعاليم الإسلام وكانوا لايخافون في الله لومة لائم، ويظهر لنا ذلك من تلك الحادثة التي وقعت لعبد الله بن الفروخ مع إسحاق بن يزيد بن حاتم حيث "حضر عبد الله بن الفروخ الفقيه جنازة في باب نافع فرأى إسحاق ابن يزيد بن حاتم قد أغرى كلابه على ظبي ليضربها الصيد فنهشته ومزّقت جلده، فلما انصرف استوقفه ابن فروخ، فوقف له اسحاق، فما كناه ابن فروخ ولا زاد أن قال: يافتى إني رأيتك تغري كلابك آنفًا ببهيمة، ومأأحب ذلك قال له إسحاق: صدقت ياأبامحمد، جزاك الله خيرًا، ولم يزل لديه مكينًا معظمًا عنده، ثم قال له: والله لافعلت ذلك بعد يومي هذا أبدًا(١)". وقد عرض روح بن حاتم على عبد الله بن فروخ تولية القضاء إلا أنه رفض(٢).

ومنهم أبويزيد رباح بن يزيد بن رباح اللخمي: كان صالحًا فاضلاً، زاهدًا يُضرب به المثل في زهده وعبادته، غزير الدمعة كثير الإشفاق والخشية(٣).

ويذكر أنه هو ،والبهلول بن راشد أنكرا على بعض أعوان يزيد بن حاتم أمرًا فتعرض هؤلاء الأعوان بمايضايقهم فقال: البهلول لرباح بن يزيد لنذهب إلى يزيد بن حاتم لنرفع أمرنا، فقال له رباح إقعد ياضعيف يكفيك الله مؤنتهم، فبينماهم كذلك إذ أقبل بالذين غيّر عليهم البهلول

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٥٩.

٢ ـ أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية. ص٣٥.

٣ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٥٣.

المنكر وقد ضربت ظهورهم وبطونهم والمنادي ينادي عليهم هذا جزاء من يتعرض لرباح بن يزيد والبهلول بن راشد(١)، وهذا يبين مدى ورع يزيد وتقواه ويقظته فقد أنصف الفقهاء الصالحين ممن أساء إليهم من رعيته ولم يقبل عليهم سوءاً، وقد كان لهؤلاء الفقهاء كلمة حق على الوزراء فيروى "أن رجلاً من الأندلسيين أتى إلى رباح بن يزيد فقال له: ياأبايزيد إن سعيد بن لبيد - وزير يزيد بن حاتم - أخذ مني جارية لي، فأخذ رباح عصاه ثم انطلق معه إلى دار سعيد بن لبيد فوجد جماعة من الناس قد حفُّوا ببابه ينتظرونه، فألقى عصاه بينهم وجلس حتى خرج سعيد بن لبيد راكباً من داره فلما رآه من كان على بابه من تلك الجماعة نهضوا على أقدامهم وثبت رباح جالساً فقصد سعيد بن لبيد إلى رباح ورباح جالس وجعل سعيد بن لبيد يقول لرباح في الجماعة الذين قاموا له على أقدامهم ياأبايزيد هؤلاء كلهم أبناء دنيا، فقال له رباح: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من سره أن يمتثل الرجال له قياماً فليتبوأ مقعده من النار" فقال له سعيد ياأبايزيد هل من حاجة؟ فقال له رباح أردد على هذا الأندلسي جاريته، فصاح سعيد: جارية الأندلسي فَأُخْرِجَتّ إليه فقبضها صاحبها"(٢) وهكذا نجد كلمة الفقهاء نافذة على الوزراء الذين كانوا يحترمونهم ويقدرون لهم مكانتهم.

وروي أن سعيد بن لبيد دخل على رباح بن يزيد يزوره في مرضه فسلم عليه فلم يرد عليه رباح السلام. فقال له من بحضرة رباح: إنه نائم فدخل الوزير على الأمير يزيد بن حاتم وقد غلبه البكاء وحكى له، فقال

---

١ - أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٤٥.

٢ - أبو العرب بن تميم: المصدر السابق: ص٤٥-٤٦.

يزيد بن حاتم: هبني عاديت لك أهل الأرض أأعادي لك أهل السماء؟ تعال حتى أريك كيف يُعاد مثل رباح، فسلم الوزير فلم يرد رباح فقال الأمير لعواده: إن أبايزيد عليل والعليل يشق عليه الكلام وإذا أجبتمونا عنه فكأنه المجيب، فسألهم عن مبيته وكيف حاله ثم نهض، وجعل كل يوم يعوده يكتفي بمثل هذا الكلام من العواد، حتى توفي رباح في سنة ١٧٢هـ وازدحم الناس على نعشه، فقال يزيد: ازدحموا على عمله ولاتزدحموا على نعشه(١).

رضي الله عن الجميع وأثابهم عن الإسلام خيراً...



---

١ ـ ابن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٤٦. * الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٦١.

٣ ـ دواود بن يزيد بن حاتم

عندما مرض يزيد ـ رحمه الله ـ استخلف ابنه داود على ولاية إفريقية من بعده حتى لايترك البلاد الآمنة لتعبث بها يد الخوارج وغيرهم بعد وفاته وتم ذلك، قبل أن يعين الخليفة الوالي الذي يليه في الولاية، فلما مات يزيد بن حاتم سنة سبعين ومائة[١] تولى ابنه داود الولاية بغير عهد من الخليفة، ويُفهم من ذلك أن ولاية داود كانت بعهد من أبيه حيث استخلفه أثناء مرضه قبل وفاته[٢] وحدث ذلك سنة ١٧٠هـ[٣] حتى يأتي أمر الولاية من بغداد لمن يختاره الخليفة لولاية إفريقية[٤].

وقد قضى داود فترة ولايته محاربًا انتفاضة الإباضية مرة أخرى في جبال باجة[٥]وكان أكثر هؤلاء الإباضية من قبيلة نفزة المعتنقة للمذهب الإباضي بجبال باجة[٦] حيث استغلوا وفاة يزيد بن حاتم وأعلنوا العصيان في جبال باجة وأمَّروا عليهم واحدًا منهم اسمه صالح بن نصير

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٨٢:٥. * ابن خلدون: العبر ١٩٤:٤. * أحمد الأنصاري: المنهل العذب ص٥٩.

٢ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٦٤. * اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٤١١:٢. * ابن عذارى: البيان المغرب ٨٢:١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٦٢،١٦٩. * النويري: نهاية الأرب ٨٦:٢٤-٨٨.

٤ ـ الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٣٢. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٣.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ٨٣:٥.

٦ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩٤.

الإباضي[1] وعند ابن عذارى يسمى نصير بن صالح الإباضي[2] فأعد له داود جيشًا وأسند قيادته إلى أخيه المهلب بن يزيد، ودار بينهما لقاء كانت نتيجته لصالح الإباضية الذين هزموا الجيش المهلبي في باجة وقتلوا جماعة منهم[3] فما كان من داود إلا أن استعد للإباضية بلقاء آخر أخذ فيه كامل أهبته حيث كوّن جيشًا بلغ عدده عشرة آلاف جندي وأسند قيادته إلى سليمان بن الصمة بن يزيد بن حبيب بن المهلب[4] أحد أفراد أسرة المهالبة التي اشتهرت بإنجاب القواد والأبطال، وجاءت نتيجة المعركة في صالح الجيش المهلبي الذي استطاع تحقيق النصر على الإباضية الذين ولوا هاربين أمامهم فتتبعهم جيش سليمان وقتلوا منهم أعدادًا كبيرة[5] "أكثر من عشرة آلاف وسلم الجند "[6] أي جند المهالبة.

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦٩. * النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. * مبارك الميلي: تاريخ الجزائر ٥٤:٢. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩٤.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٨٢:١. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٧٣. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٨٧.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٨٢:١. * النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٧٣. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٧١:١.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦٩. * النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. *سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٧٢:١.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ٨٣:٥. * مبارك الميلي: تاريخ الجزائر ٥٤:٢. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٨٧. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٢٧٣.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦٩. * النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. *سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٧٢:١.

ولم تكن هذه المعركة نهاية لثورة الإباضية إذ أنهم عاودوا محاولة التجمع مرة أخرى وتمكن قائدهم صالح بن نصير من حشد قوات الإباضية حوله من الذين لم يشتركوا معه في المعركة السابقة "وانضم إليه جماعة من مشيخة أهل البصائر من البربرممن لم يكن شهد الوقعة الأولى بشقبنارية من كورة الأربس"(١) فزحف إليهم سليمان بن الصمة مرة أخرى واستطاع تحقيق النصر عليهم وهزيمتم هزيمة ساحقة لم تقم لهم بعدها قائمة، وقتل من أهل البصائر منهم عددًا كبيرًا، ثم انصرف سليمان عائدًا إلى القيروان(٢) وقد جعل داود في فترة ولايته على شرطته خالد بن بشير، وولى على الزاب المهلب بن يزيد(٣) ولم تطل فترة ولاية داود بن يزيد على إفريقية حيث استمرت أقل من عام واحد وقداختلف المؤرخون في تحديدها فقيل: إنها كانت تسعة أشهرٍ ونصف شهرٍ(٤). وقيل: إنها تسعة أشهرٍ فقط(٥).

أما الرقيق القيروان فذكر: أنها سبعة أشهرٍ ونصف شهرٍ(٦) إلى

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦٩.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦٩. * النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. *سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي٣٧٢:١. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص٩٤.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦٩. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي٣٧٢:١.

٤ ـ ابن عذارى البيان المغرب ٨٢:١. * النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢١. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٨٧.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ٨٣:٥. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٣.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٧٠.

أن قدم عمه روح بن حاتم بعهد من الخليفة الرشيد بولاية القيروان(١) وانصاع داود لأمر الخليفة وتنحى عن الولاية وتركها لعمه . وعاد داود إلى المشرق حيث عينه الرشيد بعد ذلك على ولاية مصر في المحرم من سنة أربع وسبعين ومائة ثم ولاه السند بعدها فمات بها وهو أمير عليها(٢). ويذكر الرقيق أن داود كان أجلَّ قائد عند الرشيد(٣) حيث أسند إليه هذه المناطق الهامة مثل بلاد مصر وبلاد السند؛ مما يؤكد قوة داود وثقة الخليفة فيه واعتماده عليه ومع هذا التقدير للدور الذي قام به داود خلال فترة ولايته القصيرة فإن اليعقوبي يقول عنه : " استخلف [أي يزيد بن حاتم] ابنه داود بن يزيد بن حاتم؛ فلم يقم فيهم بالعدل، وقاتلوه فهزموه، فولى الرشيد روح بن حاتم المهلبي"(٤). ومما ذكره المؤرخون سابقا عن الدور الذي قام به داود أقول : إن ما ذكره اليعقوبي مناف للواقع؛ فثورة الإباضية ضد داود لا تعني أنها كانت ثورة من أهالي القيروان ضد حكم داود الظالم؛ وما يؤكد ذلك تولي داود بعد ذلك إمارة مصر ثم السند . ويؤكد ذلك أن الخليفة الرشيد كرَّم داوُد عند عودته إلى مقر الخلافة حيث يقول النويري: "وسارداود إلى المشرق فأكرمه الرشيد وولاه مصر، ثم ولي السند فمات بها"(٥).ولكن يمكن أن أقول في ذلك أن ولايةداود بن يزيد جاءت عن طريق والده قبل وفاته، وتسمية والي إفريقية يجب أن تصدر

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٨٣:٥. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ص١٢١.

٢ ـ الكندي: الولاة والقضاة ص١٣٣. * الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٠. *النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٧٢:١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٠.

٤ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٤١١:٢.

٥ ـ النويري: نهاية الأرب ٨٨:٢٤.

عن الخليفة العباسي حتى لا تصبح ولاية إفريقية وراثية فتتكون دولة مستقلة عن الخلافة. لذلك فإنه من الطبيعي أن لايقبل الخليفة تولية الوالي أحد أبنائه. ومن ناحية أخرى فإن عائلة المهلبيين ذات علاقة وطيدة بالخلافة العباسية؛ فمن حسن سياسة الخليفة أن لايترك ولاية إفريقية لداود بن يزيد في حال وجود عمه روح بن حاتم وهو أكبر منه سنًا وقيمة وأكثر منه حنكة سياسية. أما قصرالفترة التي قضاها داود في الولاية، فهي أمر طبيعي حيث إن بلوغ خبر وفاة يزيد وولاية ابنه يتطلب فترة من الزمن، ومن حسن نظر الخليفة أن يترك الإبن يواصل عمل أبيه في مواجهة الثورات القائمة إلى أن يستقر الأمر نسبيًا يصدر أمر الخليفة بالولاية الجديدة لروح بن حاتم. وتشير رواية ابن الخطيب أن الخليفة هارون الرشيد ولّى روح بن حاتم لما بلغه خبر وفاة يزيد[1]؛ وأن روحًا هو الذي تأخر بوصوله إلى إفريقية واستلامه الولاية فترة سبعة أشهرٍ ونصف أو تسعة أشهرٍ ونصف على اختلاف الروايات السابقة، وأن تأخّره هذا كان بموافقة الخليفة الذي تشير المصادر إلى أنه خرج بنفسه ليشيع روح ويوصيه[2]. وبقدوم روح إلى القيروان طويت صفحة تلك الفترة القصيرة لولاية داود بن يزيد.

---

١ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٩.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٥.

٣ـ روح بن حاتم

هو أبو حاتم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أخو يزيد بن حاتم[١]، كان حاجب المنصور[٢] وتقلد أهم خمس ولايات للخلافة العباسية فقد ولي البصرة والكوفة والسند وطبرستان وفلسطين وولايات كثيرة[٣]. وقد عاصر وولي لخمسة من الخلفاء: السفاح، والمنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد[٤]، أوفده الرشيد لولاية المغرب خلفا لأخيه يزيد فقدمها في شهر رجب سنة إحدى وسبعين ومائة هجرية[٥]. وكان اختيار هارون الرشيد لروح حسن سياسة منه صادفت أهلاً لها من حسن الصفات فقد كان روح كأخيه يزيد عالي الهمة ذا رأي

---

١ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٤:٢. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٧.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٨٤:١. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٩. * وعن الحجابة زمن العباسيين: فإنه :كانت مرتبة الحاجب لدى العباسيين دون مرتبة الوزير، وزاد الحجاب في منع الناس عن مقابلة الخلفاء إلا في الأمور الهامة، وقد أحدثوا دارين بينهم وبين الناس، داراً للخاصة وداراً للعامة. كما أحدثوا حاجبين: حاجب لكل دار، وكان الخليفة يقابل كل طائفة من الناس في مكانها المعين لها. وقد علت مرتبة الحاجب مع الزمن أيام العباسيين، فأصبح يستشار في كثير من أمور الدولة" أنظر أنور الرفاعي: النظم الإسلامية ص٧٠.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧١. * ابن عذارى: البيان المغرب ٨٤:١. * محمد الأندلسي الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية ٢٣٤:١.

٤ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٤:٢. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٨. * الوزير السراج: الحلل السندسية ٢٣٤:١.

٥ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢٣٥:٨. * ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٦٥:٢. * ابن خلدون: العبر ١٩٤:٤.

وحكمة وعلم وشجاعة وحزم(١) فضلاً عن سخاء وكرم؛ فقد كان من الكرماء الأجواد(٢) وكان له بُعد صيت في الأدب .ومن المشهور عنه في كرمه ولباقته وبلاغته في استخدام الألفاظ ما يُحكى بأنه بعث إلى كاتب له بثلاثين ألف درهم ووقع إليه: قد بعثت إليك بثلاثين ألف درهم لاأستقلها لك تكبراً ولاأستكثرها لك تمنّنا، ولاأستثنيك عليها ثناءً، ولاأقطع عنك بها رجاء، والسلام(٣).

وكان كما وصفه الرقيق "شيخًا حازمًا قد حلب الدهر أشطره، وذهب أكثر عمره في إمارة يديرها أو حرب يسعرها"(٤).

وكان أكبر سنًا من أخيه يزيد ، وقد حدث روح عن ولايته لإفريقية فقال "كنت عاملاً لهارون الرشيد على فلسطين، ثم صرفني عنها، فخرجت منها أريد بغداد، فوافق وصولي نعي أخي يزيد، فأرسل إليَّ هارون، فلما دخلت عليه قال: ياروح أحسن الله عزاءك في أخيك يزيد، فقد توفي ولاشك أنه له صنائع بإفريقية، فإن ولي مكانه غيرك لم آمن عليهم، فاخرج إلى إفريقية، واحفظ صنائعكم"(٥).

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٥. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٠.

٢ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٦٢:٢. الوزير السراج: الحلل السندسية ٢٣٤:١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧١. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٠. * كذلك رُوي عن رباطة جأشه أنه مات له ابن، فدخل أصحابه يعزونه فإذا هو ضاحك، فتوقفوا عن تعزيته، فعرف ذلك منهم، فأنشأ يقول:

وإنّا لقوم ماتفيض دموعنا   على هالك منّا وإن قصم الظهر

* ابن عذارى: البيان المغرب ٨٤:١. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١٢١:١.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٣.

٥ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٩.

وفي هذا النص دليل على مكانة بيت آل المهلب كما يظهر اهتمام الخليفة هارون الرشيد بإرضاء أهل إفريقية بأن يولى عليهم من يميلون إليه من الولاة.

وكان داود بن يزيد على إمارة إفريقية عندما قدم عمه روح بن حاتم فسلمه داود الولاية وسار هو إلى المشرق حيث استعمله الرشيد على ولاية أخرى(١).

ومن اهتمام الرشيد بأمر المغرب وتقديره لروح أنه خرج بنفسه يشيِّع روحًا وأوصاه قائلاً: " عليك بالزاب إملأها خيلاً ورجلاً"(٢) وكان ذلك حقًا فقد قدم روح إلى إفريقية ومعه خمسمائة فارس من الجند ثم لحقه ابنه قبيصة في ألف وخمسمائة فارس(٣).

وعندما قدم روح إلى القيروان بدأ في تغيير بعض ولاة الأقاليم هادفًا إلى استتباب الأمن في البلاد، يقول الرقيق: إنه لما وصل أمَّر العلاء بن سعيد على طرابلس، وعزل المهلب بن يزيد عن منطقة طبنة، واستعمل عليها ابنه الفضل بن روح، أما تونس فقد استعمل عليها الجنيد بن سيار ثم عزله وعين عليها إسحاق بن يزيد بن حاتم، أما برقة فقد عين عليها إبنه قبيصة(٤).

ويظهر من أسماء ولاة الأقاليم إعتماد روح على آل المهلب في

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٨٥.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية: ص١٧٥.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية: ص١٧٣. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٨٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية: ص١٧٣. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٧٣-٣٧٤.

المناصب الهامة.

وتجمع أكثر المصادر على أن البلاد كانت هادئة والسُبل آمنة في زمن ولاية روح، يؤكد ذلك عدم وجود ثورات إباضية أوصفرية أوثورات للجند ضد الولاة حيث خلا عهده من الحروب التي تعودت بلاد إفريقية عليها في تلك الحقبة من عهد الولاة باستمرار. وقد يعود هذا الهدوء إلى قوة روح وشدة قبضته على زمام الأمور في البلاد وحسن سياسته.

ويعلق ابن الأثير على أمن البلاد وسكونها في فترة روح بأن أخاه يزيد كان قد أكثر القتل في الخوارج بإفريقية فذلوا[١]. وأرى أن ذلك التحليل غير دقيق فقد قامت ثورة للخوارج الإباضية بعد وفاة يزيد في الفترة التي تولى فيها داود بن يزيد قبل قدوم عمه روح، وأن داود خاض ضدهم أكثر من معركة حتى استطاع تحقيق النصر عليهم كما سبق ذكره في فترة ولاية داود، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى سياسة روح التي أدت إلى هدوء المغرب وسكون أهله، لأنه سار بين الناس بالحلم والعدل فلم تزل البلاد آمنة ساكنة من الفتن في عهده.

وفي فترة الهدوء النسبي هذه تسنى لروح أن يقيم علاقات خارجية لبلاده فوادع عبد الوهاب بن رستم الإباضي صاحب تيهرت[٢]، ويعلق محمد علي دبوز على علاقة المهادنة هذه بأنها تصرف حكيم من الخليفة الرشيد ومن الوالي روح، فقد علموا أن الدولة الرستمية في

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٨٥.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص ١٧٣. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٨٨. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤.

المغرب الأوسط قد أرست قواعدها، وأصبحت من القوة بمكان بحيث يصعب معاداتها، وينحاز المؤلف للدولة الرستمية الإباضية بحيث يمجدها ويثني عليها فهو من البدايةيصف الإباضية بأنهم لايعتدون على أحد، ولايطمعون في التوسع، ولايستبيحون سفك دم امرىء مسلم ثم يشيد بعدل هذه الدولة وأنها ملئت نواحي البلاد التي تسوسها بسياسة الخلفاء الراشدين بالعدل فحققت السعادة[١].

وفي أيام روح ظهرت دولة الأدارسة بالمغرب حيث بويع الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في مدينة وليلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة١٧٢هـ[٢].

عندما ولي روح على المغرب كان كبير السن مع خبرته وحنكته فبعد فترة ظهرت عليه عوارض الشيخوخة وبدأ الضعف الجسدي يسري فيه حتى قيل: إنه ربما خطر عليه النعاس وهو جالس من الضعف والشاخة[٣] فكاتب بعض القواد بذلك إلى الرشيد وأشاروا عليه بتعيين والٍ آخر يخلف روحًا في ولاية هذا الثغر البعيد عن الخلافة حتى لايحدث مايعكر صفو الهدوء السائد ريثما يختار الخليفة من ينوب على الولاية بعد روح، وحتى يصل إليه الأمر يتطلب بعضًا من الوقت. وقد أخذ الرشيد بهذه الفكرة وأوكل العهد بالولاية بعد وفاة روح إلى نصر بن حبيب المهلبي وجعل هذا العهد سرًا وأرسل به إلى بعض رجال القيروان

---

١ ـ محمد علي دبوز: تاريخ المغرب العربي الكبير ٣:١٠٤. (وذلك لأن المؤلف إباضي)

٢ ـ ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٧.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٤.

الموثوق بهم(١) وهم أبو العنبر القائد وصاحب البريد(٢).

وهذا العمل يُظهر حرص رجال القيروان وحرص الخليفة الرشيد على دوام استتباب أمن البلاد.

وقد توفي روح لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان(٣) ويذكر ابن عذارى أنه توفي في ليلة الأحد لسبع بقين من رمضان(٤) في سنة ١٧٤هـ(٥) ودفن إلى جانب قبر أخيه يزيد(٦). وقد دامت ولاية روح بن حاتم ثلاث سنوات وثلاثة شهور(٧).

---

١ ـ محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢١. *ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢١.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٥.

٣ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢:٦٥.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٥.

٥ ـ الطبري: تاريخ الأمم ٨:٢٣٩. * ابن الأثير: الكامل ٥:٨٥.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٨٥. * وقيل لما وجه الخليفة المنصور يزيد بن حاتم إلى إفريقية، ووجه أخاه روحًا إلى السند، فقيل له: لقد باعدت بين قبريهما.. فتوفي يزيد بالقيروان وتولى المغرب روح بن حاتم وتوفي بالقيروان ودفن إلى جانب أخيه، ويذكر ابن خلكان أنه دفن مع أخيه يزيد في قبر واحد، وعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد، رحمهما الله تعالى. * ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢:٦٥. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٠. * الناصري: الاستقصاء ١:١٣٥.

٧ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٣. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٥. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٣.

القضاء في عهد روح بن حاتم

وقد أسند أمر القضاء في عهد روح إلى ثلاثة من القضاة، لكل منهم مكانة ومنزلة عالية، وكانوا لايخشون في الله لومة لائم، وهم:

أ ـ العلاء بن عقبة:

وهو من أهل تونس تولى القضاء لروح بن حاتم، وكان صالحًا ورعًا، ولكنه حدث له مع روح موقف جعله يترك القضاء، فقد حكم لرجل من أهل باجة بحكم ففضّه روح واطلع عليه مما أغضب القاضي العلاء وجعله يترك القضاء دون أن يستأذن من الوالي روح وترك المسجد وهو المكان المخصص لجلوس القاضي وسماعه لشكاوى الناس، فأرسل روح من يبحث عنه فلم يجده في المسجد ولقيه بعد ذلك تاركًا القيروان حيث خرج منها إلى تونس(١). ويظهر هذا صلاح القاضي وتقواه فقد ترك منصب القضاء لأن الوالي تدخل في أموره، كما أنه لم يجامل الوالي ولم يخف نفوذه وسلطته.

ب ـ عبد الله بن فروخ:

أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان ولد بالأندلس سنة ١١٥هـ ثم انتقل إلى إفريقية فسكن القيروان(٢)، ورحل في طلب العلم، فسمع من جماعة من العلماء منهم زكريا بن أبي زائدة

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧١. * سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ١:٣٤٧.

٢ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:١٠٢.

تابعي، وسفيان الثوري[١] ولقي الإمام مالك بن أنس في المشرق وأخذ عنه وكان يكاتب مالكًا في المسائل ومالك يكاتبه في جواب مسائله[٢].

وكان مالك يكرمه ويقدره فقيل إن عبد الله بن فروخ قدم المدينة ثم توجه إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فسلم عليه، ثم أتى مالك بن أنس للسلام عليه، فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام إليه وأقعده بجانبه، وسأله عن أموره وأحواله، وقال له: متى كان قدومك ياأبامحمد؟ فأعلمه أن قدومه كان في الوقت الذي أتى إليه فيه، فقال له: صدقت، لوكان قدومك تقدم إذًا لعلمت بك، ولوعلمت لأتيتك، وجعل مالك لاترد إليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال له "أجب يا أبامحمد" فيجيب عبد الله، ثم يقول مالك للسائل: "هو كما قال لك"، ثم التفت مالك إلى أصحابه وقال: "هذا فقيه أهل المغرب"... كما التقى عبد الله بن فروخ بأبي حنيفة وذاكره وكتب عنه مسائل كثيرة "ويذكر أنه قال: كنت يومًا عند أبي حنيفة، فسقطت آجرةٌ من أعلى داره على رأسي وقدمي، فقال لي: "اختر إن شئت أرش الجرح، وإن شئت ثلاثمائة حديث"، فقلت: "الحديث خيرلي" فحدثني ثلاثمائة حديث[٣].

وكان فقيهًا ورعًا فاضلاً متواضعًا، قليل الهيبة للملوك، لايخاف في الله لومة لائم، مباينًا لأهل البدع، حافظًا للحديث والفقه[٤]، ولقد رغب

---

١ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١١٣.

٢ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ١:٣٤.

٣ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١١٥-١١٦.

٤ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣٨. * الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٠٨.

روح بن حاتم في إسناد القضاء إليه لما توفّر في عبد الله بن فروخ من صفات الورع والتقوى والعلم بكتاب الله وبالمسائل الفقهية فكان اختياره له ليتولى القضاء في عهده وعرضه عليه، إلا أن ابن فروخ أبى ورفض تولي القضاء وقيل: "إنه لما امتنع أمر به أن يُربط، وصعد به على سطح الجامع، فقيل له: أتقبل، قال: لا، فأخذ ليطرح، فلما رأى العزم قال: قبلت، فأجلس في الجامع ومعه حرس، فتقدم إليه خصمان، فنظر إليهما وبكى طويلاً، ثم رفع رأسه فقال لهما: سألتكما بالله إلا أعفيتماني من أنفسكما، ولا تكونا أول مشؤومين عليّ، فرحماه وقاما عنه، فأعلم الحرس بذلك روحًا فقال: اذهبوا إليه فقولوا له: تُشير علينا من نولي، فأقبل فقال: إن يكن فعبد الله بن غانم، فإني رأيته شابًا له صيانة يعتني بمسائل القضاء، فعليكم به فإنه يعرف مقدار القضاء، فولى ابن غانم، فكان ابن غانم يشاوره في كثير من أموره وأحكامه، فأشفق ابن فروخ من ذلك وقال له: يا ابن أخي، لم أقبلها أميرًا، أفأقبلها وزيرًا، فألح عليه ابن غانم وشدد عليه، فلما رأى ذلك ابن فروخ، خرج إلى مصر هربًا من ذلك ورعًا، فمات بها"(١).

وقد أثنى عليه مالك رحمه الله فقال:" هذا فقيه بلده"(٢) وكان لابن فروخ علاقة بأبي حنيفة ؛ وتأثر به، وكان كرهه للقضاء بسبب توجيه أبي حنيفة له، وقد ذكر ذلك ابن فروخ فقال: "قلت لأبي حنيفة ما منعك أن تلي القضاء؟ فقال لي: ياابن فروخ: القضاة ثلاثة: رجل يحسن العوم فأخذ البحر طويلاً فما عساه يعوم يوشك أن يكل فيغرق، ورجل لابأس

---

١ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:١٠٧-١٠٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني تاريخ إفريقية ص١٨٠.

بعومه عام يسيراً فغرق، ورجل لا يحسن العوم ألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته"[١] مما جعله يخاف من تحمل مسئولية القضاء، وقيل إنه أراد الخروج على روح بن حاتم فلما أرسل إليه روح ليوليه القضاء قال: "بلغني أنك ترى الخروج علينا؟ فقال له ابن فروخ: نعم، فتعاظم ذلك على روح، فقال له ابن فروخ: أرى ذلك مع ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً عدة أصحاب بدر كلهم أفضل مني، فقال له روح: قد أمناك على أن تخرج علينا أبداً[٢] لأنه لايجد أحداً مثله فكيف هذه العدة[٣] وتوفي رحمه الله في مصر بعد قدومه من الحج وذلك في سنة ١٧٥هـ وقيل ١٧٦هـ ودفن بالمقطم[٤].

جـ - عبد الله بن غانم الرعيني:

هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل ... بن ذي رعين، كنيته أبوعبد الرحمن كذا نسبه ابن شعبان وابن حارث وأبوالعرب[٥] كان ثقة نبيلاً فقيهاً، عدلاً في قضائه ولاه القضاء روح بن حاتم سنة ١٧١هـ وهوابن اثنتين وأربعين سنة[٦] وقيل: إن الخليفة الرشيد هو الذي ولاه

---

١ - القاضي عياض: ترتيب المدارك ١٠٨:٣. * الوزير السراج: الحلل السندسية ٧١١:١.

٢ - أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ٣٥:١. * الوزير السراج: الحلل السندسية ٧١٠:١.

٣ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨١.

٤ - القاضي عياض: ترتيب المدارك ١١٢:٣. * الوزير السراج: الحلل السندسية ٧١٣:١.

٥ - القاضي عياض: ترتيب المدارك ٦٥:٣.

٦ - أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ٤٣:١. * الوزير السراج: الحلل السندسية ٢٣٢:١.

قضاء إفريقية[١] فكان أحد القضاة الذين يفخر بهم أهل إفريقية [٢]وسمع من كثير من العلماء منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[٣] وخالد بن عمران، ورحل إلى الحجاز والشام والعراق، فسمع الإمام مالك وعليه اعتماده، وسمع من سفيان الثوري، وعثمان بن الضحاك وغيرهم[٤] مما جعل ابن غانم من أهل العلم والدين والعقل والورع والتواضع والفصاحة والجزالة... وكان الإمام مالك يُجِلُّ ابن غانم وإذا جاءه أقعده إلى جانبه وسأله عن أخبار المغرب[٥].

وكان ابن غانم إذا أشكلت عليه قضية أرجأ أمر الخصمين حتى يعود عليه جواب مالك بن أنس[٦]، وكان ابن غانم يلبس من الثياب أرفعها ويجعل لخصومات النساء يومًا يجلس فيه للنظر بينهن ويلبس يومئذ الفرو الخشن وخلق الثياب، وينظر ببصره إلى الأرض، فلايشك من لايعرفه أنه أعمى ويزيل الحجاب والكتاب عنه[٧].

ولم يزل ابن غانم على القضاء إلى أن توفي، فكانت ولايته نحوًا من تسعة عشر عامًا[٨].حيث استمر في القضاء أيام روح بن حاتم ونصر

---

١ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٦٨.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٥.

٣ ـ أبوالعرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ١:٤٣.

٤ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٦٦.

٥ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧١٥.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٨.

٧ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٦٩.

٨ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧١٦.

ابن حبيب والفضل بن روح، وهرثمة بن أعين، ومحمد بن مقاتل العكي، وبعض أيام إبراهيم بن الأغلب[١].

وتوفي في ربيع الآخر سنة ١٩٠هـ من فالج أصابه، وقيل: إن بصره قد كف[٢].



١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٨.

٢ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٢٣.

٤ ـ نصر بن حبيب

كان نصر بن حبيب على شرطة يزيد بن حاتم وكان محمود السيرة محبباً إلى الناس، فلما رأى قواد الرشيد وكان منهم أبوالعنبر القائد وصاحب البريد[١] ماوصل إليه روح بن حاتم من كبر السن والشيخوخة كتبوا إلى الخليفة الرشيد بذلك[٢] ورشحوا له نصر بن حبيب وذكروا فضائله وأنه له سن ومعرفة فإن رأى أمير المؤمنين ولايته فليعهد إليه بالولاية سراً فإن حدث بروح حدثٌ كان الوالي نصر بن حبيب دون أن ينتظر ثغر كبير كإفريقية دون والٍ حتى يأتي عهد الخليفة وأمره، فوافق الرشيد على رأيهم هذا وعهد لنصر بن حبيب بعهده سراً وأرسل به[٣] فلما مات روح بن حاتم اجتمع الناس على اختيار ابنه قبيصة كوالٍ عليهم دون عهد من الخليفة وذلك دون علمهم بالعهد السري من الخليفة لنصر.

فجلس قبيصة في المسجد الجامع واجتمع الناس للبيعة له، فركب أبو العنبر وصاحب البريد بعهد هارون إلى نصر بن حبيب وبلغاه عهد الخليفة إليه بالإمارة وأخذاه إلى المسجد حيث يجلس قبيصة بن روح فأقاماه، وأقعدا نصر وأعلما الناس بأمر العهد وقريء كتاب هارون الرشيد عليهم فسمعوا وأطاعوا[٤].

---

١ ـ كان من اختصاص صاحب البريد أن يكون عين الخليفة في الولايات البعيدة وأن يكتب بالأخبار ويرسلها للخليفة.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٥.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٢. ابن الأبار: الحلة السيراء١:هامش ص٦٥.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٢-١٨٣. * نبيلة حسن محد: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس ص١٦١.

وابتدأ ولايته لعشرين بقين من شهر رمضان سنة ١٧٤هـ[١] وساس نصر أهل إفريقية بالعدل والإحسان حتى قيل: إنه سار بسيرة يزيد بن حاتم فيهم فساد الأمن أرجاء البلاد[٢] ولم تقم بإفريقية فتن في فترة حكمه[٣].

وقد قام نصر بتنظيم الأعمال الداخلية في ولايته فاستعمل العلاء ابن سعيد على الزاب بعد أن عزله عن إمرة طرابلس التي أقام عليها عشر سنين وتسعة أشهر وذلك لأن ثغر الزاب كان قد خلا باعتذار الفضل بن روح عن توليه وتوجهه إلى المشرق بعد أن أسندت ولاية إفريقية إلى نصر، فأسند نصر إمرة الزاب إلى شخص يثق فيه فاختار العلاء بن سعيد الذي أثبت إخلاصه وحسن إدارته أثناء ولايته على طرابلس، كما استعمل على طرابلس النضر بن سدوس المرادي[٤].

واستمرت ولاية نصر على إفريقية إلى المحرم من سنة ١٧٧هـ حيث قدم إلى إفريقية الفضل بن روح بعهد من الخليفة هارون الرشيد[٥].

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٣. * محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير: ٣:١٠٨.

٢ ـ محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢١. * حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٧٣.

٣ ـ د. محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٧٨.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٣. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٧٧.

٥ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٦.

فكانت ولاية نصر على إفريقة سنتين وثلاثة أشهر[١].

ويخطىء ابن خياط حين يذكر أن ولاية نصر بن حبيب كانت سنتين ونصفاً[٢] وقد يكون هذا الخطأ لأنه لم يحدد وفاة روح حيث ذكر أن وفاة روح بن حاتم كانت سنة أربع أو خمس وسبعين فلم يحددها بأنها كانت سنة أربع وسبعين ومائة، وبعزل نصر بن حبيب فقد المغرب رجلاً من آل المهلب اتصف بالشجاعة والنبل والعدل واستطاع أن يحقق الأمن والسلام طوال فترة ولايته.



---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية: ص١٨٣. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١. * حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٣.

٢ ـ خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٦٤.

٥ ـ الفضل بن روح

الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، هو خامس والٍ من آل المهلب يتولى أمر إفريقية للعباسيين[١].

الحقيقة أنه منذ استشهاد الأغلب بن سالم بن عقال في سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م إلى ولاية ابنه إبراهيم سنة ١٨٤هـ/١٨٠٠م أي إلى بدء الدولة الأغلبية، كانت إفريقية في يد رجال من بيت المهلب بن أبي صفرة فيما عدا الفترة التي سيتولى فيها هرثمة بن أعين ومحمد بن مقاتل العكي.

بينما كان قبيصة بن روح يتأهب لأخذ البيعة من الناس في مسجد القيروان بعد وفاة أبيه روح الذي عهد إليه بها كان الرشيد قد عقد الولاية لنصر بن حبيب، فخرج الفضل إلى بغداد وظل يلاحق الرشيد إلى أن كللت مساعيه بإسناد ولاية إفريقية إليه[٢].

وكتب الرشيد بعزل نصر بن حبيب وأن يقوم بأمر الناس المهلب ابن يزيد إلى أن يقدم الفضل، حيث قدم الفضل على القيروان في المحرم[٣] سنة ١٧٧هـ[٤].

---

١ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء هامش ١:٧٦.

٢ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٧٧.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٤. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٦. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٠. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٩٤. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

ويقال: إنه لم يلِ إفريقية أجمل منه ومن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الاغلب(١) ولقد استبشر اهل القيروان بقدوم الفضل بن روح وسُرُّوا به ووصفت الحفاوة التي استقبل بها أهل القيروان الفضل بأنهم نصبوا له السرادقات (القباب) على طول الطريق، من (مسجد أم الأمير) وحتى دار الإمارة في الحي المعروف برحبة التمر، وأورد الرقيق عن عمرو ابن قدومه قال: مارأيت مثل ماصنع الناس في تلقي الفضل بن روح واستبشارهم به(٢).

ومن بين المحتفلين بالفضل أحد أثرياء التجار من أهل الذمة وهو قسطاس النصراني الذي تفنن في إقامة الزينات، فكان من بين ماعمله باقة عظيمة من الريحان نشر عليها ورقة عريضة من البردي (طومار) كتب فيه مطلع سورة الفتح:

{إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر}

وزيرٌ من زجاج علقه قرب مسجد أبي فهر، وفيه ماء، وفي الماء حيتان تعوم مما أثار إعجاب الفضل واستحسانه وكان يسأل في كل مرة من فعل هذا فيقال له: قسطاس، فيقول أحسن والله، وكان قد أمر بعض كتابه أن يكتب كلما هيء له ويلقاه به، فلما نزل عرضت عليه الكتب وأتي قسطاس فقال له: تمنَّ، فقال: يأذن لي في بناء كنيسة فأذن له، فبنى

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٤. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٦. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٤. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١. * حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٧٣. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٧٧-٣٧٨.

الكنيسة التي يقال لها كنيسة قسطاس[١] وهو أول من رخص في بناء كنيسة مسيحية بالقيروان[٢].

وقد بدأ الفضل أعمال ولايته بأن عزل عمال نصر بن حبيب إلا أنه أقر العلاء بن سعيد على الزاب، وولى على طرابلس أباعيينة الشاعر ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب[٣]، ويذكر د. حسن سليمان محمود أن الفضل ولى من قبله يحيى بن موسى عاملاً على طرابلس[٤]. وولى على تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح وكان غرًا لاتجربة له بالأمور جاهلاً قبيح السيرة ضعيف السياسة فاستخف بالجند وسار فيهم بغير سيرة من تقدمه ووثق أن عمه لايعزله[٥].

وقد أخذ أهل تونس على الفضل أشياء أنكروها، أولها استبداده برأيه دونهم[٦] وإساءته إلى الجند بسبب ميلهم إلى نصر بن حبيب الوالي قبله[٧]، فاجتمعواوكتبوا كتابًا إلى الفضل يخبرونه بسوء صنع

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص١٨٤-١٨٥.

٢ ـ حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص٧٣.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٥.

٤ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٣.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٦. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٤. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٧. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٠. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٠. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤. * حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص٧٦.

٧ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٩٤.

المغيرة لهم وقبح سيرته فيهم[١].

فتثاقل عن جوابهم[٢]، فاجتمعوا وتكلم ابن الفارسي وقال: إن كل جماعة ليس لها رئيس يدبر أمرها فهي على شفا جرف مماتطلب، فانظروا رجلاً يدبر أمركم، قالوا: صدقت. فأشر علينا، قال: فإني أشير عليكم بالبصير بن الحرب المعروف بالنجدة فإنه ذو مال، قالوا: من هو؟ قال: عبد الله بن الجارود، وهو المعروف بعبدويه[٣]، فأتوا ابن الجارود فقالوا: قد علمت ماصنع بنا المغيرة، وقد كتبنا إلى صاحبه فلم يزل خاذلنا، وقد رأينا إخراجه وأنت شيخنا وفارسنا والمنظور إليه، ونحن نُصَيِّرُ هذا الأمر إليك، قال لهم: ليس يمنعني من إجابتكم إلى ماسألتم تقصير في النصيحة لكم، ولكني أكره أن أعقد في أعناقكم عقدة ترجعون عنها، فأكون أنا الداعي إلى هلاك نفسه، ولكنني أقنع بالعافية ماوسعتني، فإن وقع أمر كنت فيه كأحدكم، فقال له محمد بن الفارسي: مالنا في هذا الأمر بدٌّ، فلما رأي القوم في جدها قال لهم: أعطوني من بيعتكم ماأثق به، فقالوا أنفسنا دون نفسك، فأخذ بيعتهم على ماأراد[٤]

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٦. * ابن الأبار: الحلة السيراء ص١:٧٧. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٠. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٦. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٠. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٥.

٣ ـ هو عبد الله بن الجارود، رجل من أهل هراة ويقال له عبدويه. انظر خليفة بن خياط: التاريخ ص٤٦٤.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٧. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

وذلك سنة ١٧٨هـ(١).

ثم انصرفوا إلى المغيرة وهو بدار الإمارة فحاصروه بها فبعث إليهم فسألهم مالذي يريدون؟ قالوا ترحل عنا وتلحق بصاحبك أنت ومن معك(٢).

وكتب عبدويه: إلى الأمير الفضل من عبد الله بن الجارود، أما بعد فإنَّا لم نخرج المغيرة إخراج خلاف عن الطاعة، ولكن لأحداثٍ فيها فساد الدولة فولِّ علينا من ترضاه يقوم بأمرنا وإلا نظرنا لأنفسنا. فكتب إليه الفضل بن روح: "من الفضل بن روح إلى عبدويه ابن الجارود أمابعد: فإن الله عزوجلَّ يجري قضاياه فيما أحب الناس أوكرهوا وليس اختيار والٍ اخترته لكم أو اخترتموه بحائل دون شيء أراد الله عزوجل بلوغه منكم، وقد وليت عليكم عاملاً فإن دفعتموه فهو آية النكث منكم والسلام"(٣) وبعث عبد الله بن يزيد المهلبي عاملاً على تونس(٤). وضمَّ إليه النضر بن

---

١ ـ ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٧. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩١. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٨. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٧. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩١. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٨. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٧. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦. ويذكر أن اسمه عبد الله ابن محمد ولذلك نجد الرقيق القيرواني يذكر بعد ذلك أنه عبد الله بن محمد *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩١. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤. *ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٢.

حفص.، والجنيد بن سيار[١]. وذكر ابن الأبار أنه ضمَّ إليه كثيراً من أصحابه[٢] وروى مسعده بن أبي قديك قال: خرجت مع عبد الله بن محمد أشيعه حتى انتهينا إلى باب المدينة نصب روح اللواء فاندقت القناة، فتطير الناس ومضى حتى إذا كان مرحلة من تونس تخير ابن الجارود عدة من أصحابه منهم وصاف ومنصور بن هميان في جماعة[٣] وقال لهم: "إذهبوا حتى تعلموا ماقدم به هذا الرجل وتبعثوا إليَّ بخبره ولاتتعرضوا للحرب ماوجدتم سبيلاً إلى العافية"[٤] فلقوه بالزيتون الذي بقرب سبخة تونس، فقال ابن هميان لأصحابه: «قدعلمتم أن الفضل كان يأخذ الرجل منكم في الأمر الذي ليس عليه فيه مؤنة، فيقطع يديه ورجليه، فكيف وقد أخرجتم ابن أخيه وكاشفتموه والله مابعث عامله ومن بعث معه من القواد إلا ليتلطف بكم لترجعوا عن رأيكم، فإذا اطمأنت به الدار مرَّ عليكم فلايبقي منكم أحداً" قال وصاف: فمارأيك؟ فكأني أنظر إلى ماتريد، وإن شئت علمتك به، قال فخبرني، قال: نكون على عدة ثم نلقى القوم كأنَّا نسألهم عماجاؤوا إليه حتى إذا غشيناهم صببنا عليهم فإن أرادوا قتالنا كنا قد شغلناهم عن كثير من ذلك، وإن لم يقاتلوا أخذنا عبد الله والقواد الذين معه فصاروا رهائن بأيدينا فكنا المخيرين على الفضل، فإما أجاب إلى مانحب وإما أخرجناه ومن معه وقاتلناهم إن أبَوْا الخروج.

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٨. *النويري: نهاية الأرب ٩١:٢٤.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٧٧:١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٩.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٩. * ابن الأبار: الحلة السيراء ٧٨:١. * ابن خلدون: العبر ١٩٤:٤.

فقال له منصور: "والله ماأخطأت ماأردت" فأجمع أمرهم على ذلك[١]. فأقبل عبد الله بن محمد حتى التقوا بالزيتون[٢]. فلما قربوا منه حملوا عليه وعلى أصحابه فقتلوا عبد الله وأخذوا القواد أسارى[٣]. ولكن ابن عذارى يذكر: (أن الفضل وجه عبد الله بن محمد إلى تونس وعندما وصل إليها قال ابن الجارود لأصحابه: "كيف تصنعون ذلك، وأنتم قد أخرجتم ابن أخيه وشتمتموه؟ والله مابعثه إليكم إلا ليطيبكم حتى ترجعوا عن رأيكم فإذا اطمأننتم أُخِذتم واحدًا بعد واحدٍ" قالوا له: مارأيك؟ قال: الذي ذكرت لكم فخرجوا حتى التقوا بالعسكر الواصل مع العامل من قِبَل الفضل أمير إفريقية بموضع الزيتون، فدفعوه عن أنفسهم وجرى بين الجند كلام كثير يطول ذكره، إلى أن وقعت الحرب بين ابن الجارود وعسكر الفضل، فهزمهم ابن الجارود واتبعهم إلى القيروان فنزل عليها)[٤].

وهو بذلك يشير إلى أن ابن الجارود هوالذي خرج للقاء عبد الله وجرت المعركة معه وانتهت بقتله عبد الله وبعد مقتل عبد الله أخذ قواده أسارى فتكملة لما سبق أنه لما (رجعوا إلى ابن الجارود وأخبروه بماصنعوا قال لهم: "مالهذا بعثتكم فأما إذا وقع فما رأيكم؟" فأشار بعض أصحابه بما عنده من الرأي، وقال: "إنه لِمَ تسأل الفضل واليًا وأنت تريد قتله

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٩.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٠. * ابن عذارى: البيان المغرب ٨٧:١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٠. * ابن الأثير: الكامل ٩٥:٥. *ابن الأبار: الحلة السيراء ٧٨:١. *النويري: نهاية الأرب ٩٢:٢٤.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٨٧:١.

قبل أن تعرف رأيه وأنت غائب عن مقتل عبد الله، فأقم وكاتبه فإنه يحثه على موادعتك طلب العافية ..الولاية" فضحك محمد ابن الفارسي فقال له عبدويه: "لِمَ تضحك، كأنك لم ترضَ رأيه؟ قال: "أماهو فقد أجهد لك نفسه في الرأي" قال: فماترى أنت؟ قال: "إذًا والله أعطيتك الوجه الذي إن ارتكبته ظفرت وإن تركته نكبت" قال: وماهو؟ قال" إعلم أن الفضل لن يسلم لك صدره أبدًا بعد إخراج ابن أخيه وقتل ابن عمه، وليس اعتذارك للفضل أنك غبت عن قتل ابن عمه بالذي يقيم لك العذر عنده ولاراحة لك في سلمه، وقد قيل في أمثال كليلة ودمنة: إن الضرس المأكول الفاسد لاراحة لصاحبه دون قلعه، وكذلك نحن وآل المهلب، لاراحة لنا فيهم إلا بقتلهم أوإخراجهم بالمكائد والحيل". فقال عبدويه: "فتولَّ أنت تدبير الرأي ومكالمة الناس، واكفني ذلك وأنا أكفيك تدبير الحرب إن شاء الله)[1].

وألاحظ من هذا أن ابن الجارود هو الذي أرسل أصحابه في مهمة استطلاعية ولم يكن يقصد من البداية الخروج على والي الخليفة، إنما تصرف أصحابه هذا هو الذي أوصله إلى هذه النتيجة ومع ذلك فعندما تغيرالوضع على غير ماأراد طلب من أصحابه النصيحة فمنهم من أشار عليه كما تذكرالرواية بأن يعتذر للوالي ويطلب منه السماح، وقد استحسن هو هذا الرأي لولا مشورة محمد بن الفارسي عليه بالخروج عن الطاعة نهائيًا وعلل هذا الخروج بأن الفضل لن يغفر له ولن يصفح عنه مماجعله يميل إلى رأي ابن الفارسي ويوكل إليه مهمة تحويل آراء القواد على الفضل.

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٠-١٩١.

فما كان من ابن الفارسي إلا أن احتال لذلك بأن أرسل إلى كل رجل من وجوه القواد يوهمه أنهم يؤمرونه عليهم، وكان في كتبه: (أما بعد: فإنَّا نظرنا إلى ماصنع الفضل في ثغر أمير المؤمنين من تهاونه بجنده، واستئثاره عليهم بما لم تكن الولاة تصنعه قبله، مع وعورة لفظه لهم، وتركه لكتاب أمير المؤمنين في أرزاقهم وسوء سيرته فيهم، فيما عهد إليه، ولم ينفعنا إلا الخروج عليه لنخرجه عنَّا، ونظرنا فلم نجد أحداً هو أولى بنصيحة أمير المؤمنين لبعد صيته وعطفه على جنده منك، فرأينا أن نجعل أنفسنا دونك، فإن ظفرنا جعلناك لنا واليًا، وكتبنا إلى أمير المؤمنين نسأله ولايتك، وإن تكن الأخرى لم يعلم الفضل أنَّا أردناك والسلام)(١).ولاشك أن هذه الخطابات كان لها عظيم الأثر على من تلقاها فهو بذلك يعتقد أنه إن كسب الجولة فقد كسب الولاية وإن لم يكن ذلك فلن يعلم الوالي ولا الخليفة بأنه خرج عن طاعتهم، (فأفسد بهذا الكتاب كافة الجند على الفضل وكثر الجمع عندهم)(٢).

كما كتب ابن الجارود إلى أصحابه في باجة وفيها جند من أهل خراسان يخبرهم بالأمر ويزين لهم الخروج معه، فتسارع الناس إليه من كل ناحية(٣).

وهذا يؤكد أن الذين قاموا بالثورة هم الجند الخراسانيون ولم تقم بها عناصر بربرية، ويبدو لي أن الفضل بلغه أخبار كل تلك التجمعات

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩١. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقية ص١٩٠.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩١.

والاستعدادات التي يقوم بها ابن الجارود، فكتب إلى عماله على الولايات بالقدوم وأعطى للجند أعطياتهم ثم وجههم إلى ابن الجارود، وقد قدم على الفضل من القواد سمدون وأبوالمغيرة وأبوعميلة، فلما دخلوا عليه أمر لكل واحد منهم بخمسمائة درهم، وولى الفضل على هذا الجيش الخارج لمحاربة ابن الجارود عبد الله بن يزيد بن حاتم، وهو من آل المهلب، وقد استعد ابن الجارود للقاء هذا الجيش فكان على طلائعه من القواد فتح ووصاف وابن الدويري، وتقدم عبد الله بن يزيد قائد الفضل وعلى مقدمته شبيبة بن حسان وعلى طلائعه فلاح، وعلى ميمنته علي بن هارون الأنصاري وسهل بن حاجب، وعامر بن نافع، وعلى الميسرة قائد اسمه عمر ومعه شراحيل الأزدي[١].

وبعد هذا الاستعداد التقى الجيشان في موضع قرب طساس فاقتتلوا قتالاً شديداً هزم فيه جيش ابن الجارود من قبل عبد الله بن يزيد[٢] وولت طلائع ابن الجارود وركبهم جيش الفضل فقتلوا منهم عدة[٣] وتمَّ ذلك (يوم الجمعة، فلما كان يوم الأحد عبأ عبدويه جنده وزحف نحو عبد الله بن يزيد وهوبطساس فلما التقوا قال عبدويه لأصحابه: تهيؤوا لحملة واحدة تصدقوا فيها، فإن في عسكر عبد الله بن يزيد من لو قد نظر إلينا لانهزم باليأس وهو على ثقة بما قال لهم، فانهزم أصحاب

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٢. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٨٢:١.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٨١:١

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٢.

عبد الله بن يزيد وصبر ناس منهم فأخذ عبد الله الطاعة من أهل خراسان وأهل الشام فلما رأوا أنه لايثوب إليهم أحد انصرفوا إلى الخندق، وجعل عبد الله بن يزيد ينادي "إليَّ إليَّ" فما أحد رجع إليه، قال له بعض أصحابه: " إنك والله لوقتلت هاهنا، وثب الناس على الفضل فيقتل، ولكن سر على طاوية بمن معك حتى تسير إلى القيروان فنستأنف القتال فإن الحرب سجال وقد كانت أول وقعة فانصرف)[١].

وهكذا استمع عبد الله بن يزيد لمشورة أصحابه بعد أن رأى قوة ابن الجارود وكثرة الجند المنضمين إليه فانصرف إلى القيروان، فكان مع ابن عمه الفضل[٢] وعند عودة عبد الله بن يزيد وبقية جنده إلى القيروان اتبعهم أصحاب عبدويه فأقاموا على القيروان إلى المغرب، ثم انصرفوا إلى منية الخيل[٣] فهم بذلك حاصروا العاصمة القيروان يومًا واحدًا[٤]. واضطرب الأمر على الوالي الفضل المهلبي فجمع بني عمه وأصحابه لمشورتهم إلا أن الجميع كان متوترًا لهذا التطور السريع للأحداث ووصول ابن الجارود إلى محاصرة القيروان، فمنهم من أشار بالخروج إلى طرابلس والرحيل عن القيروان، ومنهم من أشار بالقعود[٥] وذكر ابن الأبار أنه (لما عظم على الفضل بن روح أمر ابن الجارود وخروجه عليه بتونس وزحفه إليه جمع أهل بيته وقال: ماترون في هذا الأمر الذي

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٣-١٩٤.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٢.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٤.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٩١.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٤.

لايخصني دونكم، فكثرت الآراء، فقال ابن عمه سعيد: "أطعني اليوم واعصني فيما يستأنف، سُدَّ أبواب المدينة كلها إلا بابًا واحدًا ، وندخل مايحتاج إليه الحصار سنة. فوالله لكأني أنظر - إن لم تفعل - قد دُخل عليك من آمنها عندك)[١] ويذكر ابن عذارى في ذلك أن الفضل اجتمع مع بني عمه وخاصته وتشاور معهم في أمره فاضطرب الأمر عليه، ولم يصح له أمر[٢] وأخذ الفضل برأي ابن عمه في تحصين أبواب المدينة وسدها، (فلما أصبح بعث المهلب بن يزيد إلى باب سالم وفرّق الناس على مابقي من الأبواب، وأقبل عبدويه والفضل في دار الإمارة مع خالد بن يزيد من ولد أبي صفرة، وعبد الله بن يزيد وجنيد بن خداش وجماعة من أهل بيته، فلما قرب عبدويه من الأبواب شد من كان في المدينة من الأبناء على باب سالم من داخل فدفعوهم عنهم وفتحوا الباب، وفتح أيضًا باب ابن الربيع ودخل أصحاب عبدويه مايدافعهم أحد)[٣].

ويوضح ابن الأثير وابن عذارى أن أهل القيروان وبعض القواد هم الذين فتحوا الأبواب عند قدوم ابن الجارود[٤] فدخل هو وجنده القيروان دون أي مقاومة أوقتال، وكان دخول ابن الجارود وعسكره القيروان في جمادى الآخرة سنة ١٧٨هـ[٥].

---

١ - ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٧٩.

٢ - ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٧.

٣ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٤-١٩٥.

٤ - ابن الأثير: الكامل: ٥:٩٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٧.

٥ - ابن الأثير الكامل ٥:٩٥.

ثم دخل ابن الجارود دارالإمارة (فأمن الفضل وأصحابه ثم أمرهم بالخروج إلى قابس وقال لهم: لا آمن أصحابي عليكم، ولكن أوجه معكم من يوصلكم إلى قابس، فوجَّه معهم أباالهيثم في جماعة، وأخذ عليه الأيمان ألا يسلم الفضل فخرج الفضل معه مع ثلاثة من بني عمه وبعض أصحابه من باب آخر فقال لهم البواب: "اخرجوا ياكلاب النار لارحمكم الله" فقال الفضل عند ذلك" لاإله إلا الله لم يبق أحد إلا صار علينا حتى من أعتقناه!)(١) وسار ليلته ونهاره حتى دنا الغروب فسمع طبلاً، فقال: ماهذا؟ فقالوا فلان جاء بمائة فارس بعثه ابن الجارود إليك لأنه خاف عليك الجند" ثم سمع طبلاً آخر فإذا هو منصور بن هاشم فقال له: ماجاء بك؟ فقال: "كذا وكذا" ثم سمع طبلاً آخر فإذا هو صاحب شرطة ابن الجارود، فقيل للفضل: "إذًا جاء ليردك!" وذلك أنه أشار على ابن الجارود جماعة من أصحابه أن "[لن] تتركوا الفضل يدخل طرابلس لئلا يقوم الناس معه ويرجع إلى القيروان" فنادى مناديه من كان في طاعة ابن الجارود فلينعزل، فانعزل الناس، ولم يبق مع الفضل أحد فردوه إلى القيروان بعدما خلوا عن المهلب وجميع الناس الذين كانوا مع الفضل إلا محمد بن هشام والفضل بن يزيد فانطلقوا بهما حتى جعلوا في الدار معه)(٢) وبذلك أخذهم ابن الجارود وحبسهم عنده فأشار عليه أصحابه بأن يقتلوا الفضل وقالوا له: "لانزال في حرب مادام الفضل حيًا" ولكن محمد ابن الفارسي الذي شجع منذ البداية على الثورة ضد آل المهلب والخروج

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٧. * ابن أبي الضِّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٣.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٧–٨٨.

عليهم رأى ألا يقتل الفضل وأشار على ابن الجارود بذلك، إلا أن جماعة ابن الجارود لم يستمعوا لمشورة ابن الفارسي في هذه المرة وقاموا إلى الفضل وقتلوه[١] فكان قتل الفضل بن روح في شعبان سنة ١٧٨هـ[٢].

وبعد مقتل الفضل أمر ابن الجارود عبد الله بن يزيد وأخاه المهلب ابن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالخروج من إفريقية فخرجوا إلى المشرق[٣].

وبمقتل الفضل انتهت فترة ولايته على بلاد المغرب التي استمرت سنة وخمسة أشهر[٤]، وبخروج آل المهلب من القيروان انتهت فترة ولاية أسرة المهالبة على المغرب والتي استمرت ثلاثة وعشرين سنة[٥].

ويذكر د. حسن سليمان محمود أنها دامت سبع وعشرين سنة[٦] و يذكر عبد العزيز الثعالبي أنها دامت ثلاثًا وثلاثين سنة من سنة

---

١ ـ النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٠.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٨. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٢.

٣ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٢. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩١.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٨. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٢. ابن أبي الضّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٣.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٨. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٢. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ١:٣٨٥.

٦ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٤.

١٥١هـ إلى سنة ١٧٨هـ[١]. ونفهم من هذا أن من يقول ثلاثًا وعشرين سنة لايدخل فيها فترة عمر بن حفص ومن يقول سبعًا وعشرين يجعلها من بداية ولاية عمر بن حفص، أما من يقول ثلاثًا وثلاثين سنة فقد جاوز الصواب.

وكان لوجود أعداء لأسرة المهالبة في القيروان دور في مقاومتهم والإطاحة بهم، ولكن طول فترة المهالبة كذلك جعلت لهم أشياعًا وأتباعًا وبعضًا من آل بيتهم ثاروا لمقتل الفضل وطرد باقي أسرة المهالبة من القيروان. حيث قام جماعة من الجند وأمَّروا عليهم أباعبد الله مالك بن المنذر الكلبي والي ميلة وخرجوا للمطالبة بثأر الفضل بن روح واجتمع إليهم الناس[٢]. ودخل مالك بن المنذر تونس "فأقام بها عشرين يومًا وكان كثير من أصحاب عبدويه المهزومين قد نصبوا بها، فقال له أصحاب مالك: (دعنا نتبعهم" فقال لهم" "إنهم وإن خالفوا فإنهم جند أمير المؤمنين" وأبى أن يأذن لهم فلما عرفوا ذلك من رأيه انصرفوا عنه وأغاروا على القرى، فبقي في أقل من العدة التي جاء بها من ميلة، وقيل لابن الجارود: إن شئت أن تأخذ مَلِكًا أسيرًا فاخرج إليه وقد تفرق الناس عنه، فخرج إليه وعسكر بطساس، فلما بلغ الناس أن ابن الجارود عسكر، ثابوا ورجعوا إلى مالك حتى صاروا في ألفي فارس، وسار ابن الجارود حتى نزل بقربه، وأقبل مالك بن المنذر فالتقوا واقتتلوا ساعة، فانهزم أصحاب مالك، فلما رأى مالك ذلك حمل في نفر من أصحابه وهو يقول:

---

١ ـ عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٩١.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٢. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٤.

يـامـوت إنـي مـالـك بـن المـنـذر

أمـسـك حسـن البـيـض والسّـنـوّر

أقـتـل مـن صـابـر ومـن لـم يـصـبـر

فقام إليه عبد الله بن الجارود وهو يقول:

إلـي فـادنُ مـالـك ابـن المـنـذر

إنـي أنـا قـتـلـت رب المـنـبـر

جـرعـتـه كـأس حـمـام أحـمـر

فـاصـبـر سـتـلـقـاه وإن لـم تـصـبـر

فلما همَّ كل واحد منهما أن يلقى صاحبه اعترض رجل من أصحاب ابن الجارود مالك بن المنذر فصرعه وركبه الناس فقُتِل وقتل معه عدة من أهل بيته(١).

وانهزم أصحابه حتى صاروا إلى الإربس ووجه ابن الجارود حماد ابن حماد واليًا على الإربس فبيته سمدون وأصحابه فهرب، ثم كتبوا إلى العلاء بن سعيد وهو بالزاب أن يقدم عليهم وتهيؤوا لقتال ابن الجارود، فأقبل العلاء حتى وصل إلى الإربس واجتمع مع المغيرة وأبي عميلة وسمدون وفلاح في أهل الشام، فلما بلغ ابن الجارود قدوم العلاء قال عند ذلك(٢):

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٥-١٩٦. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٧.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٢. ويذكر أن من كتب إلى العلاء اسمه شمدون.

أفـي كـل يـوم ثـائـر قـد قـتـلـتـه

بـفـضـل مـايـنـفـك بـالـفـضـل طـائـر

قضيت لنفسي النذر في قتل مالك

وأنَّى لـهـا قـتـل الـعـلاء بـنـاذر

فـمـا لـلـعـلاء خـيـرة فـي لـقـائـنـا

ولـيـس لـه في الـنـاس إن فرَّ عاذر(١)

قال: وجرت بينهما مكاتبات فقال العلاء في آخر جوابه:

نـذرت دمـي فـانـظـر إذا مـالـقـيـتـنـي

عـلـى مـن بـكـأسـيـهـا تـدور الـدوائـر

سـتـعـلـم إن أنـشـبـت فـيـك مـخـالـبـي

إلـى أي قـرن أسـلـمـتـك المـقـادر

قال: وأقبل العلاء إلى القيروان(٢). والعلاء هو العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي، كان واليًا على الزاب فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود(٣)

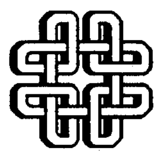
---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية: ص١٩٦. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٦.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٧.

٣ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٧.

فأقبل إلى القيروان وصادف ابن الجارود وقد خرج منها يريد يحيى بن موسى خليفة هرثمة بن أعين(١).



١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٧. ويذكر أنه يسمى يحيى بن عيسى وليس ابن موسى. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٧.

هرثمة بن أعين

أحد أمراء الرشيد وخواص قواده، وكان شجاعًا مقدامًا مهيبًا[١].

تولى عدة ولايات هامة قبل قدومه إلى المغرب، فقد (وجهه الرشيد إلى الشام ومصر والمغرب يتقراها ويصلحها، فلم يزل يمر بلدًا بلدًا فيصلح مايريد إصلاحه)[٢]. ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن روح وماوقع بإفريقية من الاضطراب ولى مكانه هرثمة بن أعين[٣].

وتاريخ قدوم هرثمة إلى بلاد المغرب فيه اختلاف، فيذكر الرقيق أنه "قدم هرثمة بن أعين القيروان في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٧هـ[٤] وهو رأي مخالف ماأجمعت عليه المصادر الأخرى التي اختلفت في الشهر الذي قدم فيه هل هو ربيع الأول أوربيع الآخر إلا أنها اتفقت أن قدومه كان سنة ١٧٩هـ

---

١ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٨٨-٨٩.

٢ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٤١١. * وذكرذلك ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٨٨. * ابن خلدون: العبر ٣:٢٢٠-٢٢٢، يذكر تولي هرثمة المهام الصعبة حيث أرسله الرشيد إلى مصر للقضاء على ثورة بها كانت سنة ١٧٨هـ وكان هرثمة على فلسطين فاستدعاه وولاه مصر ثم عزله بعد شهر بعد أن أذعنوا له بالطاعة، وأوكل إليه ولاية خراسان فأقر الأمور فيها ـ ويذكر مهام كثيرة ٣:٢٢٦ عن استعمال الرشيد لهرثمة على الصائفة وسيرة بالعساكر الإسلامية لقتال الروم. * انظر: محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٩٣.

٣ ـ أحمد الأنصاري: المنهل العذب ص٦٠.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٣. * ولعل الاختلاف يعود إلى تحقيق النص فإن سنة سبع تشبه تسع في الكتابة.

فيذكر اليعقوبي أنه قدم القيروان سنة ١٧٩هـ [١] دون تحديد شهر معين. أما ابن الأثير فيقول: إنه قدم القيروان في ربيع الأول سنة ١٧٩هـ[٢]. ويجتمع النويري وابن الخطيب وابن أبي دينار على أنه كان في مستهل شهر ربيع الآخر سنة ١٧٩هـ. ويحدده ابن دينار بأنه كان يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة[٣].

والاختلاف في الشهر غير ذي أهمية فقدومه إلى المغرب قد يكون في شهر ربيع الأول ودخوله القيروان في مستهل شهر ربيع الآخر، أما المهم هنا فهو مخالفة النويري لرأي الرقيق القيرواني في تحديد السنة مع أن أغلب معلومات النويري ناقلها عن الرقيق أما ابن خلدون فقد ذكر أن قدوم هرثمة كان سنة ١٧٧هـ أي يتفق مع الرقيق ولكن ابن خلدون قد ذكر قبل ذلك أن خروج ابن الجارود من القيروان قبل قدوم هرثمة كان في محرم سنة ١٧٩هـ[٤].وهو يوضح أنه أخطأ في تاريخ قدوم هرثمة وأرى أن تسلسل الأحداث السابقة يجعلني أرجح أن قدوم هرثمة كان سنة ١٧٩هـ.

وعندما وصلت الرشيد أخبار القيروان وخروج ابن الجارود على الفضل كان عليه أن يتدخل فعهد بولاية المغرب إلى هرثمة بن أعين وأرسله وبرفقته منصور بن زياد، كما أرسل يقطين بن موسى ،ومهمته

---

١ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٤١١.

٢ ـ ابن الأثير : الكامل ٥:٩٦.

٣ ـ النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٥. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١. * ابن أبي دينار: المؤنس ص٤٨.

٤ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٩٥.

المفاوضة مع ابن الجارود وكان اختياره له لمكانته وكبر سنه، وحاله عند أهل خراسان وهم يشكلون أغلبية جند ابن الجارود، وأمره بالتلطف بابن الجارود؛ ومحاولة إخراجه من البلاد؛ واستمالته للطاعة قبل وصول هرثمة. فقدم يقطين القيروان وجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير، ودفع إليه كتاب هارون الرشيد، فكان رد ابن الجارود على يقطين: (قد قرأت كتاب أمير المؤمنين وأنا له على السمع والطاعه، وليس لأمره دفع ولابعد أمانه خوف).

وكان قد جاء في كتاب أمير المؤمنين إليه أنه ولى هرثمة بن أعين؛ وعلى ابن الجارود أن يسلمه القيروان، فاتخذ ابن الجارود أسلوب المراوغة؛ حيث ذكر ليقطين[1] أنه على الطاعة ولكنه يخاف على القيروان وهو ثغر إن هو خرج منه قبل وصول هرثمة أن يصله العلاء بجند البربر، فلا تقوم للخلافة فيه قائمة بعد اليوم؛ فيكون هو الذي ضيعه، لذا طلب مهلة للخروج للقاء العلاء فإن هزم العلاء ابن الجارود كان على الخلافة مهمة حماية القيروان من وصوله، وإن استطاع ابن الجارود هزيمة العلاء فسينتظر قدوم هرثمة ويسلمه القيروان، ويخرج هو إلى أمير المؤمنين، ولكن يقطين لم يقنع بجواب ابن الجارود هذا؛ وشعر أن فيه مراوغة وحيلة، فإنه إن هزم العلاء سيتمسك بالقيروان ولن يسلمها للوالي هرثمة[2].

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٧. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥ ولكنه يذكر أن مبعوث الخليفة للتفاوض مع ابن الجارود اسمه يحيى بن موسى وليس يقطين بن موسى. *النويري: نهاية الأرب ص٩٣.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٧-١٩٨. * ابن الأثير: الكامل ٥:٩٥-٩٦. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٣-٩٤.

وهناك ملاحظة لي فإن العلاء بن سعيد من آل المهلب وهو والي الزاب؛ وقد خرج بجند الخلافة ليقاتل ابن الجارود الذي خرج على الفضل والي الخليفة وقتله؛ وهو من آل بيت الفضل أيضًا فهو إذًا ليس قائدًا للبربر أو مشايعًا للخارجين منهم، ووصوله إلى القيروان قبل هرثمة لن يكون فيه أي خطورة على الثغر وتبعيته للخلافة، وهذا ما حصل فعلاً.

فلجأ يقطين إلى المفاوضة مع مساعد ابن الجارود ومستشاره وهو محمد بن الفارسي؛ واجتمع معه - (وكان صاحب ابن الجارود - فابتدأه يقطين بالأيمان التي وثق بها ليفيَ له بما يضمن فإن هو لم يقبل ما عرض عليه لايخبرنَّ به أحدًا أبدًا، فلما سمع ذلك ابن الفارسي قال:"اعرض ما شئت"، قال:" عليَّ قيادة ألف فارس؛ وصلة وقطيعة في أي المواضع شئت، وأما الذي لنا عليك فتعلم رأي ابن الجارود إن كان يُسلم إلى أمير المؤمنين فإن فعل وإلا زيّنت له الخروج إلى العلاء، ثم دعوت الناس إلى الخروج عليه وخرجت معك، فهو آية الظفر، وتنال ما ذكرت لك مع رضا أمير المؤمنين، وشكره، فسعى ابن الفارسي في صرف الجند عن ابن الجارود؛ ودعا أهل الخراسان إلى ذلك؛ ورغبهم في الطاعة واستمال قلوبهم حتى ساعدوه، وسمع من كان يحب الطاعة والخلاف على ابن الجارود؛ فأسرعوا إليه، وبعث إلى من كان محبوسًا في السجن من القواد ومن كان مختفيًا من ابن الجارود فأخرجهم وواعدهم أن يجتمعوا له بباب أبي الربيع، ثم خرج فيمن معه وقام خطيبًا، فذكر الطاعة ... وحذر المعصية وعاقبتها، وذكر نِعمهُ على ابن الجارود، فبلغ ابن الجارود خروج ابن الفارسي، فوجّه إلى أبي النهار، وأبي العنبر، والعبّاس اللطيفي، فقال لهم: إن ابن الفارسي قد خرج عليَّ في القواد وأهل القيروان معه، وقد سار إليه شيبة بن حسان والجنيد بن سيار،

والنضر بن حفص وغيرهم فماذا ترون؟ فقال أبو العنبر له: (لو كان ابن الفارسي حين خرج عليك مضى إلى العلاء ومن معه كان في ذلك نصرة للقوم بنا، فأما إذا أراد الإنفراد بالأمر دون العلاء فعاجله" وقال أيضًا عباس بن اللطيفي: "إن ابن الفارسي لم يخرج حتى صانعه يقطين؛ وليس له علم بالعرب فأسبقه إلى نفسه قبل أن يسير إلى العلاء." فقال ابن الجارود:" أصبتما ولأحتالنَّ عليه بحيلةتحمدان رأيي فيها إن شاء الله." ثم قال لرجل من أصحابه يقال له طالب:" اعمل بما أقول لك، أنا أدعوه إذا تواقفنا كأني أريد أن أعاتبه؛ وأطلب رجعته فانتبذ أنت كأنك تريد أن تقف من العسكر موضعًا غير الذي كنت فيه، ثم أدن فعارضنا حتى إذا علمت أنك قد حبيت فرسك ولم يَفُتْك فشد عليه، فإنك إن قتلته لم يقف لنا منهم رجل." ثم إن محمد تهيأ في أصحابه وخرج، فلما تواقفا ناداه ابن الجارود فقال:" اخرج إليَّ حتى لايسمع كلامي وكلامك غيرنا؛ فما رأيت أعجب من أمري وأمرك!" فلما سمع ذلك منه ابن الفارسي سُرَّ به، فقال:" ما عليَّ أن أخرج فأكون قريبًا منه فما في يده قناة يعاجلني بها ولاقوس يرميني عنها" فخرج إليه فقال له:" ما حملك على ما صنعت، ألم تكن المطاع المنظور إلى رأيه المقبول مشورته. وجعل يشغله بتدارك الكلام والنظر إلى موضع آخر، ،جعل ابن الفارسي لاينظر إلى غيره مخافة حيلة، وأقام طالب كما وصف له ابن الجارود حتى إذا أمكنه غدرته دفع عليه فرسه؛ فما قدر أن يثني عنانه حتى زهقه فدقَّ قلبه وانهزم أصحابه).[١] (وأصرع شيبة بن حسان، ففي ذلك يقول ابن الجارود:

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٩٨-١٩٩-٢٠٠ وذكر المعلومة باختصار. *ابن الأثير: الكامل ٥:٩٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٤.

لقد راعني ابن الفارسي بكيده

فوافق أمضى منه عزمًا وأكيدًا

عشية أدعوه ليسمع منطقي

فأعجزه إصدار ما كان أوردا

أشرت إلى ذي نجدة فانكفى له

بأسمر خطي إذا نال أقصدا

فمازال قاب القوس إلا وعاملُ

من الرمح دام بين حضنيه مزبرا

فقل للعلاء قد اظلّت محمدًا

منيّة يومٍ فارتقب مثلها غدا

وقدم يحيى بن موسى خليفة هرثمة بن أعين طرابلس، فصلى بالناس يوم عيد الأضحى وخطبهم، وكتب يحيى إلى هرثمة يعلمه من قدم عليه من القواد، منهم أبو العنبر التميمي، والجنيد بن سيار الأزدي، وجعفر بن محمد الربعي، وشهاب بن حاجب التميمي، وعبد الصمد العبدي، وأقبل بعد ذلك خالد بن بشير الأزدي، واستعجل أمر يحيى)[1] وأقبل العلاء بن سعيد فيمن معه يريد القيروان، فلما بلغ ذلك ابن الجارود اجتمع بالناس، وذكر أنه لا طاقة له به ولاقوة بلقائه فكتب إلى يحيى بن موسى أن اقدم إلى القيروان، فإني مسلّم سلطانها، وأجاب

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠١.

إلى طاعته فخرج يحيى بن موسى بمن معه من طرابلس سنة تسع وسبعين ومائة في محرم[١] فلما بلغ قابس تلقى بها عامة الجند من القيروان ومعهم النضر بن حفص بن عمر بن معاوية، فخرج ابن الجارود من القيروان إلى طرابلس مستهل صفر، ،استخلف عليها عبد الملك بن عبَّاس اللطيفي، فكانت أيام عبد الله بن الجارود سبعة أشهر.[٢] وأقبل العلاء بن سعيد، ويحيى بن موسى متسابقين إلى القيروان، فسبقه العلاء إليها،[٣] فقتل جماعة من أصحاب ابن الجارود، فبعث إليه يحيى: أن يفرق جموعه إن كان في الطاعة، فأمر كل من كان معه أن ينصرفوا إلى مواضعهم، ورحل العلاء في نحو ثلاثمائة من أصحابه وخاصَّته إلى طرابلس، وكان ابن الجارود وصل إليها قبل وصول العلاء فلقي بها يقطين ابن موسى فخرج معه سائرًا يريد المشرق، فلقوا هرثمة بن أعين بأجدابية، فصيره إلى منصور بن زياد ببرقة، فخرج به هو ويقطين حتى وصل إلى هارون الرشيد[٤].

وكان العلاء قد كتب إلى منصور وهرثمة يعلمهما أنه هو الذي

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠١. * ابن الأثير: الكامل. * ابن عذارى البيان المغرب ١:٨٨. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٤. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٨٩.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠١. * ابن عذارى البيان المغرب ١:٨٨ . * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٢.

٣ ـ ٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٢. * ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * ابن عذارى البيان المغرب ١:٨٨. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٥.

أخرج ابن الجارود من إفريقية[١]؛ وكتب إليه بالقدوم، وأجازه هرثمة بجائزة سنية، ووصل إلى مصر، وبلغ وصوله أمير المؤمنين هارون، فكتب له - إي للعلاء - بمائة ألف درهم سوى الكساء، فلم يلبث إلا يسيراً حتى توفي بمصر.[٢]

وعندما قدم هرثمة أمّن الناس، وآنسهم وسار فيهم بالعدل والحلم وما جبل عليه من حسن الخلق، وسكن الناس إليه وأنسوا به واستقرت الأمور في القيروان؛ وتحبب إلى الرعية فكانت أيامه أيام أمن وسلام[٣]، وأعطى الجند أرزاقهم الفائتة؛ وأمنهم جميعًا[٤]، فاستتب الأمن في أرجاء البلاد، ثم وجه همته للإصلاح فبنى القصر الكبير بالمنستير؛ وذلك سنة ١٨٠هـ[٥] على يد زكريا بن قادم.

وكان بناء هذا القصر ليرابط فيه الجنود المدافعون عن البلاد[٦]، وأرى أن في هذا البناء دليلاً حضاريًا واضحًا كما أن فيه دليلاً على

---

١ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٢. * ابن الأثير: الكامل٥:٩٦ * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٧. * ابن عذارى البيان المغرب ١:٨٨.

٢ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٢. * ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٥.

٣ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٣. * ابن عذارى البيان المغرب ١:٨٩. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٨٩. * نبيلة حسن: محاضرات في تاريخ المغرب ص١٦٥.

٤ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ٢:٤١١.

٥ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٣. * ابن الأثير: الكامل٥:٩٦.*النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٥. * ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص٤٨.

٦ - حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٤.

اهتمام الولاة بالناحية العسكرية؛ وتأمين حدود البلاد، وفي هذا البناء الأمني العسكري يذكر لنا أبو العرب بن تميم رأى البهلول بن راشد وهو عابد زمانه، قال فرات: وحدثني أبو زكريا يحيى بن سليمان قال: سمعت البهلول بن راشد يقول لوزير هرثمة بن أعين حين استشاره في بنيان المنستير وعدد له أن هرثمة بنى بارمينية وفي غير موضع. فقال له البهلول بن راشد: ما ذكرت شيئًا إلا والمنستير أفضل منه؛ وذلك أنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه باب من أبواب الجنة.(١)

ويورد د.حسين مؤنس شرحًا مفصلاً عن قصر المنستير؛ ويوضح دور هذه القصور وطريقة بنائها وعمارتها فيقول:"والقصور جمع قصر: وهو بناء كبير يُنشأ على ساحل البحر، وربما على حدود الصحراء لكي يقيم فيه أولئك الزهاد الرُباط على حدود الإسلام وثغوره، والإشتراك في محاربة أي عدو يهاجم بلاد الإسلام، لهذا كان العباد والزهاد من أهل القصور يسمون مرابطين ومثاغرين، يقضون أعمارهم في العبادة وحماية أرض الإسلام. وكان أولئك العباد والزهاد يعيشون في قصورهم ورباطتهم حياة مشتركة: يأكلون معًا ويصلون معًا، ولكل منهم خلوة صغيرة؛ يتعبد فيها وحده؛ ويقرأ القرآن ساعات معينة من الليل والنهار، وكان القصر يضم مسجداً للصلاة.

---

١ ـ أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية ١:٥.

وفي العادة يُبنى القصر على هيئة حصن عال الأسوار، ويكون من طابقين: الطابق الأول عام، فيه المسجد وقاعات الدروس وقراءة القرآن والطعام، ويخصص الدور الثاني للخلوات.

فبعد صلاة العشاء الآخرة يأوي كل عابد إلى خلوته ليتعبد ويصلي، ويقوم ماشاء الله أن يقومه من الليل، ثم ينام ليصحوا مع الفجر، وكانوا يتناوبون الحراسة فيقوم نفر منهم في أبراج الحراسة بالتناوب بالليل والنهار، وللقصر أوالرباط شيخ من أهله هو رئيسه ومنظمه والمسؤول عنه، ويكون في العادة من أجلاء الشيوخ الذين يرفعهم الناس إلى مراتب الأولياء فيكتسبون بذلك جاهًا وهيبة في القلوب تمكن لهم إدارة مثل هذه المنشآت التي كانت تضم في بعض الأحيان مئات من العباد والزهاد، وكان يحيط بالقصر عادة أرض تعتبر ملكه، ويقوم الزهاد بزراعتها للتقوت بمحصولها. لأن المفروض أنهم يعيشون من عمل أيديهم ولايأكلون إلا مالاً حلالاً.

وقد أبدع أهل المغرب خاصة في إنشاء هذا الطراز من القصور وعني كثير من الحكام من أمثال يزيد بن حاتم وهرثمة بن أعين وأمراء الأغالبة بالرباطات، فأنفقوا عليها بسخاء، وقد بقيت لنا بعض هذه القصور إلى اليوم، مثل قصر المنستير على الساحل الشرقي لتونس وهو بناء جميل رممته الحكومة التونسية وأصبح من روائع العمارة الإسلامية في المغرب)[1].

---

١ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص٨٠-٨١.

ومن أعماله العمرانية الحربية التي تشهد له كذلك بناءه سور طرابلس، فإنه لما فتح المسلمون مدينة طرابلس هدموا سورها واحتوى عمرو على المدينة فهدم سورها)، ولم يزل ذلك السور خراباً إلى سنة ١٣٢هـ حيث جدده من جهة البر عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى سنة ١٨٠هـ حيث بناه هرثمة بن أعين على يد ثقته زكريا بن قادم(١).

وكل هذا يدل على أن هرثمة اهتم بتحصين سواحل إفريقية ضد العدو البحري لأن بيزنطة كانت تهدد تلك السواحل من جزائر البحر وخاصة من جهة صقلية(٢). وتلك المنشآت المعمارية لهرثمة بن أعين لها دلالة حضارية متقدمة.

ولايخلو عهد من فترات الولاة من وجود ثورات رغم الهدوء النسبي الذي ذكرته المصادر في فترة هرثمة وبرغم قوته في إحكام قبضته على الأمور واستعادته للأمن الذي فُقِدَ بعد مقتل الفضل إلا أن هناك بعض الثائرين، حيث يذكر اليعقوبي أنه خرج على هرثمة (قوم من ناحية من النواحي، فوجَّه إليهم جيشاً ففرقهم)(٣). ويذكر ابن الأثير وابن تغري بردي هذه الثورة بشيء من التفصيل حيث ذكرا (أن عياض بن دُهب الهواري. وكليب بن جُميع الكلبي جمعا جموعاً وأرادا قتال هرثمة، فسيَّر إليهما يحيى بن موسى في جيش كثير ففرق جموعهما وقتل

---

١ ـ التجاني: رحلة التجاني ص٢٣٩-٢٤٠. * ابن غلبون: تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار ص١٦.

٢ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٣٩٠:١.

٣ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ٤١١:٢.

كثيراً من أصحابهما وعاد إلى القيروان)[١]. ولاأجد أي مصدر يذكر مكان هذه الثورة أوأي تفصيل عنها.

والغالب على الظن أنها ثورة أفراد ليس لها علاقة بالمذاهب ولابالبربربدليل أن زعيمي الثائرين أحدهما من العرب والثاني من البربر ولم يكونا من قواد الخوارج الصفرية والإباضية المعروفين.

أما عن ولاة الأقاليم على عهد هرثمة فيُذكر أنه ولَّى على الزاب إبراهيم بن الأغلب [وقد كان إبراهيم في ولاية الزاب، فأكثر من الهدايا إلى هرثمة ولاطفه حتى أقره هرثمة على الزاب فحسن أثره فيها[٢] ويورد لنا البلاذري تفصيل تعيين إبراهيم بن الأغلب على الزاب وهو أنه أي إبراهيم (كان من وجوه جند أهل مصر فوثب وإثنا عشر رجلاً معه فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم فلم يزدادوا على ذلك شيئًا، وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب وهو من القيروان على مسيرة عشرة أيام، وعامل الثغر يومئذ من قبل الرشيد هارون. هرثمة بن أعين، واعقد إبراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرياسة وأقبل يهدي إلى هرثمة ويلاطفه ويكتب إليه يعلمه أنه لم يخرج يدًا من طاعة ولااشتمل على معصية، وأنه إنما دعاه إلى ماكان منه الأحواج والضرورة فولاه هرثمة ناحيته واستكفاه أمرها)[٣].

---

١ - ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٩٠. * أحمد الأنصاري: المنهل العذب ص٦٠. * عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٩٤ - ١٩٥.

٢ - ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٨٩-٩٠.

٣ - البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٥.

وولى هرثمة على طرابلس سفيان بن أبي المهاجر وهو الذي قدمها وأشرف على بناء سورها من جهة البحر(١).

وبعد قيام هرثمة بهذه الأعمال أرسل إلى هارون الرشيد يطلب إعفاءه من ولاية إفريقية حيث وافق الرشيد على هذا الطلب وأرسل إليه بالقدوم عليه(٢). وأغلب المصادر تذكر عن سبب طلبه الإعفاء أن هرثمة عندما رأى كثرة الاختلاف في إفريقية وسوء طاعة أهلها للولاة، استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه(٣) وبذلك يخطىء من يقول: (إن هرثمة أدرك بثاقب نظره وطول خبرته تأصل العداء في نفوس البربر واستحالة فوز العباسيين عليهم)(٤) فهم بذلك يظهرون الناحية العنصرية، حيث لم يكن سبب طلب هرثمة للإعفاء عداوة البربر له حيث لم يقم هناك ثورات للبربر في عهده ولافي عهد من سبقه، فثورة ابن الجارود على الفضل لم تكن ثورة بربر، فقد ذكر ابن خلدون (أنه اضطرب عليه الخراسانية من جند إفريقية)(٥) ولأن بربر المغرب قد دخلوا في الإسلام وزالت العنصرية. كما يذكر د. حسن إبراهيم أن هرثمة (عوَّل

---

١ ـ أحمد الأنصاري: المنهل العذب ص٦٠.

٢ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١. * ابن خلدون: العبر ٣:٢٢٧. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:٩٠.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٣. * ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * ابن عذارى البيان المغرب ١:٨٩. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٥. * ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص٤٨.

٤ ـ سيف الدين الكاتب: أعلام من المغرب والأندلس ص١٨. * حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢:٢١٠.

٥ ـ ابن خلدون: العبر ٣:٢٢٧.

النزول عن القيادة وعاد إلى الشرق حيث البذخ والرفاهية)[١] ولي رأي في هذا، فإن هرثمة القائد الشجاع الذي اتصف بكل صفات البطولة وكان الخليفة يثق فيه ويوليه المهام الصعبة حيث تولّى عدة ولايات منها فلسطين، ومصر، وخراسان، كما تولى الصائفة التي خرجت للقاء الروم[٢] يوضح أنه ليس بالرجل الذي يؤثر الرفاهية والحياة الهادئة. ثم إن هرثمة عندما عاد إلى المشرق لم يهنأ بحياة البذخ التي يحاولون وصفه بها، فقد تولى مهام أخرى بعد عودته، فقد ذكر ابن خلدون أنه بعد (قدوم هرثمة بن أعين من إفريقية استخلفه جعفر على الحرد) كما أن ابن خلدون ذكر ولاية هرثمة على خراسان وقضاءه على ثورة رافع بن الليث في سمرقند، وذلك سنة ١٩٣هـ[٣]. وربما كان سبب عودة هرثمة أنه آثر عندما هدأت أحوال بلاد إفريقية على يديه أن يعود إلى المشرق لأن لديه مهام صعبة رأى أن يقوم بها . يقول اليعقوبي أن هرثمة (أقام بإفريقية حتى أصلحها ثم عاد إلى مصر فأقام بها حتى استقامت أحوالها، وحمل من رأى حمله منها ثم انصرف)[٤]. وينفرد الطبري بذكر أنه دخلت سنة ١٨٠هـ وفيها عزل هرثمة بن أعين عن إفريقية[٥] وقد يكون الخطأ في التعبير هنا عند الطبري، فإن هرثمة طلب الإعفاء بإجماع المصادر ولم

---

١ ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢ :٢١٠.

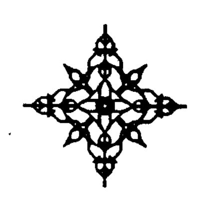
٢ ـ ابن خلدون: العبر ٣ :٢٢٠-٢٢٢-٢٢٦. * محمد الطالبي: الدولة الأغلبية ص٩٣.

٣ ـ ابن خلدون: العبر ٣ :٢٢٧-٢٢٩.

٤ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ٢ :٤١١.

٥ ـ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٨ :٢٦٦.

يعزل ورجع هرثمة إلى المشرق في أول شهر رمضان سنة ١٨١هـ[١]. بعد ولاية على بلاد المغرب دامت سنتين ونصفًا[٢]. وعاش إلى أيام أمير المؤمنين المأمون وكان يعتمد عليه في الأمور العظام[٣].



---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٣.* ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص٤٨.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل٥:٩٦. * ابن خلدون: العبر ٣:٢٢٧. * ابن أبي الضّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٣.

٣ ـ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص٤٨.

محمد بن مقاتل

هو محمد بن مقاتل بن حكيم العكي ولاه أمير المؤمنين هارون الرشيد على إفريقية عندما كتب هرثمة إلى هارون يسأله المعافاة فأعفاه[١].

وكان ابن مقاتل رضيع هارون (وهو أخو الرشيد بالرضاع)[٢]. كان أبوه مقاتل من كبار أهل دعوتهم وجلة من قام فيها وكان مع قحطبة بن شبيب في حروبه حتى ظهر أمر المسودة، وكان مقاتل بن حكيم مع أبي جعفر لايفارقه وولاه على حران فلما خلع عبد الله بن علي وحاصر مقاتل ابن حكيم بحران ثم أمنه واحتال عليه حتى قتله.

وقدم محمد بن مقاتل القيروان في شهر رمضان ١٨١هـ[٣] وتسلمها، وعاد هرثمة إلى الرشيد[٤] ولم يكن محمد بن مقاتل محمود السيرة، حيث أساء السياسة وظلم وجار[٥] وشمخ بأنفه على الرعية،

---

١ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص٤١١. * الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٤. *ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٨. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٥.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٤. * ابن الأثير: الكامل ٥:١٠٣. * ابن الأبار الحلة السيراء ١:٨٨-٨٩. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٢.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٤. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٩. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٥.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:١٠٤.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٤. * ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٢. * حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي٢:٢١٠. * إحسان حقي: تونس العربية ص٤٨.

واشتد في موضع اللين[١] وقبح رأيه وسوء سيرته، ومايُؤثر من أخباره من أنه قدم على عابد زمانه وورع عصره البهلول بن راشد فضربه بالسياط ظلماً وحبسه، وكان ذلك سبب موته[٢]. وقيل في سبب اعتداء محمد بن مقاتل على البهلول يعود إلى أن البهلول انتقد الوالي لأن الوالي كان يريد أن يرسل بعض المواد الخام الصالحة للحرب ولصناعة الأسلحة من حديد ونحاس إلى ملك الروم، فعارضه البهلول ووعظه إذ لايجوز له ذلك[٣]. وقد أثار حادث ضرب البهلول هذا الشعب والعلماء ضد ابن العكي[٤] ليس في القيروان فقط، فبعض الروايات تذكر أن الجيش في بغداد تحرك بسبب ضرب البهلول وتقدم إلى باب الخليفة مطالباً بمعاقبة محمد بن مقاتل[٥].

وذُكر من أفعال ابن العكي وقلة خبرته أنه اقتطع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية[٦]. مما أدى إلى الخروج عليه، فقد ذكر البلاذري أن ابن العكي لماتولى الثغر أساء السيرة فيه حتى انتفض عليه[٧].

---

١ ـ ابن أبي الضّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٤.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٩. * ابن أبي الضّياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٤.

٣ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٠٥.

٤ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١٤٢.

٥ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٩٩.

٦ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٢. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:١١٠.

٧ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٥.

وأدت الرعونة في سياسة الوالي الجديد إلى التأثير في أوضاع البلاد في عهده، فقام الجند بالثورات ضده، وتزعم أول حركات الثورة القائد فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي[١] الذي جمع حوله أهل الشام وأهل خراسان[٢]. أي من العرب وجيش الخلافة الموجودين في المغرب فهي إذن ليست ثورة بربر أوعنصرية ضد العرب، وقد أخذ فلاح في تأليب الناس وجمعهم للثورة ضد العكي وجوره وأشار عليهم بتقديم مخلد بن مرة الأزدي[٣].

ويذكره الرقيق بأنه مرة بن مخلد الأزدي[٤] وقد اجتمع له كثير من الجند والبربر وغيرهم بلغ عددهم خمسمائة وقبل أن يستعدوا للقتال هجم عليهم جيش محمد بن مقاتل الذي جعل على قيادته الخصيب مولى ابن العكي[٥] فانهزم مخلد واختفى في مسجد فأُخذ وذبح[٦] وقتل أكثر من كان معه وانهزم أصحابه إلى تونس. ومرَّ الخصيب بمنزل فلاح فاحرقه. وأخذ امرأته وانطلق بها[٧] وعندما وصل أصحاب مخلد إلى

---

١ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء: ٩١:١.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ٨٩:١. * النويري: نهاية الأرب ٩٦:٢٤.

٣ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٩١:١. * ابن عذارى: البيان المغرب ٨٩:١. * ابن خلدون: العبر ٩٥:٤.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٥.

٥ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٩٠:١-٩١.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ١٠٤:٥.

٧ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ٩١:١.

تونس تجمعوا وولوا عليهم تمام بن تميم التميمي الذي كان عاملاً من قبل ابن العكي على تونس[١]. واسمه تمام بن تميم الدارمي التميمي، أبوالجهم، وهو ابن عم إبراهيم بن الأغلب[٢]. فبايعه جماعة من القواد من أهل الشام وأهل خراسان[٣]. فقدم بهم تمام إلى القيروان في النصف من شهر رمضان سنة ١٨٣هـ[٤].

وخرج ابن العكي من القيروان لملاقاته، فدار بينهما قتال شديد قرب القيروان في منية الخيل وكانت نتيجة هذه المعركة إنهزام والي الخلافة ابن العكي وعاد إلى القيروان[٥] وتحصن في دار كان قد بناها وترك دار الإمارة[٦] فأقبل تمام وعسكر خلف الوادي بباب أبي الربيع عند مصلى روح بن حاتم[٧]. فلما أصبح تمام فتح أهل القيروان له الباب فدخل القيروان دون مقاومة[٨] يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر رمضان سنة ١٨٣هـ[٩].

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ٢٠٥. * ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:١١٠.

٢ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٩١.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ المغرب ٢٠٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩٠. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٦.

٤ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:١٠٤. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٩.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ٢٠٥. * ابن الأثير: الكامل ٥:١٠٤. * ابن خلدون: العبر ٤:١٩٥.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ٢٠٥. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٧. * ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٤.

٧ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ٢٠٥. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩٠.

٨ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٤١١.

٩ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩٠.

وبعد دخول تمام القيروان أمن العكي على دمه وماله وأهله على أن يخرج من إفريقية[١] فخرج محمد وسار إلى طرابلس ومنها إلى العراق[٢] وقيل إنه مضى من طرابلس إلى سرت[٣] فكانت مدة ولاية العكي إلى أن أخرجه تمام سنتين وعشرة أشهر[٤].

ولم يرضَ جند العكي عما حصل له بخروجه من المغرب فلحق بطرابلس قوم من أهل خراسان منهم عباس بن طرحون صاحب شرطته وأبو العنبر كاتبه، واجتمع رأيهم على أن يكتبوا إلى العكي بالرجوع إلى طرابلس. فأرسلوا إليه وهو مقيم بسرت، فرجع إلى طرابلس[٥] وكان تمام آنذاك مقيمًا بالقيروان بعد إخراجه ابن العكي منها حيث بقي هو المتغلب على إفريقية[٦]. وسمع بهذه الأخبار إبراهيم بن الأغلب بن سالم ابن عقال، أبوإسحق وهو الوالي على الزاب من قِبَل هارون الرشيد وابن العكي على إفريقية[٧] فنهض لنصرة والي الخليفة ابن العكي[٨].

---

١ ـ ابن الأثير الكامل ٥:١٠٤. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٩. * ابن عذارى : البيان المغرب ١:٩٠.

٢ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢:٤١١. * الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٩٦.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٥.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩٠. * ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ص١٢٣. *حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٤.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٦. * ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩٠.

٦ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٦. ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ١:١٢٤.

٧ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٩٣.

٨ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:١١.

فلما قارب من الوصول إلى القيروان هرب منها تمام وخرج إلى تونس لأنه عرف أنه لاطاقة له بقتال إبراهيم بن الأغلب[١].

ودخل ابن الأغلب بجيشه إلى القيروان[٢] فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم طلع المنبر فخطب بالناس وأخبرهم أن أميرهم محمد بن مقاتل وأنه إنما جاء ليرد والي الخلافة وكتب إلى ابن مقاتل يخبره بمافعل ويسأله الرجوع إلى القيروان[٣] فأقبل العكي راجعًا حتى دخل ومن معه القيراون، وكان استقبال أهل القيروان له غير سار وذلك ماكان متوقعًا منهم، فهم الذين فتحوا الأبواب لتمام ليدخل، وكان موقفهم هذا مع ابن العكي بسبب سياسته وجوره مع الرعية. ،ذكر الرقيق أن ابن العكي عندما صار بسوق اليهود وأشرف الناس عليه من دورهم نادته امرأة من جملة الناس قائلة له: "اشكر إبراهيم فإنه الذي رد عليك ملكك بأفريقية"[٤] "بعد أن فرَّطت فيها وأضعتها بسوء رأيك وفساد تدبيرك فسقط في يده وانخذلت نفسه ولم يحر جوابًا"[٥].

وانتهز تمام فرصة كره الناس للعكي فجمع خاصة من أصحابه، منهم عيسى بن الجلودي وعباس الصليفي وقال لهم (إن إبراهيم قد ردَّ الثغر على العكي والذين مع العكي قد ملئوا رعبًا من وقعاتنا بهم، وإذا

---

١ ـ ابن الأثير الكامل ١٠٤:٥. * ابن الآبار: الحلة السيراء ٨٩:١. * ابن خلدون: العبر ١٩٥:٤.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٩٠:١. * راسم راشدي: طرابلس الغرب ص٧٤.

٣ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ٢٠٦. * ابن الأبار: الحلة السيراء ٨٩:١.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٦-٢٠٧. * ابن عذارى: البيان المغرب ٩٠:١.

٥ ـ عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا ص١٩٦.

بلغهم خروجي من تونس فسيسلمونه [أي العكي] إليَّ وسيقدمون علي لأنهم يكرهون العكي لأنه حسود ولأنه يخالف أمرهم فيما يشيرون به عليه فكاتب تمام الناس فأسرع إليه كثير منهم فكان الرجل لايزال يقوم في الجماعة، "فيقول: قد كنَّا استرحنا من ابن العكي فجاء إبراهيم فغلب على الثغر ورده، فالموت خير من الحياةفي سلطان ابن العكي". فتجمع بذلك إليه الكثير من الناس حتى طابت نفسه لقتال ابن العكي بعدما رأى من قوته وكثرة من معه)(١)؛ فتجرأ تمام وكتب إلى محمد بن مقاتل العكي كتابًا وأرسله إليه يقول له فيه:

"أما بعد فإن إبراهيم بن الأغلب لم يبعث إليك فيردك من كرامتك عليه، ولالطاعة التي يظهرها للخليفة، ولكن كره أن يبلغ إليك أخذه البلاد فترجع إليه، فإن منعك كان مخالفًا لأمير المؤمنين. وإن دفعها إليك. كان مافعله لغيره. فبعث إليك لترجع ثم يسلمك إلى القتل. وغدًا تعرف ماجربت من وقعتنا لك بالأمس!"(٢).

وكتب في آخره:

وماكان إبراهيم من فضل طاعةٍ

يرد عليك الثغر لكن لتقتلا

فلوكنت ذا علم وعقل بكيده

لما كنت منه يابن عكٍ لتقبلا

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٧. *ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩٠.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩١. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٣.

فمهما تشأ يمنعك منه ابن غالب

ومهما يشأ فيك ابن أغلب يفعلا[١].

فلما وصله كتابه إلى ابن العكي قرأه ودفعه إلى ابراهيم فلما قرأه ضحك، وقال: "قاتله الله" ضعف عقله، زين له ما كتب به" فكتب إليه ابن العكي: "من محمد بن مقاتل إلى الناكث تمام، أما بعد: بلغني كتابك ودلني مافيه على قلة رأيك، وفهمت قولك في إبراهيم، فإن كنت كتبته نصيحة فليس من خان الله ورسوله وكان من المفسدين بمقبول منه ماينصح به، وإن كانت خديعة فأقبح الخدائع مافطن له، وأما ماذكرت من إسلام إبراهيم إذ التقينا فلعمر أبيك مايلقاك غيره، وأماقولك: أنّا جربنا من وقعتك أمس ماستعرفه غداً، فإن الحرب سجال، فلنا ياتمام عليك العقبى إن شاء الله". وفي أسفله:

وإني لأرجو إن لقيت ابن أغلب

غداة المنايا أن تغل وتقتلا

تلاقي فتى يستصحب الموت في الوغى

ويحمي بصدر الرمح مجداً مؤثلا [٢]

فأقبل تمام من تونس في عسكر عظيم[٣] وأمر ابن العكي رجاله

---

١ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٨٩.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية: ص٢٠٨ ـ ٢٠٩. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٨.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٩١. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٩.

بالخروج إلى تونس لملاقاة تمام[1].

"ثم أقبل ابن العكي على إبراهيم يستشيره، فقال ماترى؟ فقال إبراهيم: إن تماماً طمع فيك، وتصديق ذلك أنه هرب مني فيمن معه وأنا في قلة، ثم دعاه طمعه أن اجترأ على الإقدام عليك وأنا معك وعند عصابة قد جربتم، فأقم حتى أكون أنا الذي انتدب إلى قتالهم وإن أبيت إلا الخروج تقدمتك" فقال: إفعل، فبعث إبراهيم إلى أهل بيته وأصحابه ومعه عمران بن مخالد وعمرو بن معاوية وابن العكي وراءهم في معظم جيشه، ثم ساروا حتى نزلوا منية الخيل، وأقبل تمام حتى صار بطساس، وعبأ إبراهيم الخيل وزحفوا إليه[2] فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم تمام وقتل جماعة من أصحابه وعاد إلى تونس ورجع ابن العكي إلى القيروان. ثم أمر إبراهيم بالسير إلى تمام بتونس وذلك في شهر المحرم ١٨٤هـ فلما بلغ تماماً إقباله كتب إليه يسأله الأمان، فأمنه ... وأقبل به إلى القيروان يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر[3].

فلما تولى إبراهيم أمر القيروان أرسل تمام بن تميم والجلودي واللطيفي وغيرهم من وجوه الجند الذين كان من شأنهم الوثوب على

---

١ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٩. * ابن عذارى: البيان المغرب ٩١:١.

٢ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٩.

٣ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٩. * ابن عذارى: البيان المغرب ٩١:١. * النويرى: نهاية الأرب ٩٩:٢٤. * ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ١٢٤:١. * محمد الباجي: الخلاصة النقية ص٢٤.

الأمراء والخروج عليهم أرسل جميع هؤلاء إلى بغداد، فحبسهم الرشيد[١].

وقد سار مسلمة بن تميم أخو تمام إلى بغداد حيث زار أخاه في السجن، ثم استأذن في الدخول على أمير المؤمنين ومقابلته، فدخل عليه وقال: "ياأمير المؤمنين كان أبي من وجوه القواد، قواد جدك المنصور أمير المؤمنين" فأكرمه الرشيد وأمرله بصلة وكسوة وأن ينزل في دارالضيافة[٢]. ووعده بإطلاق سراح أخيه تمام. فبلغ ذلك إبراهيم بن الأغلب فكتب إلى عمته ـ وهي ببغداد ـ في سَمِّهِ فاشتهى تمام حوتًا فَسَمَّتْهُ له فمات من أكله بعد أن ذهب بصره في المطبق قبل وفاته بشهر، وعلم الرشيد بذلك فترحم عليه وتوجع له، وأحسن إلى مسلمة أخيه وصرفه إلى إفريقية[٣].

وأخرج الرشيد صاحبيه الجلودي واللطيفي من السجن فولى الجلودي الحرمين واللطيفي بعض عمله[٤].

ولم يستتب أمر البلاد بعد ذلك للعكي فقد بدأ كره الناس له يشتد. وهذا الكره مؤشر بنهاية ولاية ابن العكي، فيذكر أن أهل إفريقية كاتبوا الخليفة الرشيد يطلبون منه عزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢١٠. * ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٩٢-٩٣. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:٩٩.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢١٠.

٣ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:٩٣.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢١٠.

الأغلب عليهم[١] حيث استراح الناس لابن الأغلب مماجعلهم يطلبون منه أن يكتب إلى الرشيد يطلب منه ولاية إفريقية فكتب إليه ابن الأغلب في ذلك[٢].

وترتب على طلب تغيير العكي من قبل أهل البلاد أنفسهم ومن ابن الأغلب بالأضافة إلى كتاب آخر يعزز طلب التغيير وهو كتاب يحيى ابن زياد[٣] صاحب البريد في القيروان إلى هارون الرشيد يشرح له فيه أوضاع البلاد. وكانت هذه مهام صاحب البريد حيث ذكر يحيى للرشيد ماكان من أمر ابن الأغلب وتدخله لإنقاذ البلاد من ثورة تمام ومدى ضعف العكي بالإضافة إلى كره الناس له[٤] عند ذلك جمع الرشيد أصحابه ليستشيرهم فيمن يوليه أمر بلاد المغرب فأشاروا عليه بإبراهيم بن الأغلب[٥].

وكان فيمن يجلس مع الرشيد هرثمة بن أعين الوالي السابق على بلاد المغرب، فأشار هرثمة بإبراهيم بن الأغلب لعقله ودينه وكفايته ولإنه هو الذي قام بحفظ إفريقية على ابن مقاتل، فولاه الرشيد في المحرم

---

١ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢:١١٠.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:١٠٤. * ابن خلدون: العبر ٣:٢٢٨. * أحمد الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص٦١.

٣ ـ ذكر الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٢٠: أنه يحيى بن الفضل، ولكن النويري ص١٠٠ ذكر أنه يحيى ابن زياد ، وعندما ذكره الرقيق مرة أخرى في نفس الصفحة ذكره بأنه يحيى ابن زياد، فالأرجح أنه يحيى بن زياد.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٢٠. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:١٠٠.

٥ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص٢٣٥.

سنة١٨٤هـ [١]. وتذكر الروايات أن إبراهيم لما طلب الولاية تنازل عن مقدار مائة ألف دينار كانت ترسل من مصر إلى إفريقية كمعونة سنوية[٢].

كما تعهد أن يرسل إلى الخلافة خراجًا سنويًا قدره أربعون ألف دينار[٣]، وبعد أن اتضح الأمر للرشيد كتب بعزل ابن مقاتل وتولية ابن الأغلب، وعندما وصل الكتاب إلى يحيى بن زياد صاحب البريد، إنطلق بدوره إلى ابن الأغلب وسلمه الخطاب "فأرسل إبراهيم بن الأغلب إلى العكي بقوله: أقم ماشئت حتى تتجهز" فأقام ابن العكي أيامًا ثم رحل إلى طرابلس فوافاه حمَّاد السعودي بكتابين قدم بهما إلى ثغر إفريقية حسبما كانت تجري به إلى أصحاب الثغور، فافترى ابن العكي كتابًا ثالثًا بعزل إبراهيم وبعث به مع الكتابين إلى القيروان. فلما قرأ الكتاب على الناس مع الكتابين اجتمع الناس إلى إبراهيم فقالوا: "أقم - أصلح الله الأمير - بمكانك واكتب إلى أمير المؤمنين فإن ابن العكي اختلق هذا الكتاب زورًا ولم يكافئك على نصرتك له وحقنك دمه". فقال إبراهيم: والله لقد ظننت ظنكم وهممت أن أسير إليه حتى أطعمه هذه الكتب"[٤].

---

١ - ابن الأثير: الكامل ١٠٤:٥. * أحمد الأنصاري: المنهل العذب ص٦١.

٢ - ابن خلدون: العبر: ١٩٦:٤. * سيف الدين الكاتب: أعلام من المغرب والأندلس ص٢٠.

٣ - ابن خلدون: العبر ١٩٦:٤. * إحسان حقي: تونس العربية ص٤٨. * كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب العربية ص١٨٨.

٤ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٢٠-٢٢١. * النويري: نهاية الأرب ١٠١:٢٤، وذكر تلك الأحداث ابن الأبار: الحلة السيراء ٩٤:١. ولكنه ذكر أن الذي كتب الكتاب الثالث على لسان هارون الرشيد هو داود القيرواني كاتب العكي.

وبلغ من تجرؤ العكي وسوء تصرفه أنه أرسل كتاباً إلى سهل بن حاجب يستخلفه على البلاد لحين قدومه. فكتب صاحب البريد بالخبر كله لهارون الرشيد فغضب وكتب إلى ابن العكي "أما بعد فلم يكن آخر أمرك يشبهه إلا أوله فلأي مناقبك أؤثرك على إبراهيم بولاية الثغر، ألفرارك وإقدامه. أولجزعك وصبره. أم لخلافك وطاعته؟ فإذا نظرت كتابي فاقدم غير محمود الفعال"

وكتب إلى إبراهيم بتجديد ولايته، فوصل الرسول بالكتاب إلى القيروان، وإبراهيم بالزاب، فمضى بالكتاب إليه، فكانت ولايته الأخرى التي استقر بها ملكه وملك بنيه من بعده لاثنتي عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة سنة ١٨٤هـ[١].

وعاد محمد بن مقاتل إلى المشرق[٢]، ويختصر اليعقوبي جميع تلك الأحداث السابقة في قوله: " ولى الرشيد إفريقية محمد بن مقاتل، فثار عليه تمام بن تميم التميمي حتى حصره في القيروان ثم فتح أهل القيروان الباب لتمام، فدخل المدينة، وطلب محمد بن مقاتل الأمان. فأمنه، وخرج ابن مقاتل إلى العراق وتغلب تمام على البلد، ثم ثار عليه أهل خراسان وأهل الشام فحاربوه فانهزم منهم، وقدم إبراهيم بن الأغلب فولاه أهل المغرب عليهم، فضبط عليهم، وبلغ الرشيد ذلك فكتب إليه بعهده على إفريقية، وبعث إليه بالعهد مع يحيى بن موسى الكندي. وكان إبراهيم بن الأغلب بن سالم أحد الجنود الذين أخرجوا من مصر إلى إفريقية. وكان يتولى شرطة صاحب إفريقية.

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٢١. * النويري: نهاية الأرب ٢٤:١٠١-١٠٢.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٩٦.

فلما توفي ابن مقاتل واستخلف إبراهيم على البلد ضبطه وحسنت طاعة أهله"(١).

ولي تعليق على نص اليعقوبي هذا حيث أن اختصاره للأحداث أوقعه في عدة أخطاء سأستعرضها وأرد عليها من معلومات المصادر السابقة الذكر.

أولاً: لقد ذكر أن أهل الشام وأهل خراسان ثاروا على تمام وأخرجوه. وهذا خطأ فإن أهل الشام وأهل خراسان إنما انضموا إلى تمام وثاروا على ابن العكي وحتى بعد أن خرج تمام إلى تونس انضموا إليه وقوي بهم ليقدم مرة أخرى إلى القيروان، فهم إذن لم يحاربوا تماماً ولم ينهزم منهم.

ثانيًا: أن أهل القيروان لم يولوا إبراهيم بن الأغلب عليهم قبل أن يأتيه العهد من الخليفة الرشيد بالولاية.

ثالثًا: أن إبراهيم كان في منطقة الزاب ولم يكن على شرطة إفريقية.

رابعًا: أن ابن مقاتل لم يتوفَ في القيروان. فابن مقاتل عزل عن الولاية وعاد إلى المشرق بعد أن جاء كتاب الخليفة بولاية ابن الأغلب.

وكان ذلك نهاية عهد ولاة بني العباس حيث أن إبراهيم بن الأغلب تولاهاعلى أن يستقل بها استقلالاً تابعًا للخلافة يعترف فيه بالدعاء لها على منابرها ويلبس السواد شارتها، وقد استطاع أن يورثها لأبنائه من بعده.

---

١ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١١ – ٤١٢.

البهلول بن راشد

هوأبوعمرو البهلول بن راشد من أهل القيروان من أصحاب مالك، ولد في سنة ١٢٨هـ وكان مجتهداً ورعًا، مستجاب الدعوة، وكان عنده علم كثير. سمع من شيوخه مالك ، والثوري، والليث بن سعد وغيرهم.

ومن تلاميذه: سمع منه سحنون، ويحيى بن سلام وجماعة، روي عنه القعنبي: عبد الله بن مسلم قال: هو وتدٌ من أوتاد المغرب، ونظر إليه مالك فقال: هذا عابد بلده(١).

وقال أبوبكر المالكي: كان البهلول من أهل الفضل والعلم والورع معروفًا بذلك مع العبادة والاجتهاد

وقال عنه سحنون: "كان البهلول رجلاً صالحًا. ولم يكن عنده من الفقه ماعند غيره، وإنما اقتديت به في ترك السلام على أهل الأهواء"(٢).

قال أبو العرب: "حدثني محمد بن بدر بن يحيى الجذامي من أنفسهم عن البهلول بن عمر مارأيت أحدًا أ خشى لله من البهلول بن راشد"(٣).

وكان البهلول بن راشد كريمًا جوادًا "قال أبوبكر: وحدثني

---

١ ـ ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب ١:٣١٥.

٢ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٨٨-٨٩. * الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٦٩٨.

٣ ـ أبوالعرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ٢:٥٨.

أبوعثمان قال: سمعت أبي رضي الله عنه يقول: كان البهلول من أغير الناس ولم يكن يدخل داره رجل غيره".

قال أبو بكر: حدثني أبوعثمان، قال: سمعت أمي رحمة الله عليها تقول: وجهت إلى بهلول وأنا طفلة فلما رآني قال: تبارك الله نزع بها الشبه ثم وهب لي مائة درهم.

قال: وبلغني من غير خبر أمي أنه لم يكن يحبس مافوق خمسة دزاهم[1].

وكان اهتمامه بالسنة النبوية واتباعه لتعاليم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "قال ابن الحداد: قال لي أبوسنان: ربما سمعت البهلول من داركم وهو يهدر ويقول: السنَّة ! السنَّة ويُلِجُّ بها"[2].

وعن علاقاته بالزهاد وأهل الدين نجد تقديره واحترامه لهم في موقفه مع رباح بن يزيد فقد "قال أبوعثمان بن الحداد: بلغني أن بهلولاً كان ذات يوم جالساً وعنده صاحبه رباح بن يزيد الزاهد إذ أقبل أخو البهلول من البادية فجعل يلهج بخبر المطر والزرع وبهلول يتقلّى ويتلوَّن اغتماماً لرباح لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها، فلمَّا أكثر أخوه من هذا نهض رباح وجعل يقول لبهلول: سقطت مِن عيني، تُذكَرُ الدنيا في مجلسك ولاتغير !! فقال له البهلول: إذا لم أسقط من عين الله فلاأبالي من عين من سقطت، فخرَّ رباح على رأسه يقبله ويقول: نعم ياحبيبي

---

١ ـ أبوالعرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ٢:٦٠.

٢ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٩٧. * الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٠٣.

يابهلول، لاتبالي من عين من سقطت إذا لم تسقط من عين الله"(١). وكان البهلول يحترم الفقيه عبد الله فروخ الفارسي ويحيل إليه في إجابة المسائل التي تختلف عليه، وكان يقول: ابن فروخ الدرهم الجيد، وأنا الدرهم الزيِّف(٢).

وبلغت شهرة البهلول بالدين والصلاح إلى أقصى المشرق فكتبت إليه امرأة من سمرقند خراسان تطلب منه الدعاء "فقد مجنت مجونًا لم يمجُنْه أحد إلا هي، ثم أنابت إلى الله، وسألت عن العباد في أرضه، فوصف لها أربعة، بهلول بإفريقية أحدهم" فكتبت إليه تطلب منه الدعاء لها بأن يديم الله عليها توبتها(٣).

وتذكر المصادر قول سحنون: كان الذكر لرباح فلما مات صار لبهلول وماذاك إلا من خشية كانت له(٤).

محنته ووفاته:

امتحن البهلول بن راشد على يد ابن العكي والي إفريقية "قيل له: إنه يقع في سلطانك، وضعف عنده أمره فأمر به فتحاشد الناس معه، فزاده ذلك حنقًا عليه، فأخرج إليه الأجناد ففضوهم وأمر بتجريده وضربه بالسياط ورمى جماعة عليه أنفسهم فضربوا وضرب هو نحو العشرين وحبسه، وكان عندما همَّ به وسيق لقيه قوم متلثمون فشاوروه في

---

١ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٠٠.

٢ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٠٠.

٣ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٨٩.

٤ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٨٩. * الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٦٩٨.

القيام عليه وتخليصه فجعل يقول لا.لا"[١].

وقيل أن ابن العكي ضرب البهلول تلك السياط لعلاقة كانت بين ابن العكي والطاغية ملك الروم فكان ابن العكي يلاطف الطاغية ويرسل إليه الهدايا فيكافئه الطاغية، فكتب إليه الطاغية أن ابعث إلينا بالنحاس والحديد والسلاح، فلما عزم ابن العكي على ذلك، وعظه البهلول لتزول عنه الحجة من الله، فلما ألح عليه في ذلك بعث إليه فضربه أسواطًا دون العشرين[٢].

وندم ابن العكي بعد ذلك على ضربه البهلول وذكر أنه وجه إليه بثياب وكيس فلم يقبل البهلول منه ذلك، فلما أبى سأله أن يحلله، فقال له: ماوقع عليٌّ سوط إلا وأنا أستغفر الله لك يابائس. وفي رواية ماحللت يدي من العقالين حتى جعلتك في حل[٣] وبريء البهلول من الضرب الذي أصابه من ابن العكي إلا أثر سوط واحد تنغّل فصار قرحة وكان سبب موته منها[٤] رحمة الله عليه.

قال البهلول: أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولافي السماء وهو السميع العليم، فلما كان يومي مع ابن العكي نسيت أن أقولها فابتليت به[٥].

---

١ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:٩٨-٩٩.

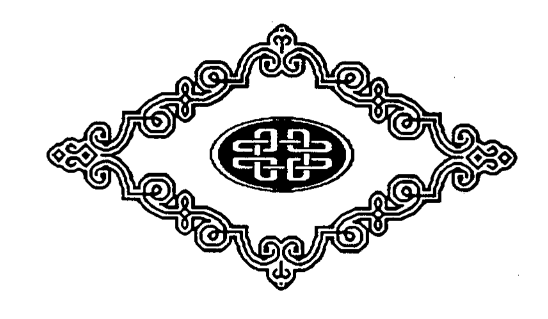
٢ ـ الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١:٢٧٦.

٣ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:١٠١. * الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٧٠٦

٤ ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:١٠١.

٥ ـ الدباغ معالم الإيمان ١:٢٧٦.

وكانت وفاته بالقيروان سنة ١٨٣هـ وقال فرات: مات سنة ١٨٢هـ وقبره بباب سالم[1].



١ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ٢:٦١. * القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣:١٠١. * ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب ١:٣١٦.

الفصل الرابع

العلاقة بين الولاة العباسيين
والدول المنفصلة

العلاقة بين الولاة العباسيين والدول المنفصلة:

شهدت بلاد المغرب والأندلس قيام دول منفصلة ذات مذاهب مختلفة لاتدين في ولائها للخلافة العباسية، ارتبطت بعلاقات مختلفة فيما بينها وبين ولاة الدولة العباسية في المغرب الأدنى. وسأقوم بتتبع علاقات كل منها بالولاة.

* الدولة الأموية في الأندلس:

بعد قيام الخلافة العباسية سنة ١٣٢ هـ في بغداد بدأ الخلفاء العباسيون في تعقُّب رجال الأسرة الأموية وقتلهم فهربوا متفرقين في البلدان، وخرج عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (١) متخفِّيًا من موضع إلى موضع. فوصل إلى مصر ثم سار منها إلى برقة حيث بقي فيها مستترًا مدة ثم رحل عنها وأوغل في بلاد المغرب، ولحق به بدر مولاه، فوصل عبد الرحمن إلى إفريقية وواليها يومئذ عبد الرحمن بن حبيب الفهري(٢). ويضيف ابن عذارى رواية اليهودي الذي ذكر لعبد الرحمن الفهري عن خبر قرشي من بني أمية يتغلب على الأندلس، اسمه عبد الرحمن ذوضفيرتين، فلما رأى عبد الرحمن الفهري عبد الرحمن الأموي فوجده بضفيرتين، فقال لليهودي: ويحك هذا هو المذكور، وأنا قاتله. فقال له اليهودي: " إن يَكُ هو لم تقتله"(٣).

---

١ ـ هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية كنيته أبو المُطرف. أمه بربرية من سبي المغرب تسمى راحا أو رداحا، وفي عبد شمس بن مناف يلتقي نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد بموضع يُعْرَفُ بدير حسينة من دمشق سنة ١١٣هـ * ابن عذارى: البيان المغرب ٢:٤٧.

٢ ـ ابن عذارى: المصدر السابق ٢:٤٠-٤١ * أحمد الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس ص ٢٩.

٣ ـ ابن عذارى المصدر السابق ٢:٤١. * أحمد الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس ص٤٤-٤٥.

وقد أشار الدكتور محمد زيتون في كتابه المسلمون في المغرب والأندلس إلى هذه التنبوءات وذكرها في تاريخنا الإسلامي أنها بعيدة كل البعد عن حقيقة التاريخ الإسلامي الذي يُربِّي أبناؤه على أن الغيب لايعرفه إلا الله سبحانه وتعالى ممايجعلنا نميل إلى أن الروايات التي تتعلق بالتنبؤات روايات ملفَّقة ومخترعة ولاأساس لها من الصحة(١). وأنا أميل إلى الأخذ بهذا الرأي بالنسبة لهذه التنبؤات.

وقد استطاع عبد الرحمن الأموي الابتعاد عن القيروان ناجياً من بطش عبد الرحمن الفهري، حتى وصل إلى تادلا من قبائل المغرب، فلم يحسنوا استقباله حيث تشير رواية ابن عذارى إلى مدى الضيق الذي عاناه عبد الرحمن الأموي أثناء وجوده معهم مما اضطره إلى الفرار مرة أخرى لاجئًا إلى أخواله من قبائل نفزة الذين ساعدوه وقدَّموا له الحماية والأمان(٢) ولما رأى عبد الرحمن مطاردة العباسيين له في المغرب على يد واليهم عبد الرحمن الفهري وأن وجوده هناك خطر يهدد حياته بدأ يتطلع إلى الأندلس ليكون بعيداً عن أيدي العباسيين وولاتهم في إفريقية، فأرسل بدراً مولاه إلى من بالأندلس من موالي الأمويين وأشياعهم يستميلهم إلى صف عبد الرحمن الأموي لوعبر إليهم، ووجدت دعوة بدر هذه أرضًا خصبة في الأندلس حيث كانت الفتنة فيها بين اليمنية والمضرية. فاجتمعت اليمنية على أمره ورجع بدر بذلك الخبر إلى مولاه عبد الرحمن فأجاز عبد الرحمن الأموي البحر إلى الأندلس سنة ١٣٨هـ في خلافة أبي جعفر المنصور.

---

١ - محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٢٤١.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ٢:٤١. * حسن خليفة وحسن مراد وأحمد إبراهيم الشرقاوي: تاريخ العرب في إفريقية والأندلس ص٥٢.

وهناك قام عدد كبير من أهل إشبيلية بمبايعته وأخذ عبد الرحمن الأموي في التنقل بين المدن الأندلسية يجمعها تحت راية الأمويين[١] ولما كثر أتباع عبد الرحمن الأموي استطاع التصدي لوالي الأندلس يوسف ابن عبد الرحمن الفهري والتغلب عليه وقتله بعد حرب طويلة.

وتمكن عبد الرحمن من دخول قرطبة بعد أن أعلنت الأندلس طاعتها له[٢]. ثم رأى عبد الرحمن الأموي بثاقب بصره أن الوقت قد حان لإقرار أوضاع الأندلس والقضاء على الثوار. فقاد جيوشه لتحقيق هذه الغاية حتى استقامت له الأمور فاستقرفي قرطبة وتوافدت عليه بقايا الأمويين من مختلف الأماكن، وحرص عبد الرحمن في البداية على الدعوة للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ولكن لم يلبث عقب استقرار دولته أن قام بقطعها، فكانت دولته لاتدين بالولاء للعباسيين، ولم يقم عبد الرحمن بالتلقب بألقاب الخلافة أبدًا حرصًا على وحدة المسلمين ولاعتباره أن الخلافة حق لمن ملك الحرمين الشريفين، فاكتفى بلقب الإمارة، ولاعجب أن رأينا الخليفة العباسي في المشرق يحمل مشاعر التقدير والاحترام لهذا الأميرالبطل فأطلق عليه لقب صقر قريش.

وحرص عبد الرحمن الداخل على جعل الإمارة وراثية في أبنائه من بعده فعقب وفاته سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م خلفه على عرش الأندلس ابنه الأمير هشام، وقد استمرت دولتهم في الأندلس إلى مابعد المائة الرابعة للهجرة[٣].

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ٤:١٢١.

٢ ـ الضبي: بغية الملتبس ص١٢. * ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ص٥٦.

٣ ـ ابن خلدون: المرجع السابق ٤:١٢١-١٢٢. * عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي ص٢١٦-٢١٧.

علاقات الخلافة العباسية وولاتها في المغرب بالدولة الأموية في الأندلس

علاقات حربية:

لم يكن نجاح عبد الرحمن الأموي في الأندلس بالأمر السهل الذي تتقبله الخلافة العباسية، فقد حزّ في نفس أبي جعفر المنصور أن يكون لبني أمية مُلْكٌ يقاسم بني العباس في ممتلكات الخلافة، فعمل على التخلص منهم، وعزم على اقتلاع جذورهم من الأندلس، كما عمل أبوالعباس السفاح من قبل على استئصال شأفتهم من دمشق، وكان للخليفة العباسي دور في الثورات التي قامت ضد عبد الرحمن الأموي في الأندلس .

إذ أن بعضها حدث بتحريض من الخليفة العباسي وبمساعدة ولاة إفريقية الذين قاموا بإمداد الثوار بالمساعدات العسكرية والإمدادات اللازمة لذلك[١].

---

١ ـ عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٧٣.

ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي

في سنة ١٤٦هـ/٧٦٣مـ سار العلاء بن مغيث اليحصبي من إفريقية إلى مدينة باجة من بلاد الأندلس. ولبس السواد شعار الخلافة العباسية، وقام بالدعوة لأبي جعفر المنصور فاجتمع حوله خلق كثير[1].

وأثناء ذلك ثار في طليطلة زعيم آخر له مكانته لدى القيسيين هو هشام الفهري الذي دعا لبني العباس هناك وكأنه أراد بذلك شغل عبدالرحمن عن الخطر الداهم والزاحف إليه من الجنوب وهو خطر العلاء، فأسرع عبد الرحمن بالتصدي للخارجين عليه، فاستطاع القضاء على هشام وثورته سريعًا ثم تفرغ لمقابلة العلاء[2]. فخرج إليه من قرطبة متجهًا إلى حصن قرمونة الواقع شرق إشبيلية، فحاصره العلاء هناك حصارًا محكمًا مدة دامت نحو شهرين. حتى أوشك الأمير الأموي أن يلقي مابيده ويستسلم لولا أن الحظ أسعفه بماحصل في صفوف العلاء من تخلخل بسبب طول الحصار ونقص مؤنتهم مماجعلهم يتفرقون عائدين إلى كورهم ومنازلهم. وعلم عبد الرحمن بماهم عليه من الاضطراب والفوضى فانتهز الفرصة "وأمر بنار، فأوقدت، ثم أمر بأغمدة سيوف أصحابه فأحرقها، وقال لهم: أخرجوا معي لهذه الجموع خروج من لايحدث نفسه بالرجوع" وكانوا نحو سبعمائة من ذكور الرجال، ومشاهير الأبطال، فأخذوا معهم سيوفهم بأيديهم، وخرجوا مفصحين إلى أعاديهم،

---

١ ـ ابن الأثير الكامل ٢١:٥. * ابن عذارى البيان المغرب ٥١:٢. * ابن خلدون: العبر ١٢٢:٤ ولكنه يختلف في سنة ثورة العلاء حيث يذكر أنها كانت سنة ١٤٩هـ وليس ١٤٦ كما ذكرت بقية المصادر.

٢ ـ أحمد إبراهيم الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس ٩٧:١.

فدارت الحرب بينهم طويلاً، إلى أن صنع الله جميلاً، وزلزل أقدام العلاء وأصحابه، فولوا هاربين وفشلت ثورتهم، وقتل العلاء فيمن قتل من أولئك الأقوام"(١).

وبلغ عدد القتلى من أصحابه سبعة آلاف(٢) وبعد أن ظفر عبد الرحمن بقتل عدوه العلاء بن مغيث "أخذ رأسه وفُرِّغَ وحُشِيَ ملحًا وصبرًا، وحمل معه لواء أبي جعفر المنصور وأدخل في سفط، وبعثه مع رجال، وأمرهم أن يضعوا السفط بمكة. فوافقوا المنصور بها حاجًا في تلك السنة؛ فجعل السفط عند باب سرادقه. فلما نظر إلى مافيه قال: "إنَّا لله! عرَّضنا بهذا المسكين للقتل! الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان!" يعني عبد الرحمن(٣).

أما باقي القتلى من مشاهير أتباع العلاء القادمين معه من إفريقية. فقد قطعت رؤوسهم أيضًا، وكتب اسم كل واحد منهم على بطاقة عُلِّقت في أذنه، وأرسلت هي الأخرى إلى مدينة القيروان (مقر الولاة العباسيين) وألقيت في أسواقها، ومعها كتاب سجل فيه خبر مقتل العلاء وأصحابه. فانتشر خبرهم بين الناس(٤).

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٥٢:٢. * محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٢٦٠. * أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص١٠٥.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٢١:٥. * ابن خلدون: العبر ١٢٢:٤. * ويذكر ابن عذارى: البيان المغرب ٥٢:٢ أنهم ستة آلاف.

٣ ـ ابن عذارى: المصدر السابق ٥٢:٢. * خير الله طلفاح: حضارة العرب في الأندلس ٧٣:٦. * سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص٢٠٨.

٤ ـ ابن عذارى: المصدر السابق٥٢:٢. * عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٧٥.

لم تستسلم الخلافة لوجود عبد الرحمن الأموي في الأندلس فكان التخطيط لثورة ثانية للإطاحة بعبد الرحمن وكانت هذه الثورة في عهد الخليفة العباسي المهدي في سنة ١٦١هـ/٧٧٧م أي في فترة ولاية يزيد بن حاتم المهلبي على إفريقية (١٥٥-١٧٠هـ/٧٧١-٧٨٦م) بعد أن استقرت له الأوضاع في المغرب فكانت الفرصة سانحة للخلافة العباسية وولاتها للتفكير في إعادة المناوشات مع عبد الرحمن الأموي في الأندلس. فتمّ الاتفاق مع عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي(١) - وإنما لُقِّبَ بالصقلبي لطوله وزرقته وشقرته - على أن يعبر من إفريقية إلى الأندلس محارباً لأمير الأندلس حتى تدخل الأندلس في الطاعة للدولة العباسية، وعبر عبد الرحمن إلى ساحل تدمير في شرق الأندلس وكاتب سليمان بن يقظان العامل على برشلونة يدعوه إلى الدخول في أمره ومحاربة عبد الرحمن الأموي والدعاء إلى طاعة المهدي العباسي فلم يجبه سليمان إلى ماأراد فسار الصقلبي إليه على رأس جيش كبير من البربر لمحاربته فلقيه سليمان في معركة شديدة واستطاع هزيمة الصقلبي وجيوشه فعاد الصقلبي إلى تدمير، ليعيد بناء جيشه ويجمع قواته إلا أن عبد الرحمن الأموي لما سمع به لم يمهله فزحف إليه من قرطبة في العدة والعدد وأحرق سفن الصقلبي تضييقاً عليه وليقطع عليه خط الرجعة.

كما يقطع عنه وصول الإمدادات من إفريقية فلجأ الصقلبي إلى جبل بناحية بلنسية وتحصّن فيه. فبذل عبد الرحمن الأموي ألف دينار

---

١ - هو غير عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي القيروان الذي توفي سنة ١٣٨هـ

لمن أتاه برأس الصقلبي، فاغتاله رجل من أصحابه من البربر يدعى مشكار البربري فقتله وحمل رأسه إلى عبد الرحمن الأموي الذي كافأه بألف دينار. وكان قتله سنة ١٦٢هـ ورجع عبد الرحمن إلى قرطبة(١).

وبعض كتب المراجع تقدم شرحًا عن ثورة عبد الرحمن الصقلبي السابقة بأنها قامت بعد تحالف تمَّ بين الخليفة العباسي محمد المهدي وشرلمان ملك الفرنجة. وتمَّ هذا الاتفاق مع اثنين من الزعماء المحليين في المغرب والأندلس وهما عبد الرحمن بن حبيب المشهور بالصقلبي وأمير برشلونة اليمني سليمان بن يقظان الكلبي الأعرابي، ويذكر أصحاب هذه المراجع عن تفاصيل تلك الثورة، بأن يعبر عبد الرحمن الصقلبي البحر من أفريقية إلى شاطىء تدمير شرق الأندلس ويعبر شرلمان بجيوشه جبال البرتات في شمال إسبانيا ويتجه إلى مدينة سرقسطة فيسلمها له ابن الأعرابي وبهذا يطوِّقون عبد الرحمن ويقضون عليه، ثم يعلنون أن البلاد للخليفة العباسي وأن شارلمان صديقه وحليفه.

وذكروا أن هذه المؤامرات فشلت لافتقارها إلى التنسيق بين الأطراف المتآمرة من جهة وبُعْدُ المسافة وصعوبه المواصلات من جهة أخرى. فقد قام عبد الرحمن الفهري الصقلبي بثورته وأخذ يدعو للعباسيين في الأندلس ونزل في تدمير وطلب من سليمان بن يقظان مساعدته حسب الاتفاقية، إلا أن سليمان تعلل بأنه لن يبرح مكانه حتى تصل جيوش شرلمان، وبذلك تمكن عبد الرحمن الأموي من القضاء على ابن حبيب الفهري وجيشه ثم تفرَّغ لسليمان بن يقظان فأرسل له جيشًا

---

١ - ابن الأثير: الكامل ٥:٦٠. * ابن عذارى: البيان المغرب ٢:٥٥-٥٦. * ابن خلدون: العبر ٤:١٢٣. * ليلى أحمد نجار: العلاقات بين المغرب والأندلس ص٢٨-٢٩.

بقيادة ثعلبة ولكن سليمان هزمه وأسر ثعلبة، وعبرت جيوش شرلمان جبال البرانس وزحفت حتى سرقسطة إلا أن أهالي سرقسطة رفضوا تسليمها لشرلمان عندما أحسوا الغدر من واليهم سليمان فخلعوه وولوا عليهم الحسين بن يحيى الأنصاري فحاصرها شرلمان بعد أن أغلق أهلها أبواب المدينة، واضطر شرلمان لفك حصاره وعودته إلى الشمال لإخماد ثورة السكسون ضده(١).

ويردُّ الدكتور محمد زيتون على من يقول بوجود ترابط وتحالف بين ثورة سليمان بن يقظان وثورة عبد الرحمن الصقلبي وترابط بين العباسيين وشرلمان في هذا التحالف من أجل القضاء على عبد الرحمن الداخل في الأندلس بأنهم بهذا الرأي يطعنون في الخلافة العباسية ويتهمونها بالتحالف مع الفرنجة، ويوضح أن الذي ذكره هو دوزي في تاريخ مسلمي إسبانيا ود. عبد العزيز سالم، ود. أحمد شعراوي. أما المصادر العربية فلم تشر إلى ذلك التحالف من قريب أوبعيد وأنه لا يمكن أن يحمل العداء بين العباسيين والأمويين في الأندلس على التحالف مع الإفرنج حتى يقضوا على الأمويين في الأندلس، لأن قضاء الإفرنج عليهم لن يسفر عن ضم الأندلس إلى الدولة العباسية(٢).

ويذكرالاستاذ محمد عبد الله عنان أن المصادر العربية لاتشير

---

١ ـ أحمد إبراهيم الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس الأول ص١٠٤-١٠٥. * أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس ص١٠٧. * عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٨٢. * دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا ص٢٢٨-٢٣٣.

٢ ـ محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس ص٢٦٥.

إلى مثل هذا التحالف الرباعي، إلى جانب اعتبارها لحركة الصقلبي بأنها ثورة مستقلة لاعلاقة لها بغزوة الفرنج[١].

وأنا أميل إلى هذا الرأي بعد بحثي في كتب المصادر التي لم أجد فيها مايشير إلى هذا التحالف بين الفرنجة والعباسيين وعبد الرحمن الصقلبي، ومع ذلك أستطيع القول بفشل جهود الخلافة العباسية في إعادة الأندلس إلى التبعية العباسية، فهدأت التوترات القائمة بين الفريقين وخصوصاً عقب انشغال عبد الرحمن الأموي بإرساء قواعد دولته والقضاء على الثورات، فساد العلاقات طابع الفتور والجذر، في حين ظلت الدولة الأموية حريصة على علاقاتها مع الدول القائمة في المغرب حيث ساد طابع تلك العلاقات الود والصداقة والمصالح المشتركة ضد العباسيين وولاتهم في المغرب الأدنى. وظل الأمر كذلك طوال فترة الأمير هشام الأموي وابنه الحكم الربضي[٢].



١ ـ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول: القسم الأول ص١٨٦ هامش رقم ٢.

٢ ـ عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية ص٨٥-٨٦.

* الدولة المدرارية:

هي أول دولة من دول الخوارج استطاع فيها معتنقوا مذهب الخوارج الصفرية أن يؤسسوها في المغرب الأقصى بعيداً عن ولاة الخلافة العباسية في المغرب الأدنى ، حيث فروا بمذهبهم إلى منطقة نائية بعيدة ونشروه هناك واستطاعوا إقامة دولة مستقلة يطبقون فيها هذا المذهب الصفري وهي الدولة المدرارية. التي تأسست سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م حيث اجتمعت الصفرية من مكناسة في مدينة سجلماسة[١] المعروفة حالياً باسم تافيلالت[٢].

وكان اختيارهم لهذه المنطقة ذا أهمية كبيرة إذ أنها مركز الخوارج الصفرية لضمان نجاح الدولة من ناحية وكسباً لتأييد أنصارها[٣].

فقد انتشر المذهب الصفري في أقصى القسم الجنوبي والجنوبي الغربي من المغرب على أيدي أئمة العرب الخوارج الذين لجؤوا إلى هذه النواحي البعيدة عن النفوذ الأموي، ولذلك اعتنق سكان تلك المنطقة من مكناسة الإسلام على المذهب الصفري[٤].وكان كبير قبيلة مكناسة هو أبو القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول.وكان صاحب ماشية. فلما اجتمع من قبيلته على مذهب الصفرية زهاء أربعين نفراً

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ١١٢:٦. * الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي ص١٤٦.

٢ ـ خير الله طلفاح: حضارة العرب في الأندلس ١٧٧:٦.

٣ ـ ابن خلدون: المصدر السابق ١٣٠:٦.

٤ ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ٥٨٣:٢.

حملهم على مبايعة عيسى بن يزيد الأسود وهو من موالي العرب ورؤس الخوارج[١].

وتميز عيسى هذا بسعة المال وكثرة الماشية التي كان ينتجع بها المراعي في منطقة سجلماسة[٢]، وهو سوداني، الأصل واختياره للإمامة يدل على أهمية عنصر السودان ورجحانه على سائر العناصر الصفرية بإقليم تافيلالت[٣]، وفي اختيار رجل من السودان للإمامة يبين اتجاه الجماعة الصفرية إلى تطبيق مبدء المساواة في اختيار الإمام الذي ينفي التعصب لجنس من الأجناس وهو المبدأ الذي ينادون به، وذلك حتى يمكن التخلص من الإمام إذا ما حاد عن العدل[٤]. وبعد مبايعتهم لإمامهم بدؤوا في اختطاط مدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ ودخلت سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في مذهبهم[٥].

وسجلماسة مدينة على نهر يقال له زيز وليس بها عين ولابئر، وبينها وبين البحر عدة مراحل ، وأهلها أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم من صنهاجة[٦].

وتقع سجلماسة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان في منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود. ويتصل بها من

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ١٣١:٦. * الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي ص١٤٧.

٢ ـ خير الله طلفاح: حضارة العرب ١٧٧:٦.

٣ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١١٦-١١٧.

٤ ـ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٤١٠:٢.

٥ ـ ابن خلدون: المصدر السابق١٣٠:٦.

٦ ـ اليعقوبي: البلدان ٣٥٩:٢.

شماليها جَدَدٌ من الأرض يمر بها نهر كبير يُخاض، قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مد البصر[١]. وقد أدى موقعها ذلك إلى صعوبة الوصول إليها، إذ وفَّر لها حماية طبيعية تمتعت بها مما أسهم في إصرار الصفرية في جعلها مركزًا لدولتهم ليكونوا في مأمن من ولاة الخلافة العباسية.

ويذكر المقدسي أنها طولانية نحو القبلة صحيحة الهواء كثيرة الخيرات الزراعية[٢]. ويصفها ابن حوقل بأنها مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف فيزرع الأهالي المنطقة بوافر الخيرات والفواكه[٣].

وبعد اختطاط سجلماسة أصبحت هذه المدينة مركزًا للإمارة ومقرًا للمذهب الصفري[٤]. ودامت ولاية عيسى بن يزيد خمسة عشر عامًا[٥]. ثم أخذ عليه أتباعه الصفرية بعض المآخذ مما جعلهم ينكرونها عليه فشدُّوا وثاقه ووضعوه على قمة جبل إلى أن هلك سنة ١٥٥هـ[٦].

واجتمعوا بعده على كبيرهم أبي القاسم سمكو وولوه أمرهم. فقام بينهم حتى توفي سنة ١٦٧هـ وتولى بعده ابنه الياس الذي كان يدعى بالوزير. ثم انتقضوا عليه فخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع بن أبي

---

١ ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان ١٩٢:٣.

٢ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ص٢٣١.

٣ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٩١.

٤ ـ محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١١٧.

٥ ـ الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي ص١٦٤.

٦ ـ ابن خلدون: العبر ١٣٠:٦. * شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية ٤٨:٢.

القاسم الذي استمرت ولايته أربعًا وثلاثين سنة، جدد خلالها بناء المدينة واختط بها المصانع والقصور[١].

وتوارث عرش الإمامة الأبناء ثم الأحفاد من بني مدرار الذين قاتلوا في سبيل مذهب الصفرية وإقامته إلى أن جاء الفاطميون في أواخر القرن الثالث الهجري وقضوا على هذه الدولة[٢].

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ٦:١٣٠-١٣١. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٢:٤١١-٤١٢.

٢ ـ خير الله طلفاح: حضارة العرب في الأندلس ٦:١٧٧-١٧٨.

* علاقة ولاة العباسيين بالقيروان بالدولة المدرارية:

رغم العداء المذهبي الذي أضمره الخوارج الصفرية ضد ولاة الخلافة العباسية السنية في القيروان إلا أن الولاة المدراريين لم يلجؤوا إلى المجاهرة بهذا العداء.

فقد عكف أبو القاسم سمكو إمام الصفرية طيلة فترة إمامته من سنة ١٥٥-١٦٨هـ على إرساء قواعد دولته، عازفًا عن المشاركة في ثورات الصفرية في العصر العباسي الأول[١]. لأن دولة بني مدرار دولة داخلية صحراوية، فلم تسهم بدور كبير في أحداث عصرها، وانصرف همُّ أمرائها إلى الحفاظ على استقلالها السياسي ومذهبها الديني ومصالحها الاقتصادية "فمع أن علاقاتها بالخلافة العباسية وعمالها بالمغرب ذات طابع عدائي، إلا أن هذا العداء لم يصل إلى درجة قيام الحروب بين أئمة سجلماسة وأمراء القيروان، فقد شُغِل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزة خصومه، وحالت الظروف السياسية والعوامل الجغرافية دون تناحرهم، فانصرف همُّ الخلافة وعمالها إلى الاحتفاظ بإفريقية وأسقطوا أقاصي بلاد المغرب من حسابهم بعد أن انسلخت تمامًا عن نفوذهم. كما آثر الأمراء المدراريون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية بعدما تعرضت له حركات الخوارج على أيدي ولاة بني العباس منذ ولاية محمد بن الأشعث بمحاولة استخلاص إفريقية وحمايتها من أخطار الخوارج، كما زهد أمراء سجلماسة في مناجزة ولاة القيروان ولم يكلفوا أنفسهم مشقة إعداد الجيوش

---

١ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص.١٢٠.

بسجلماسة في أقصى الجنوب لخوض حروب غير مأمونة العواقب في أقصى الشمال، وانصرفوا لمواجهة المشاكل الداخلية في دولتهم، فضلاً عن الاهتمام بمصالحهم التجارية كوسطاء في حركة التجارة عبر الصحراء شرقًا وشمالاً وجنوبًا[١].

ويشير ابن خلدون إلى علاقة السلم هذه بأن أبا القاسم سمكو بن واسول قد خطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس[٢].

ويعلق الدكتور محمود إسماعيل على نص ابن خلدون بقوله: "وإذا صح ماذكره ابن خلدون من خطبة أبي القاسم سمكو للمنصور والمهدي في سجلماسة فإنه قد فعل ذلك خوفًا من عمال الخلافة في المغرب من أمثال يزيد بن حاتم وخلفائه ممن عرفوا بالقوة والبطش في ملاحقة حركات الخوارج، وإقدام أبي القاسم على هذا العمل يدخل في إطار مبدإ التقيَّة الذي تجيزه تعاليم المذهب الصفري، تحاشيًا لأخطار تحدث بدولته وهي لم تزل في المهد"[٣].

وبهذا استمرت علاقة التجاهل المتعمد هذه بين المدرارية في سجلماسة وبين أمراء الخلافة العباسية في القيروان.



---

١ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١٢٨-١٢٩.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٦:١٣٠.

٣ ـ محمود إسماعيل: المرجع السابق ص١٣٠.

* الدولة الرستمية:

وهي ثاني دولة خارجية أسست في بلاد المغرب في عام ١٦١هـ إلى٢٩٦هـ الموافق ٧٧١م إلى ٩٠٨م، ومؤسسها هو عبد الرحمن بن رستم ابن بهرام[١]. وينسب ابن رسته الإباضية من الخوارج إلى عبد الله بن إباض وهو من بني قرة بن عبيد بن تميم رهط الأحنف بن قيس[٢]. ويذكر أبوزكريا أن مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالإمامة كانت في سنة ١٦٠هـ. ويورد رواية أخرى أنها في سنة ١٦١هـ[٣].

وكانت نشأة عبد الرحمن بن رستم بالقيروان حيث تلقى العلم من فقهائها ومال إلى تعاليم الخوارج على يد سلامة بن سعيد الذي كان يدعو إلى مذهب الإباضية. ورحل إلى البصرة. حيث درس على أئمة المذهب الإباضي هناك، وكان شيخهم أبوعبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، فدرس عبد الرحمن على يد أبي عبيدة في البصرة مع بعض إخوانه المغاربة وأصبح واحداً من خمسة هم "حملة العلم"[٤].

وهم: عبد الرحمن بن رستم الفارسي، وعاصم السدراتي، وأبوداود القِبِلِّي النفزاوي، وإسماعيل بن ضرار الغدامسي، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني،، حيث عادوا إلى المغرب

---

١ ـ خير الله طلفاح: حضارة العرب في الأندلس ٦:١٧٩.

٢ ـ ابن رسته : الأعلاق النفيسة ٧:٢١٧. * أبوزكريا يحيى بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم ص٩.

٣ ـ أبوزكريا يحيى بن أبي بكر: المصدر السابق ص١٨-١٩. * سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٢:٢٩٦.

٤ ـ أبو زكريا: المصدر السابق ص ١٢-١٣. * سعد زغلول: المرجع السابق ٢:٢٩٠.

الإسلامي وكلهم حماس لإنشاء دولة على مذهبهم الإباضي[١].

وحانت الفرصة للإباضية للتدخل في شؤون المغرب الأدنى عندما استولى على القيروان الخوارج الصفرية من ورفجومة في سنة ١٤٠هـ وعاثوا في البلاد بالتخريب واستهانوا بمساجدها، وكان أبو الخطاب بن السمح إمام الإباضية في طرابلس وحوله عدد كبير من بربر هوارة وزناتة، فلما بلغه مناكر ورفجومة، ثار مُنْكِرًا لهذه الأفعال وقصد القيروان بجموعه، فقاتل ورفجومة ونفزاوة وتغلب على الصفرية هناك[٢] وقتَّل من ورفجومة عددًا كبيرًا، وكانت هذه بداية لظهور المذهب الإباضي رسميًا في القيروان وهو مذهب يميل إلى الاعتدال في مبادئه، وبسط أبو الخطاب سلطانه من طرابلس مقر إقامته إلى إفريقية التي ولَّى عليها عبد الرحمن بن رستم وأقره بالقيروان[٣] ورجع أبوالخطاب إلى طرابلس ودامت ولاية عبد الرحمن بن رستم على القيروان سنتين اثنتين حريصًا على إشاعة العدل والطمأنينة فهدأت أحوال البلاد[٤].

والجدير بالذكر هنا أن قبيلة نفُّوسة إحدى قبائل البربر التي اعتنقت المذهب الإباضي كان لها دور كبير في مساعدة هذا المذهب على الانتشار والوقوف أمام سلطة الخلافة ووجودها[٥].

---

١ ـ أبوزكريا: سير الأئمة وأخبارهم ص١٤. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٤٥١.

٢ ـ ابن خلدون العبر ١١٢:٦. * مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر ٥٣:٢.

٣ ـ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية ٣٨:٢.

٤ ـ عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية ص١١٤.

٥ ـ محمد حسن: حول إحدى القبائل البربرية، نفوسة ص١١٠هـ من مجلة أوراق، العدد الخامس والسادس: ١٩٨٢-١٩٨٣.

لم تستكن الخلافة العباسية للوجود الإباضي في القيروان حيث وجّه الخليفة العباسي المنصور جيشاً من خمسين ألف مقاتل بقيادة ابن الأشعث أمير مصر. ففاجأ أباالخطاب المعافري في سرت فقتله وهزم أصحابه الذين كانوا نحواً من اثني عشر ألفًا وذلك سنة ١٤٤هـ[١].

وقد خرج عبد الرحمن بن رستم بجيشه لنجدة إمامه حين دهمته جيوش محمد ابن الأشعث لكنه توقف عند قابس عندما وصلته أنباء مقتل أبي الخطاب وهزيمة جيوشه، وأدرك عبد الرحمن بن رستم قوة جيش الخلافة وعدم تمكُّنه من تحقيق مايصبو إليه من إقامة دولة إباضية في القيروان فتراجع إلى المغرب الأوسط وابتعد عن المغرب الأدنى حيث قوة سلطة الخلافة ولاذ بالقبائل الإباضية في المغرب الأوسط[٢] حيث تمكَّن بعد ذلك من إقامة الدولة الرستمية فكان انتصار ابن الأشعث على أبي الخطاب سبباً غير مباشر في تكوين الدولة الإباضية تمكن فيها مذهب الخوارج من التطبيق في حرية تامة[٣].

فقد نزل عبد الرحمن بن رستم بوادي سوفجج بين مدينتي سلالة شرقًا والسوفر غربًا وجنوبي مدينة تاهرت القديمة وتحصن بهذا الموقع[٤]. واجتمعت إليه طوائف البربر الإباضية من قبائل هوارة ولواتة ومكناسة وزناتة ونفوسة ولماية وأظهروا تأييدهم له والتفافهم

١ ـ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص١٤١.

٢ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١٤٦.

٣ ـ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية ٢: ٣٩.

٤ ـ رشيد عبد الله الجميلي: الرستميون في تاهرت * من مجلة المؤرخ العربي: السنة الثالثة عشر، العدد ٣٤، ص١٨٧.

حولـه[١]. أما بالنسبة لموقف الوالي العباسي ابن الأشعث فإن هزيمة الإباضية ومصرع زعيمهم أبي الخطاب لم تضع نهاية للصراع بين عمال الخلافة العباسية والخوارج. فبعد أن تمكن ابن الأشعث من تمزيق حشود أبي الخطاب حفزه ذلك على استئصال الإباضية من المغرب الأوسط بعد أن علم بأن عبد الرحمن بن رستم خليفة أبي الخطاب قد اتخذ من جبل سوفجج حصناً له ولأتباعه. فجهز جيشاً لقتال ابن رستم قبل أن يستفحل أمره، ولما وصل إلى معقله أمر جنده بالنزول على سفح الجبل، وحفر خندقًا حول معسكره تحسبًا لأي هجوم قد يقوم به الإباضية.

واستمر محاصراً الجبل من كل ناحية مدة فشل خلالها من الوصول إلى معقل ابن رستم مما اضطره إلى رفع الحصار والعودة إلى القيروان.

على أن حملة ابن الأشعث هذه قد أكدت لابن رستم وأتباعه بأنهم ليسوا بمنأى عن متناول العباسيين لذلك كان لابدّ لهم من التفكير في اختيار موضع منيع تحيط به الجبال لينشىء عليه مدينة تكون عاصمة دولته الفتية[٢].

ووقع اختيار عبد الرحمن بن رستم على مدينة تاهرت لأنها مدينة

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ١١٢:٦. * محمد حسن: حول إحدى القبائل البربرية، نفوسة ص.١١. مجلة أوراق. مجلة ثقافية يصدرها المعهد الإسباني العدد الخامس والسادس ١٩٨٢-١٩٨٣.

٢ ـ رشيد عبد الله الجميلي: الرستميون في تاهرت ص١٨٧-١٨٨. مجلة المؤرخ العربي، السنة ١٣، العدد ٣٤.

كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه، وبها الإباضية وهم الغالبون عليها[١].

وقيل عنها في كتب الجغرافيين بعد ذلك: "إن تاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة أزلية والأخرى محدثة، والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي وبها كثير من الناس، وفيها جامع. وفي المحدثة أيضًا جامع ولكل إمام وخطيب، والتجار والتجارة بالمحدثة أكثر، ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمامات وخانات وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات"[٢].

لكل هذه الأسباب من توافر المياه والثروات في تلك المنطقة بالإضافة إلى حصانة المنطقة الطبيعية أنشئت المدينة على سفح جبل كزول السياح على تلول منداس. واختطوها على وادي ميناس النابعة منه عيون بالقبلة وتمر بها وبالبطحاء إلى أن تصب في وادي شلف[٣]. وبذلك توفرت المياه من هذه العيون كما يشكل البحر المتوسط الحدود الخلفية للمدينة. مما هيأ لها حصانة طبيعية جعلت عملية اقتحامها تكاد تكون مستحيلة[٤].

---

١ ـ الاصطخري: مسالك الممالك ص٣٩.

٢ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٨٦.

٣ ـ ابن خلدون: العبر ١٢١:٦. * ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢:٧-٨. لكنه يذكر أنها على سفح جبل اسمه جزول وليس كزول وعلى نهر يسمى مينه.

٤ ـ رشيد الجميلي: الرستميون في تاهرت. مجلة المؤرخ العربي ص١٨٨، السنة ١٣، العدد ٣٤.

وكان بناء عبد الرحمن لمدينة تاهرت سنة ١٤٤هـ[١]. إلاأن الإباضية لم يبايعوا ابن رستم بالإمامة إلا في سنة ١٦٠هـ بعد أن رست قواعد الدولة ورسخت دعائمها وتوطدت أركانها وأصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها وكان ذلك بعد اشتراك ابن رستم مع الصفرية في المعركة التي خاضوها ضد الوالي العباسي عمر بن حفص في سنة ١٥١هـ واشترك عبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفًا من الإباضية، إلا أن عمر بن حفص استطاع أن يفض تجمع الخوارج من صفرية وإباضية بأن أعمل الحيلة والإغراء بالأموال مع الصفرية فرحلوا عن حلفائهم ثم سيَّر عمر جيشاً إلى ابن رستم وهو في تهودا فقاتله أهلها فانهزم ابن رستم وتراجع إلى تاهرت بعد أن ضعفت قوته في مقاومة عمر[٢].

ومن ثم شرع ابن رستم في تنظيم أمور بلاده فأجمع أهل الحل والربط على مبايعته بالإمامة في سنة ١٦٠هـ[٣].

وشرع عبد الرحمن بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وإرساء دعائم دولته ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيامها ومايتعلق بذلك من سياسة داخلية وخارجية. فكرَّس مجهوداته للاهتمام بالنواحي الداخلية، وكان له دور بالنسبة للناحية الخارجية فاتخذ فيها سياسة جديدة اعتمدت على المهادنة والموادعة ليتفرَّغ لشؤون بلاده الداخلية[٤].

---

١ ـ مؤلف مجهول: مفاخر البربر ص٤٦.

٢ ـ ابن الأثير: الكامل ٣٢:٥. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٤٥٩-٤٦٠.

٣ ـ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق ٤٦١.

٤ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١٥١.

* علاقة ولاة العباسيين بالدولة الرستمية:

تأثرت علاقة ولاة العباسيين مع الدولة الرستمية باختلاف المذهب الديني بينهما، حيث ترتب عليه عداء سياسي، لهذا اتسمت العلاقة بالعداء منذ البداية لأن الدولة الرستمية قامت على أنقاض نفوذ الخلافة العباسية في المغرب الأوسط، وعجز عمّال الخلافة في القيروان عن الحيلولة دون قيامها، وكان اختلاف المذهب عاملاً أساسياً في هذا العداء بين الدولة الخارجية القائمة وبين عمّال الخلافة السنيّة في المغرب، فلاعجب أن نرى الدولتين الرستمية والمدرارية قد اجتمعتا على عداء القيروان[١]. إلا أن هذا العداء للقيروان اتخذ صورة حربية قبل قيام الدولة الرستمية ومبايعة عبد الرحمن بن رستم بالإمامة سنة ١٦١هـ فبعد هذا التاريخ نجد أن عبد الرحمن بن رستم أصبح يرغب في مهادنة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب سنة ١٧١هـ[٢].

وقد وجد روح في تلك المهادنة فرصة لاهتمامه بشؤون بلاده الداخلية فوافق على طلب عبد الرحمن.

ويذكر لنا ابن خلدون أن روح هو الذي رغب في مهادنة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وأن عبد الوهاب استجاب له[٣] وقد يكون في ذلك تجديد للمهادنة التي أقامها مع أبيه عبد الرحمن من قبل.

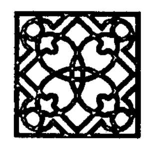
---

١ ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١٨٣.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ١١٣:٦. * الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي ص١٢٩.

٣ ـ ابن خلدون: العبر ١٩٤:٤. * محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١٨٥. * مبارك الميلي:تاريخ الجزائر ٦٢:٢.

وبذلك استمرت هذه العلاقة السلمية بين الدولة الرستمية وولاة الخلافة العباسية إلى أن قامت دولة الأغالبة التابعة للخلافة العباسية فكان لها دور حربي في علاقاتها بالرستميين لأنها ورثت أسباب العداء مع بني رستم ومافيه من اختلاف مذهبي، ومن الجدير بالتنويه أن المهادنة بين أمراء القيروان وأئمة تاهرت لاتعني انتفاء العداء بينهما، فالعداء بين تاهرت وبغداد ظل قائمًا(١) وظل أبناء عبد الرحمن وأحفاده يتعاقبون على الحكم في هذه الإمارة حتى عام ٢٩٦هـ حيث سقطت هذه الدولة على أيدي الفاطميين(٢).



١ ـ محمد إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ص١٨٦.

٢ ـ مبارك الميلي: تاريخ الجزائر ٢:٧٥. * خيرالله طلفاح: حضارة العرب ٦:١٧٩.

* الدولة الإدريسية:

بعد أن قامت الدولتان الخارجيتان في تاهرت وسجلماسة، شاهد المغرب الأقصى قيام إمارة علوية جديدة هي دولة الأدارسة في فاس[١] وقامت هذه الدولة على المذهب السني وكان قيامها بعد هروب مؤسسها من المشرق ولجوئه إلى بلاد المغرب. وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب[٢].

وسبب سيره إلى المغرب فشل الثورة التي قام بها الحسنيون على يد محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الذي خرج على أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين مطالبًا بحقه في الخلافة. والتي كان العلويون يرون أحقيتهم بها من آل العباس، ودعا محمد في الحجاز إلى نفسه فأجابه كثير من الناس، وكان بينه وبين أبي جعفر مكاتبات طويلة وذلك في سنة ١٤٥هـ فجهز إليه المنصور الجيوش لقتاله واستطاع هزيمته[٣].

وفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وأقام فيها أحد عشر يومًا يتجهز وأصحابه ثم خرجوا لستٍ بقين من ذي القعدة، ولما أتى الحسين مكّة أمر فنودي أيما عبد أتانا فهو حر فأتاه العبيد فانتهى الخبر إلى الهادي فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان يوليه الحرب ضد الحسين فجمع محمد من

---

١ - سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ٢:٤٢١.

٢ - ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٢. * سعد زغلول: المرجع السابق ٢:٤٢٢.

٣ - ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٨٨.

شيعة بني العباس ومواليهم وقوادهم واقتتلوا مع الحسين يوم التروية فانهزم الحسين هو وجماعة من أصحابه وفرّ الباقون.

وكان من بين الناجين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الذي تمكّن من الفرار إلى بلاد مصر(١)

وكان على بريد مصر يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان متشيعًا لعلي، فلما علم بشأن إدريس أتاه إلى المكان الذي كان مستخفيًا فيه وحمله على البريد إلى المغرب ومعه راشد مولاه فنزل بوليلى(٢).

وكان وصول إدريس إلى المغرب في شهر ربيع الأول من سنة ١٧٢هـ ونزل على رجل يسمى عبد الحميد الأوربي وشيوخ وليلى من أحواز جبل زرهون. فأقام عنده أشهرًا وشجع عبد المجيد قومه وإخوانه على الاجتماع حول إدريس لما رآه من فضله وهديه وسمته فعرّفهم بانتمائه إلى بيت النبوة وأعلمهم بفضله وشرفه. فبايعوه على القيام بأمرهم وولوه صلاتهم وأحكامهم وغزوهم فاستجابت له القبائل الريفية وغيرها واجتمع لديه جيش كبيرمنهم(٣).

وكان في تلك المناطق بعض النصارى والمجوس فقاتلهم إدريس إلى أن أسلموا وملك المغرب(٤) .

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٧٤ـ٧٥ـ٧٦.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٤:٧.

٣ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص.١٩٠-١٩١.

٤ ـ ابن خلدون: العبر ٤:٧.

وتحرك في أوائل رجب من سنة ١٧٣هـ حيث نازل تلمسان التي لم تلبث أن استسلمت له فدخلها وشيد مسجدها(١).

وبذلك استقرت أوضاع البلاد لإدريس في المغرب الأقصى وعمل على توحيد القبائل المتنافرة الموجودة في تلك المنطقة.

"وظفر بتأييد السكان ووحد إقليم الساحل وإقليم المراعي، فاطمأن أهل السهول والبدو وازدهرت الحياة الاقتصادية، ونجح في إقامة حكومة مركزية قوية اشترك فيها العرب والبربر جنباً لجنب، واستطاع بفضل هذه الوحدة الشاملة إحياء حركة الجهاد والعمل على نشر الإسلام في البلاد(٢) ومن أسباب هذا النجاح الباهر الذي حققه إدريس في دعوته في بلاد المغرب انتماؤه إلى بيت النبوة فكان ذلك من أسباب التفاف الناس حوله حيث كان انتماؤه لأسرة من آل البيت سبباً في كسب القلوب(٣).

وكان من أسباب نجاح إدريس في دولته أيضاً الصفات الحسنة التي تميز بها فقد كان صالحاً مالكاً لشهوته، فاضلاً في ذاته، مؤثراً للعدل، مقبلاً على أعمال البر، مما جعل قبائل البربر تطيعه وتوقره(٤).

ويشير د. حسين مؤنس إلى هذا الرأي بقوله:

"من الأخطاء الشائعة القول بأن دولة الأدارسة دولة شيعية، لأن

---

١ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٩٢.

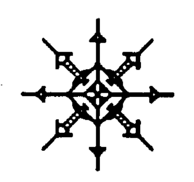
٢ ـ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة في إفريقية ١٥٢:١.

٣ ـ علي حبيبة: مع المسلمين في الأندلس ص٦٦-٦٧.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٨٤:١.

مؤسسيها وأمراءها كانوا من آل البيت، والحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم لم يكونوا شيعيين، بل لم يكن أحد من رجال دولة الأدارسة أو أتباعهم شيعيًا.

فقد كانوا سنيين، لايعرفون الآراء الشيعية التي شاعت على أيام الفاطميين، ولم يعرفوا في بلادهم غير الفقه السني المالكي.[1].



١ ـ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص١٠٩.

* علاقة الخلافة العباسية وولاتها بالقيروان بدولة الإدراسة:

كان قيام دولة الأدارسة في سنة ١٧٢هـ أي قرب نهاية فترة عهد ولاة بني العباس التي هي فترة بحثي، فكانت المدة الزمنية التي يمكن أن أخوض في البحث فيها مدة قصيرة من فترة حكم هذه الدولة والتي كانت في فترة تأسيس الدولة وقيامها واستقرارها الداخلي.

وقد استطاع إدريس بن عبد الله أن يجمع البربر من قبائل زناتة في المغرب الأقصى فبايعوه بالإمامة "وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع[1] ثم كوّن جيشاً كبيراً حارب المجوس من البربر في تلك النواحي وغزا بلاد تامسنا وتادلا، وكان أكثرهم على دين النصرانية. ففتحها[2]. وملك المغرب الأقصى وتلمسان.

وعلى هذا النحو تمكن إدريس من إقامة إمارة قوية بالمغرب الأقصى. وكان لنشاط إدريس وخلعه لطاعة الخلافة العباسية حدثاً خطيراً أثار مخاوف العباسيين من ناحيته.

فيذكر ابن الخطيب أنه " اتصل بالرشيد هارون ماتأتى لإدريس بالمغرب من دخول أهله في طاعته وافتتاح المدينة بسيفه، فأهمه أمره واستشار يحيى بن خالد في أمره، فأشار عليه ببعث رجل ذي حزم ومكر وجرأة ليغتاله بما أمكن من حيلة. ووقع اختيارهم على سليمان بن جدير من أهل الشجاعة والدهاء والفصاحة، ووعده الرشيد عند تمام

---

١ ـ ابن خلدون: العبر ٤:٧.

٢ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٩٢. * السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٣٨٣-٣٨٤.

الأمر بالمنزلة الرفيعة. وأعانه بالأموال الجليلة والتحف الظريفة. وخرج من بغدادإلى المغرب حتى ورد على إدريس فسلم عليه وسأله فعرفه أنه من بعض موالي أبيه وأنه قصده حبًا إليه، وميلاً لأهل بيته. فسر به إدريس وأنس بقربه وسكن إلى قوله وركن إليه ولطف منه محله فكان لايأنس لغيره، إذ لم يجد عند أحد من أهل المغرب لجفائهم وغلظ طباعهم مايجد عنده.

وكان إذا قعد وجوه القبائل قام بينهم فذكر فضائل أهلا البيت وعظيم بركتهم ويقيم الدلائل على وجوب إمامة إدريس دون من سواه.

فكان إدريس يتعجب من فصاحته وعلمه والناس كذلك وسليمان يترقب الفرصة، ويعمل الحيلة فلا يجد لذلك سبيلاً بملازمة راشد إدريس وعدم مفارقته إياه، إلى أن غاب يومًا راشد فوجد سليمان الفرصة فوصف الطيب وأنواعه وكان إدريس محبًا للطيب فقال: "ياسيدي جعلت فداءك، إني جلبت من العراق شيئًا من الطيب لنفسي، فلما رأيت الطيب بهذه البلاد معدومًا آثرتك به على نفسي" ثم أخرج قارورة من وعاء ووضعها بين يديه، فقال جزيت خيرًا ياسليمان، ثم أخذها إدريس وفتحها وشمّها واستعمل منها، فلما رأي سليمان أن مراده قد تحصل خرج من بين يديه يوهم قضاء حاجة الإنسان، فسارع إلى منزله وركب فرسًا من عتاق الخيل قد أعده لذلك هو وأمثاله وخرج يطلب النجاة.

وكانت القارورة مسمومة بسمٍ قوي، فلما صعد السم بالاستنشاق إلى دماغ إدريس وقلبه غشي عليه وسقط إلى الأرض لايتكلم ولايعلم ماحدث به. وأقبل راشد فألفاه يجود بنفسه إلى عشي النهار، ومات في آخر شهر ربيع الأول سنة ١٧٥هـ/٧٩١م وقيل جعل له

السم في دلاعة وهو البطيخ السندي.

ولما توفي إدريس وطلب راشد سليمان بن جدير فلم يجده ركب في جمع كثير لم يلحق بسليمان منهم إلا راشد، فشد عليه السيف وأصابه بجراح عطَّل ببعضها يده وكبا براشد فرسه فمنعه من الإجهاز عليه، ففر سليمان إلى أن لحق بالعراق.(١).

ويذكر ابن خلدون أن الرجل الذي أرسله الخليفة في هذه المهمة للغدر بإدريس وقتله هو مولى من موالي المهدي اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ وليس سليمان بن جدير كما يذكر ابن الخطيب وأن الرشيد أرسله بكتاب إلى ابن الأغلب صاحب القيروان فكان لهذا الوالي دور في اشتراكه مع الخلافة في القضاء على إدريس حيث أجاز سليمان حتى لحق بإدريس ودسَّ له السم في سَنُون* وناوله إياه عند شكايته من وجع أسنانه فكان فيه حتفه، سنة ١٧٥هـ(٢).

ويتضح من نص ابن خلدون أن قتل إدريس كان في زمن ولاية إبراهيم بن الأغلب على القيروان حيث ذكر أن الرشيد أرسل سليمان إلى الأغلب صاحب القيروان ليساعده، بينما الأصح أن مقتل إدريس سنة ١٧٥هـ كانت في فترة ولاية نصر بن حبيب المهلبي كما ذكره د. سعد زغلول(٣) وهذا ما أرجحه.

---

١ ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥. * السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسي الأول ٣:١٩٧-١٩٩

* ـ السنون: كل مسحوق يستعمل دواءً للأسنان، وكانوا يستنون به، أويستاكون به.

٢ ـ ابن خلدون: العبر ٤:٧.

٣ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٢:٤٣٦-٤٣٧ هامش رقم ٥٧.

وكان لراشد مولى إدريس وأخلص رجاله دور في استمرار هذه الدولة بعد مقتل إدريس. فيروي ابن الأبار أن إدريس بعد وفاته ترك حملاً من إحدى جواريه، فقام راشد بأمر البربرحتى ولدت غلامًا، فسمّاه باسم أبيه "إدريس" وكفله[١] فأدبه أحسن الأدب وأقرأه القرآن حتى حفظه إدريس وهو ابن ثمانية أعوام. كما علّمه السنة والفقه وجميع العلوم الأخرى من نحو وشعر وغيره[٢].

" ولما أكمل الإمام إدريس بن إدريس من العمر أحد عشر سنة وخمسة أشهر عزم مولاه راشد على أخذ البيعة له على قبائل المغرب من البربر وغيرهم، فاتصل الخبر بإبراهيم بن الأغلب عامل إفريقية فحاول قتل راشد فاندس إليه من أبلغ أموالاً كثيرة إلى خُدَّام راشد من البربر فاستهواهم بها فقتلوا راشدًا، وذلك في سنة١٨٨هـ/٨٠٣م[٣]. وبعد اغتيال راشد تمت البيعة لإدريس الثاني الذي استطاع أن يوطِّد أركان دولته ويؤسس مدينة فاس عاصمة ملكه حتى اعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة[٤]. وانضم إليه كثير من العرب من إفريقية والأندلس، وعجز بنو الأغلب أمراء إفريقية عنه فاستقرت له ولبنيه بالمغرب الأقصى[٥] دولة مالكين لها وانقطعت عنهم البعوث[٦] وكانت نهاية هذه الدولة على يد أبي العافية وقومه مكناسة أولياء العبيديين عام ٣١٣هـ/٩٢٥م[٧].

١ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء ١:١٠٠.

٢ ـ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ٢:٤٣٩.

٣ ـ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص٢٧.

٤ ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢:٢٢٥.

٥ ـ ابن خلدون: العبر ٤:٧.

٦ ـ الطبرى: تاريخ الأمم ٨:٢٠٠ أحداث سنة ١٦٩هـ.

٧ ـ ابن خلدون: المصدر السابق٤:٧-٨.

الفصل الخامس

الوضع الاقتصادي والاجتماعي

١ - الاقتصادي ويشمل:

* - الزراعة.
* - الصناعة.
* التجارة.

٢ - الاجتماعي ويشمل:

* - السكان.
* - وضع المرأة.
* - الملابس.
* - الأفراح.
* - العادات.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي

بعد حديثي في الفصول السابقة عن الأحداث السياسية التي مرت بالمغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس، أعرض الآن النواحي الحضارية لهذا البلد في تلك الفترة.

ونظرًا لاتساع النواحي الحضارية فقد اخترت منها جانبين هامين اقتصر حديثي عليهما، وهما: أولاً: الجانب الاقتصادي. وثانيًا: الجانب الاجتماعي. وسأبدأ أولاً بالحديث عن الحياة الاقتصادية.

ا ـ الحياة الاقتصادية

شهد المغرب الأدنى نشاطًا كبيرًا في الحياة الاقتصادية خلال فترة حكم الولاة في مجالاته الزراعية والصناعية والتجارية نتج عنه استقرار الأوضاع المعيشية لسكانه على الرغم من القلاقل والثورات التي مرت به والتي لم تحل دون المسيرة الحضارية، فعلى الرغم من مشاغل حكامه السياسية فقد بذلوا جهودًا كبيرة للعناية بتلك النواحي. وبتتبعي للمادة العلمية لماسبق وجدتها متوفرة في كتب الرحلات والتراجم والمصادر التي تصدت لذكر تاريخ تلك الفترة، وسأبدأ أولاً بالبحث عن الزراعة التي تعتبر أساسًا للحياة الاقتصادية.

ا ـ الزراعة

اهتم ولاة المغرب الأدنى بالزراعة اهتماماً كبيراً، نتج عنه وفرة الانتاج وتنوعه وتعدد أماكنه، فمن المشاريع التي تمت في سبيل ذلك سعي الحكام لتوفير المياه اللازمة لري المزروعات بالإضافة إلى حفر الآبار[١] والاستفادة من مياة الأمطار[٢] ، والأنهار، والعيون. كما أنشئت الخزانات لحفظ المياه في القيروان والمنستير وطبنة[٣] ، إلى جانب توفير الأسمدة اللازمة لتسميد الأتربة[٤] .

وفي عهد بني المهلب أمراء إفريقية ألاحظ أن من ضمن المشاريع التي اعتمدت على العناية بالزراعة توزيع موات الأرض على من يستحقها ويقوم باستصلاحها وزراعتها، وتخفيف الخراج عن البادية وعدم إثقال كواهل الناس بالضرائب[٥] فنتج عن ذلك اتساع الرقعة الزراعية ووفرة الانتاج من الفواكه ووصول بعض مدنها إلى الاكتفاء الذاتي، بينما البعض الآخر قام بتصدير مافاض عن حاجته إلى مدن المغرب الأدنى.

ولقد نتج عن عناية الدولة بالزراعة اتساع الرقعة الخضراء وكثرة

---

١ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٧.

٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٩٧-١٠٢.

٣ ـ البكري: المغرب ص١٧،٢٦،٣٦،٥٠.

٤ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:١٠٢.

٥ ـ محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ص١٥٥.

البساتين والحدائق. وبتتبعي أماكن وجودها في مدن المغرب الأدنى من خلال ماذكرته المصادر وجدت ذكر مساحات لها في صفاقس[١]، وطرابلس حيث توجد في شرقها، وقابس التي تمتد بساتينها لمسافة أربعة أميال.

كما توجد البساتين أيضًا في شرق تونس. وفي جبل زغوان، وفي نفزاوة، وتوزر، وقسطيليةوغربي بونة، وحول مدينة باجة، وفي بنزرت[٢].

* **الحاصلات الزراعية:**

كان لاهتمام ولاة المغرب بالزراعة وتوفيرهم للمتطلبات الخاصة بها والمشاريع المقامة للاستفادة من المياه مثل الخزانات والقنوات والجسور وغير ذلك أثر كبير في وفرة الانتاج الزراعي وتنوُّعه وتعدُّد أماكنه إلى جانب وجود الحاصلات التي لم تعرف من قبل، ومن الحاصلات الجديدة في عصر ولاة بني العباس زراعة الأرز الذي أدخل إلى المغرب الأدنى مع الجيش الخراساني في القرن الثاني الهجري وتمت زراعته قرب البحيرات العذبة. وقد دفع إلى زراعته اعتماد الجيش الخراساني في معيشته على الأرز، وهو محصول لم يكن موجودًا في تلك البلاد. ولاسبيل لاستيراده فلذلك قام العرب بزراعته ثم نقل منها إلى صقلية وسردانية بالإضافة إلى زراعة البرتقال والليم والليمون[٣].

ومن الحاصلات الزراعية المتوفرة بكثرة في بلاد الجريد التمر

---

١ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٩٩.

٢ ـ البكري: المغرب ص٨،١٧، ٤٠، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٥٦، ٥٨.

٣ ـ عثمان الكعاك: الحضارة العربية ص١٠١. والملاحظ أننا لم نعثر على نص يوثق هذه المعلومات.

نتيجة لكثرة النخيل فيها. والزيتون[٤]، وفي قفصة التفاح السدس والرمان والأترج والموز والفستق، والفواكه في نفطة، والعنب بحامة بني بهلول، والقمح في باجة وتعد من أكثر مناطق إفريقية إنتاجًا للقمح، وهناك الفواكه في قسنطينة، والتمر والزيتون في بلاد الزاب، والشعير والتمر والفواكه في بادس[٢]، والقطن في تونس والقنّب والحبوب، وفي قابس الفواكه والزيتون[٣] والتمر والأعناب والتفاح[٤]. والفول في القيروان[٥]، والفواكه في بونة[٦]، ووجد الملح في طرابلس والتمر والزيتون والفواكه في جبل نفوسة والثمار في مقرة، وفي بسكرة التمر والزيتون وأصناف الثمار، والزعفران في أبّة وغيرها[٧].

*** الثروة الحيوانية:**

وفي عهد ولاة المغرب الأدنى ألاحظ زيادة الاهتمام بالثروة الحيوانية للاستفادة من لحومها وألبانها وأصوافها خاصة في مدينة

---

١ ـ اليعقوبي: البلدان ص٣٤٩.

٢ ـ بادس الموجودة في الزاب. انظر مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٥٣، ١٥٧، ١٦٦، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥.

٣ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٢-٧٥.

٤ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٤.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١: ٨١.

٦ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ١٠١.

٧ ـ البكري: المغرب ص٨، ٩، ٥١، ٥٢، ٥٣.

تونس[١]، وطرابلس[٢]، وهناك البقر والغنم في طبنة وبونة[٣] وصفاقس، والقيروان، وجلولا، سوسة، وتيجس، وتامسلت، وباجة، وطيور الكيكل غربي بونة[٤]، ومن حيوانات المغرب أيضًا الحمير[٥]، والسنانير والخيول المعتمد عليها في الحروب، والبغال[٦]، والجمال[٧].

ومما يدل على وفرة الثروة الحيوانية في بلاد المغرب الأدنى كثرة المذبوح منها، وخاصة في أيام الأعياد وموسم عاشوراء في القيروان والمنستير وغيرها من المدن[٨].

وقد حرص كثير من سكان المغرب الاعتماد في طعامهم على المنتوجات الحيوانية من اللحوم والألبان إلى جانب الاعتماد على أصوافها ومنهم من كان يملك قطيعًا خاصًا به لأجل تلك الغاية، ومثال ذلك اسحاق ابن يزيد بن حاتم الذي كان يملك قطيعًا كبيرًا من الغنم فرآها أبوه يومًا فأمره بذبحها وتوزيعها على الناس[٩].

وقد تبع وفرة الثروة الحيوانية وفرة اللحوم والألبان ومثال ذلك

---

١ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٥.

٢ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٤.

٣ ـ البكري: المغرب ص٢٠،٢٦،٣٢،٣٤،٥٣،٥٤،٥٦،٥٨.

٤ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٥٠.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٦-٧٧،٨٢.

٦ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٩٥.

٧ ـ أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية ص١٢٩.

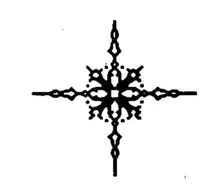
٨ ـ البكري: المغرب ص٢٦،٣٦.

٩ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١-٨٢.

توفر الألبان في طرابلس[١]، واللحوم والألبان في بونة[٢] والقيروان وسوسة وتامسلت[٣].

*** الثروة السمكية:**

وتميزت بلاد المغرب بوفرة الثروة السمكية وأماكن وجودها وأنواعها، فعلى سبيل المثال في تونس توجد أصناف متعددة من الأسماك منها العبانق، الأكتوبري، والأشبارس، والمنكوس والبقونس، كما توجد الأسماك في بونة، ومن أنواعه فيها درنة والبوري، وفي بنزرت أيضًا سمك البوري[٤].



---

١ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٤.

٢ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٧.

٣ ـ البكري: المغرب ص٢٦،٣٤،٥٤.

٤ ـ البكري: المغرب ص٤١،٥٥،٥٧،٥٨.

٢ ـ الصناعة

أسهمت الصناعة في ازدهار الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب الأدنى على الرغم من كافة الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد والتي لم تكن عائقًا في المسيرة الحضارية، وقد اعتمدت الصناعات على وفرة المواد الخام ووجود الصناع المهرة، وقد حرص يزيد بن حاتم على جعل كل نوع من الصناعات تحتل مكانًا مميزًا وخاصًا بأهلها في القيروان رعاية للصنّاع وتشجيعًا لوفرة الانتاج ولسد احتياجات البلاد من تلك الصناعات.

* الصناعة المعدنية:

من المعادن التي توفرت في بلاد المغرب الأدنى والأماكن التي وجدت فيها، معادن الفضة والحديد والرصاص في مجانة[١]، والمرجان والحديد في بونة[٢]، والمرجان في مرسى الخزر[٣]، والنحاس والحديد في بلاد كتامة والذهب المستورد من بلاد السودان[٤].

ونتج عن وفرة المعادن مختلف الصناعات التي ازدهرت في بلاد المغرب، منها المصنوعات القائمة على معدن الفضة، والأسلحة القائمة على توفر معدن الحديد، والأواني النحاسية القائمة على معدن النحاس، والحلي بمختلف أشكالها وأحجامها والقائمة على توفر معدن الذهب والمرجان وغيرها من المعادن.

١ ـ اليعقوبي: البلدان ص٣٤٩.

٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:١٠١.

٣ ـ القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد ص٢٦١.

٤ ـ البكري: المغرب ص٣٢.

كما ازدهرت الصناعات الذهبية نتيجة كثرة الذهب المستورد من بلاد السودان، وأكثر ماستخدمت في صناعة المصوغات الذهبية وتزيينها بالأحجار الثمينة، وكانت للقيروان شهرة واسعة في ذلك[١].

* صناعة المنسوجات:

اشتهرت بلاد المغرب بصناعة المنسوجات سواء الصوفية أوالقطنية، أوالحريرية بأنواعها الكثيرة[٢] حيث امتازت بجمالها ورونقها[٣] ومنها على سبيل المثال مدينة قابس[٤] التي يتوفر فيها الصوف مما ترتب عليه ازدهار هذه الصناعة فيها ، كما اشتهرت صفاقس بنوع من الصوف يعرف بصوف السمك، وتصنع منه الثياب النفيسة وطريقة استخراجه بقيام الغواصين بالغوص في أعماق البحر ويخرجونه بشكل كمائم ذات أعناق في أعلاها زويرة ثم ينشر في الشمس فتتفتح تلك الكمائم عن وبر فيمشّط ويغزل صوفه ثم تنسج منه الثياب[٥].

واشتهرت مدينة قابس أيضًا بالمنسوجات الحريرية ذات الجودة العالية[٦] المعروفة. وتميزت سوسة بالغزل الجيد ذي القيمة العالية

---

١ ـ محمد زيتون: القيروان ص١٦٠.

٢ ـ أبو القاسم كرو ـ عبد الله شريط: عصر القيروان ص٢٧.

٣ ـ الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب ص١٥٩.

٤ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٢.

٥ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ٩٩:١٣.

٦ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٢.

وبصناعة الملابس[١] والعمائم[٢]. وفي غربي بونة هناك جلود طائر الكيكل والتي يصنع منها الفراء الغالي الثمن[٣]. وفي طراف[٤] تصنع الأكسية الطرافية المشهورة[٥] كما تميزت بلاد المغرب بالسجاد المعروف بالزرينة الموجود في القيروان منذ القرن الثاني الهجري والتي وصلها مع الجيش الخراساني. وهناك أيضًا السجاد العجمي ثم السجاد القيرواني[٦].

* صناعة الورق:

انطلقت صناعة الورق من مدينة سمرقند بواسطة الصنّاع الصينيين، وركزت الجهود على تحسين هذه الصناعة والاستفادة منها، وغدا الكتان والقطن ذو أهمية كبيرة في صناعة الورق الأبيض الناعم ثم انتشرت تلك الصناعة في بغداد وقد أدرك الخليفة أبوجعفر المنصور أهمية الورق نظرًا لكثرة الاعتماد عليه في الكتابة، وفي سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م تمَّ في بغداد بناء مصنع للورق ومنه انطلق إلى بلاد الشام ثم إلى المغرب حيث اعتمد عليه في الكتابة وأسهم في النهضة الفكرية لتلك الفترة[٧].

---

١ ـ البكري: المغرب ص٣٦.

٢ ـ مؤلف مجهول الاستبصار ص١١٩.

٣ ـ البكري: المغرب ص٥٨.

٤ ـ مدينة تابعة للقيروان. * انظر: البكري: المغرب ص٤٧.

٥ ـ البكري: المغرب ص٤٧.

٦ ـ محمد زيتون: القيروان ص١٥٨.

٧ ـ زيغرد هونكه: شمس العرب ص٤٥-٤٦.

*** الصناعة الجلدية:**

اشتهرت في هذا المجال مدينة قابس حيث كانت تتم فيها دباغة أنواع من الجلود تميزت بطيب الرائحة ونعومة الملمس[١] كما يوجد في قفصة الجلد الأروي الذي تصنع منه الأحذية اللينة[٢]. وقد ازدهرت هذه الصناعة في القيروان حيث قام أهلها بالاستفادة من جلود المواشي الموجودة فيها بكثرة[٣] وخاصة المواشي المستهلكة في أيام المواسم والأعياد[٤].

*** الصباغة:**

استخدم في الصباغة لتلك الفترة الزعفران، وهو نبات يجلب من إيران، وهو غالي الثمن، وتستخرج منه مادة صفراء اللون تستعمل لأغراض كثيرة كصبغ بعض أنواع الأطعمة والملابس والأماكن التي وجد بها في المغرب مدينة الأربس وآبة اللتان تميزتا بجودة الزعفران فيهما[٥]. كما يكثر أيضاً في مجانة[٦]، وفي المغرب طريق معروف يسمى طريق الزعفران[٧].

---

١ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٢.

٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:١٠٢.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٢.

٤ ـ البكري: المغرب ص٢٦.

٥ ـ البكري: المغرب ٤٩،٥٣.

٦ ـ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص٢٦٠.

٧ ـ عثمان الكعاك: الحضارة العربية ص١٠٤.

١ ـ البكري: المغرب ص٢٦.

*** صناعة الأخشاب:**

توفرت كميات كبيرة من الأخشاب في مدينة القيروان[١] وتبعًا لذلك ازدهرت الصناعات الخشبية مثل الأبواب والنوافذ وصناعة السفن حيث وجدت دور الصناعة في سوسة وبونة[٢] وتونس[٣] بالإضافة إلى صناعة بعض الآلات الموسيقية مثل الطنبور[٤] والطبول[٥] وغير ذلك.

*** صناعة الأرحاء (المطاحن) :**

عرف المغاربة المطاحن واستفادوا منها في طحن الحبوب، وكانت تدار بواسطة قوة تدفق المياه، ووجدت في المنستير[٦].

*** صناعة الزيت:**

ازدهرت صناعة الزيت وبخاصة زيت الزيتون[٧] في بلاد المغرب بشكل كبير نظرًا لتوفر الزيتون حيث يستخرج منه وتوفرت هذه الصناعة في قابس[٨]. وفي قسطيلية وفي بلدة يقال لها الساحل بالقرب من القيروان[٩] وفي صفاقس[١٠] وفي بنونش التابع للقيروان

---

٢ ـ البكري: المغرب ص٣٥،٥٥.

٢ ـ اليعقوبي: البلدان ص٣٤٨

٤ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٧٥.

٥ ـ البكري: المغرب ص٦٤.

٦ ـ البكري: المغرب ص٣٦.

٧ ـ أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية ص١٢٩،١٩٤.

٨ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٢.

٩ ـ البكري: المغرب ص٢٦.

١٠ ـ البكري: المغرب ص٣٥،٥٥.

١ ـ اليعقوبي: البلدان ص٣٤٨.

توجد ثلاثمائة وستون معصرة للزيت[١] ممايدل على مدى ازدهار هذه الصناعة لتلك الفترة.

* صناعة السكر:

نشطت هذه الصناعة في بلاد المغرب لكثرة قصب السكر حيث ترتب على ذلك وجود المعاصر التي تقوم باستخراجه، وزرع في جلولا بينما فشلت زراعته في توزر كما توفر بكثرة في مدينة قابس[٢].

* العطور:

ازدهرت صناعة العطور نظرًا لكثرة الأزهار والرياحين والورود حيث وجدت في جلولا التي تميزت بوجود الياسمين والريحان والبنفسج. ومن أنواع العطور ماء الورد، فقد ازدهرت هذه الصناعة في المغرب تبعًا لوجود الورد في مدينة جلولا[٣].

* صناعة تصبير الأسماك:

ترتب على وجود الأسماك بكميات كبيرة قيام صناعة تصبير السمك وحفظه لمدة طويلة ومن المدن التي قامت فيها هذه الصناعة مدينة تونس لوفرة الأسماك وكثرة أنواعها فقام أهلها بتصبير وحفظ كافة أنواعه بطريقة جيدة بحيث يظل سليمًا لبضع سنين دون أن يطرأ عليه أي تغيير[٤].

---

٢ ـ البكري: المغرب ص٣٢، ٤٨، ١٧.

٣ ـ البكري: المغرب ص٣٢.

٤ ـ البكري: المصدر السابق ص٤١.

١ ـ البكري: المغرب ص٤٠.

*** صناعة الأواني:**

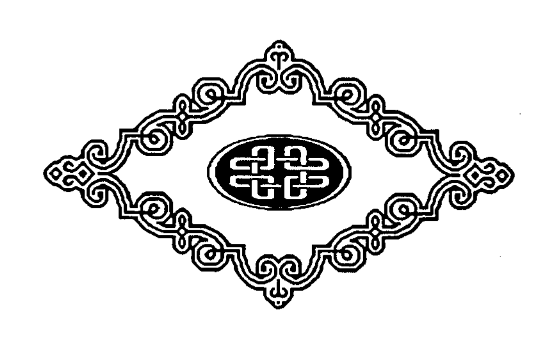
شهدت هذه الفترة إزدهارًا في صناعة الأواني حيث تقوم تونس بصناعة أواني الماء المعروفة بالريحية التي تميزت ببياضها الشديد ورقتها(١).

*** صناعة الزجاج:**

اشتهرت هذه الصناعة في بلاد المغرب متمثلة في صناعة المصابيح والنوافذ والقوارير والأواني وتكثر هذه الصناعة في مدينة طرة إحدى بلاد الجريد حيث يصنع فيها الزجاج الصافي(٢).

*** صناعة الصدفيات:**

وجدت هذه الصناعة في بلاد المغرب إلى جانب صناعة العاجيات وخاصة سن الفيل واستفيد منها في صناعة المرايا والمناضد والكراسي وغيرها(٣).



---

٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣.٣.١٠٣.

٣ ـ محمد زيتون: القيروان ص.١٦٠.

٣ـ التجارة

قام حكام المغرب الأدنى بالعمل على تنشيط التجارة والعناية بها فعملوا في البداية على بسط الأمن ونشر الطمأنينة، فعلى الرغم مماساد تلك المنطقة من ثورات وتحركات البربر فإنها لم تكن عائقًا في سبيل الحركة التجارية، وإلى جانب ماسبق أنشئت الفنادق التي أُعدت لنزول التجار القادمين عليها من المدن مثل مدينة سبيبة[١] وسوسة[٢] والمنستير وباجة المتميزة بفنادقها الكثيرة وقابس وصفاقس وتونس[٣].

* المراكز التجارية:

تنوعت مراكز التجارة في المغرب الأدنى مابين الموانيء البحرية والمراكز البرية. التي اكتفت بتصدير منتجاتها إلى بقية مدن المغرب، ومن هذه المراكز على سبيل المثال: مدينة طرابلس التي كانت ميناءً بحريًا ومركزًا بريًا للتجارة[٤] ومدينة قابس ومدينة بونة، ومدينة طبرقة، وبنزرت[٥] وسوسة[٦]، ومرسى الخرز[٧]، وقصر أحمد، وقفصة،

---

١ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٨٤.

٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٩٩.

٣ ـ البكري: المغرب ص ٥٥،٥٦،١٧،٢٠،٤٠.

٤ ـ مؤلف مجهول: الاستبصار ص١١٠.

٥ ـ البكري: المغرب ١٧،٥٥،٥٧،٥٨.

٦ ـ ابن حوقل صورة الأرض. ص٧٤.

٧ ـ القزويني: آثار البلاد ص٢٦١.

وبسكرة، وطرا، وقسنطينة، وسطيف[١]، وصفاقس[٢]، وقسطيلية من بلاد الجريد، ومدينة ميلة[٣].

*** السلع المتبادلة في المغرب:**

تنوعت السلع المتبادلة بين مدن المغرب، فعلى سبيل المثال تقوم تونس بتزويد مدن المغرب بحاجتها من الملابس وتصدر قفصة الفستق إلى مدن المغرب ودهن البنفسج، وتصدر بسكرة الفواكه إلى تونس وبجاية، وتصدر سطيف الفواكه والجوز إلى كثير من المدن[٤]، وتصدر قابس الفواكه إلى القيروان، وتصدر صفاقس الزيت إلى مدن المغرب، وتمد مدينة قلشانة القيروان بالتين الأخضر، وتصدر جلولاء إلى القيروان من الفواكه والبقول الشيء الكثير،[٥] وتصدر المنستير الملح إلى كثير من البلاد، وتمد قفصة مدينة القيروان بأنواع متعددة من الفواكه والثمار، وتصدر توزر التمر حيث تشير رواية البكري إلى ذلك قائلة: "وتوزر ... هي أكثر بلاد إفريقية تمراً ويخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موقورة تمراً وأزيد..."[٦].

وقد ازدهرت التجارة في مدينة القيروان ولعبت دورها في ربط مدن المغرب والأندلس بالمشرق وبموانىء أوربا وبلاد السودان، وتصدر

---

١ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦.

٢ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٣.

٣ ـ مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٥٥.

٤ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦.

٥ ـ البكري: المغرب ص١٧، ٢٠، ٢٩، ٣٢.

٦ ـ البكري: المغرب ص ٣٦، ٤٧، ٤٨.

إلى معظم مدن المغرب البضائع المختلفة، وتحمل منها أيضًا الأنواع المختلفة من المنتوجات. ومن هنا كان اهتمام ولاة المغرب بتنظيم التجارة والبيع حيث جعل يزيد بن حاتم لكل صناعة سوقًا خاصة بها[١].

ومن المدن التي اشتهرت بأسواقها التجارية: سوسة، وتونس[٢]، وسبيبة[٣]، وطرابلس وكان لها سوق في ربضها ثم نقل إلى داخل المدينة[٤]، وهناك أسواق حول مدينة الإربس وباجة وتميزت أسواقها بمواعيد تعقد فيها[٥].

وتميزت القيروان بأسواقها الكثيرة مثل: سوق الرماحين[٦]، وسوق سماط[٧].

ولمدينة نفزاوة أسواق حافلة، وفي توزر أيضًا، وطبرقة، وبنزرت[٨].

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٨.

٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٩٨،٩٩.

٣ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٨٤.

٤ ـ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص٧١.

٥ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٧.

٦ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٤-٢٢٦.

٧ ـ البكري: المغرب ص٢٥.

٨ ـ البكري: المغرب ص ٤٧-٤٨،٥٧-٥٨.

*** علاقات المغرب الأدنى التجارية:**

ارتبط المغرب الأدنى بعلاقة تجارية مع بلاد الأندلس حيث ألاحظ قيامه بتصدير الزيت والفستق والزعفران واللوز والبرقوق إليه[١]، في حين اشتهرت طبرقة بورود التجار الأندلسيين إليها ونزولهم بها[٢] ويعبر تجار المغرب جزائر بني زغناية إلى الأندلس[٣] ويحمل الفستق من قفصة إلى الأندلس[٤]. وتسير المراكب من طرابلس محملة بمختلف الأنواع من الأمتعة والأطعمة إلى بلاد الروم[٥]. وحمل تجار البندقية الرقيق إلى موانىء إفريقية[٦]. كما تصدر صفاقس الزيت إلى بلاد الروم وصقلية ومصر،وتصدر قفصة الفستق والمنسوجات والكساء الطرافي إلى مصر[٧] وتصدر طرا المصنوعات الزجاجية والمنسوجات الصوفية إلى الاسكندرية. وتتكون صادرات المغرب إلى المشرق من الجواري والعبيد والعنبر والحرير والأكسية الصوفية والحديد والرصاص والزئبق[٩].

---

١ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٣٩.

٢ ـ ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص٧٦.

٣ ـ جزائر بني زغناية: تابعة لقصبة القيروان، انظر المقدسي أحسن التقاسيم ص٢٢٨.

٤ ـ البكري: المغرب ص٤٧.

٥ ـ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص٧١.

٦ ـ أرشيبالد لويس: القوى البحرية ص١٧٩.

٧ ـ البكري: المغرب ص٢٠،٤٧.

٨ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:١٠٣.

٩ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٩٤.

ولعب اليهود دوراً كبيراً في التجارة لتلك الفترة وأتاح تمتعهم بالحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم فرصة نادرة فأسهموا في التجارة بشكل كبير، وتشير رواية الرقيق القيرواني إلى وجود سوق لليهود في المغرب الأدنى لتلك الفترة في عهد محمد بن مقاتل العكي(١). كما يلاحظ وجود اليهود في بعض المناطق الممتدة على مسيرة ستة أيام من القيروان هناك في جبل نفوسة ويليه حصن بيرفت ثم قبيلة تدرميت ولها ثلاثة حصون وفي وسطها تقع مدينة تسمى جادوا ولها أسواق وتعيش فيها جالية كبيرة من اليهود ويبدو أنهم من التجار(٢).

*** أسعار بعض السلع في المغرب الأدنى:**

كان لازدهار التجارة الناتجة عن التقدم الزراعي والصناعي في بلاد المغرب الأدنى نتائج طيبة انعكست آثاره في توفرها ورخص أسعارها، فألاحظ في القيروان رخص أسعار اللحم والتين وفي قسطيلية التمر(٣) وفي صفاقس الزيت، وفي باجة القمح وفي بنزرت الأسماك(٤). أما فيما يتعلق بالأوزان فقد استخدم القفيز. فنرى أن قفيز القيروان إثنان وثلاثون ثمناً، والثمن ستة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي تونس يستخدم الرطل وهو اثنتا عشرة أوقية، والأوقية اثني عشر درهماً(٥).

---

١ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص٢٠٧.

٢ ـ البكري: المغرب ص٩.

٣ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٢٤-٢٢٥، ٢٣٠.

٤ ـ البكري: المغرب ص٥٦،٢٠، ٥٨.

٥ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٤٠.

*** طرق التجارة:**

أسهمت الطرق التجارية في ازدهار التجارة نتيجة عناية الدولة بها وتوفير الأمن والسلام للتجار المقيمين والمسافرين، فنلاحظ ارتباط القيروان بشبكة كبيرة من الطرق تربطها بالمشرق وببلاد المغرب وبمختلف المدن، وهناك طريق يخرج من سجلماسة إلى وجدة وتلمسان وتاهرت ومنها إلى بلاد الزاب وقسطيلية، ومن بلاد الجريد إلى القيروان عن طريق قفصة ثم إلى مدن الساحل التونسي أوإلى طرابلس عن طريق نفزاوة ثم برقة فمصر فالمشرق الإسلامي[١].

ومن الطرق التي أشارت إليها روايات البكري على سبيل المثال: هناك طريق من سرت إلى طرابلس ومن سرت إلى أجدابية ومن أجدابية إلى برقة، وطريق من قابس إلى عين الزيتونة إلى تاورغي ثم إلى غافق ثم إلى صفاقس، وطريق من صفاقس إلى طرفي ثم إلى قصر رباح ثم إلى القيروان، ومن القيروان إلى جلولاء، وطريق من القيروان إلى مدينة سوسة، ومن القيروان إلى تونس، وطريق آخر من باشوا إلى الدواميس إلى القيروان، وطريق من القيروان إلى قفصة، ومن القيروان أيضاً إلى وادي الرمل ثم إلى سبيبة إلى قلعة الديك إلى قلعة السكة إلى مجانة، إلى نهر ملاق، وفي شرقي نهر ملاق مدينة تبسا ومنها إلى قرية مسكيانة، ثم إلى باغاية، ثم إلى فاساس، ثم إلى قبر مادغوس، ثم إلى حصون بلزمة لمزاتة وتقع إلى شرقيها مدينة اللوز، وهناك خط يسير من نقاوس إلى طبنة إلى مقرة ومن مقرة إلى قلعة أبي طويل.

---

١ ـ أحمد فكري: بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٢.

كما نجد هناك طريقًا من القيران إلى جلولاء ومنها إلى آجرر ومنها إلى جزيرة أبي حمامة ثم إلى مدينة الأنصاريين ومنها إلى مدينة بونة[١]. ويلاحظ أن قلعة أبي طويل هي مقصد التجار القادمين من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، ويخرج المسافر من القيروان إلى منستيرعثمان ثم باجة إلى باسلى، إلى درنة إلى طبرقة الواقعة على شاطىء البحر[٢].

وإلى جانب ماسبق هناك الطريق البحري الذي يسلكه التجار اليهود في سيرهم من المغرب إلى المشرق حيث يركبون من فتحة البحر الغربي إلى الفرما ثم يحملون تجارتهم برًا إلى القلزم والمسافة بين الفرما والقلزم خمسة وعشرين فرسخًا ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجده ومنها إلى السند والهند والصين. وفي طريق العودة يحملون بضائعهم من الصين إلى القلزم ثم إلى الفرما ثم يسلكون طريق البحر مرة أخرى وأحيانًا قد لايعودون إلى المغرب ويسيرون إلى القسطنطينية وأحيانًا إلى بلاد ملك الفرنجة.

ومن الطرق أيضًا هناك طريق يسلكه التجار من الأندلس إلى السوس الأقصى ثم إلى طنجة ثم إلى إفريقية ومنها إلى مصر ثم الرملة ثم إلى دمشق ثم الكوفة ثم بغداد ثم البصرة ثم الأهواز ثم كرمان ومنها إلى السند والهند والصين[٣].

---

١ ـ البكري: المغرب ص١٩،٦-٢٠،٣١،٣٤،٣٧،٤٧،٤٩-٥٠،٥٤.

٢ ـ البكري: المغرب ص٤٩،٥٦-٥٧.

٣ ـ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص١١٧،١٥٤-١٥٥.

والمهم في هذه الطرق أن غالبيتها تمر بالقيروان أوبمنطقة إفريقية. وقد وصف المقدسي مدينة القيروان ودورها في التجارة قائلاً: (...هي فرضة المغربين ومتجر البحرين...)(١).

*** التجارة بين المغرب الأدنى وبلاد السودان:**

كان لوقوع كانم(٢) في منطقة بحيرة تشاد دور كبير في سيطرتها على طرق التجارة المتجهة من مصر شرقًا وإلى الشمال الإفريقي. وقد ساعدت هذه الطرق وسهلت وصول المسلمين والتجار العرب إلى هذه المناطق منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

وقد لعبت فزان دورًا كبيرًا في ذلك(٣) فلاعجب أن وجد تنافس بين أهل تلك المنطقة وتجار الشمال الإفريقي من العرب في السيطرة على الطرق التجارية الواصلة بين بلاد السودان الأوسط والشمال الإفريقي والتحكم فيها، وساعد وقوع كانم في طريق القوافل التجارية المارة عبر إفريقية على توفيرها للعالم الإسلامي والشمال الإفريقي خاصة من الرقيق المعتمد عليه في المنازل والمزارع والجيوش الإسلامية.

ويلاحظ منذ القرن الثاني الهجري كثرة التجار العرب في منطقة زويلة حيث جذبتهم تجارة الرقيق هناك بالإضافة إلى جلبهم للجلود الزويلية(٤). فيمكن القول أن التجار جعلوا من زويلة مركزًا لتجمعهم

---

١ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم: ص٢٢٥.

٢ ـ كانم: تبعد عن زويلة بأربعين مرحلة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤:٤٣٢.

٣ ـ فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس... ومدينتها زويلة السودان... انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤:٢٦٠.

٤ ـ اليعقوبي: البلدان ص٣٤٥.

وتحركهم مابين بلاد السودان الأوسط ومنطقة إفريقية وجلب الرقيق والمنتجات الأخرى من تلك المناطق.

وإذا رجعت إلى ماسبق أن ذكرته عن الأحداث السياسية ومقاومة ولاة المغرب الأدنى تحركات الخوارج الإباضية والصفرية ألاحظ إسهامها في دفع الخوارج الإباضية إلى منطقة السودان الأوسط حيث استقروا بها نتيجة بعدها عن مركز السلطة الحاكمة خصوصاً ماقام به محمد بن الأشعث الخزاعي خلال الفترة (١٤٤-١٤٨هـ/٧٦١-٧٦٤م) حيث أسهمت الأحداث السياسية في وجود التجار وكافة الفئات من الشمال الإفريقي واستقرارهم في زويلة وإسهامهم بدور كبير في التجارة المتبادلة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان الأوسط(١).

ولم يقتصر الأمر على العلاقة التجارية واستقرار العرب والإباضية في تلك المنطقة بل أجد أن ابن الأشعث وجَّه في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م حملة إلى زويلة ودان ففتحها وقتل عبد الله بن حيان الإباضي رغبة منه في قمع حركة الإباضية(٢) ولم يقتصر الأمر على وجود العلاقة التجارية بل هناك إشارة هامة إلى علاقة سياسية ومسير حملات عسكرية إلى تلك المناطق.

ومنذ دخول الإسلام إلى منطقة المغرب وقيام المسلمين بنشره في هذه المناطق وماتبعه من أحداث سياسية وتجارية ربطت بين الشمال الأفريقي وخاصة منطقة المغرب الأدنى وبلاد السودان الأوسط.

---

١ ـ أبوزكريا يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم ص٤٦،٤.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٣.

وقد ربطت العديد من الطرق بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان الأوسط. منها على سبيل المثال:

من طرابلس إلى جبل نفوسة(١) ومنها إلى مدينة جادوا ثم إلى تيري الواقعة في سفح جبل فيه آبار كثيرة ثم يسير الماشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام إلى بئر أودرب ومن هناك يواصل الطريق إلى جبال شامخة تسمى تارغين وعقب ثلاثة أيام يصل إلى بلدة تامرما ومنها إلى سباب ثم السير في صحراء مستوية وفي نهاية الصحراء يصل إلى زويلة أول حدود بلاد السودان. وبين زويلة وبلد كانم أربعون مرحلة. وطريق أيضاً من زويلة إلى مدينة سبها والتي تبعد عن زويلة مسيرة خمسة أيام، ومن سبها إلى مدينة هل ومن هل إلى ودّان ثم إلى تاجرفت ثم إلى سرت التي تبعد عن زويلة بمسيرة اثني عشر يوماً ومثلها عن ودّان، ومن تاجرفت إلى الفسطاط(٢). ومن طرابلس إلى هوارة نحو الجنوب إلى قصر ابن ميمون ومنها إلى ربوة تسمى كرزة ومنها إلى ودّان مسيرة ثلاثة أيام وهذا لمن أراد السير من طرابلس إلى ودّان(٣).

ومن الطرق أيضاً لبلاد السودان الأوسط هناك طريق من طرابلس إلى غدامس ويمر فرع منه بفزّان وينتهي إلى برنووجاو(٤).

---

١ ـ جبل نفوسة على بعد ثلاثة أيام من طرابلس.

٢ ـ البكري: المغرب ص١٠-١٢.

٣ ـ البكري: المغرب ص١٢.

٤ ـ الأمين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي ص٧٤.

أما صادرات إفريقية إلى بلاد السودان فهي الثياب والملح وغير ذلك[١].

*** الأزمات الاقتصادية:**

رغم الازدهار الاقتصادي الذي عاشته بلاد المغرب الأدنى لتلك الفترة فقد مرت ببعض الأزمات الاقتصادية ومثال ذلك المجاعة التي تعرضت لها مدينة القيروان في عهد عمرو بن حفص وقت حربها للخوارج مما اضطر السكان إلى أكل الدواب والكلاب والسنانير وارتفعت أسعار المواد الغذائية حتى بلغ سعر أوقية الملح بدرهم[٢] وهناك مجاعة ووباء حدث في أيام عبد الرحمن الفهري، ولكن من خلال استعراضي لنواحي الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب أثناء فترة الولاة ألاحظ أن تلك الأحداث والأزمات البسيطة التي مرّت بالبلاد لم تكن عائقًا للتقدم الاقتصادي والنمو التجاري.

*** السِّكة:**

من المعروف أن العملة المرتبطة بالتجارة مع بلاد السودان وغيرها أثناء فترة الولاة كانت العملة المعروفة بالدينار الذهبي[٣]. ومنعًا للغش التجاري في موضوع العملة استخدمت الصنوج وهي عبارة عن قطعة مدورة بقدر الدرهم قد تكون أكبر منه قليلاً أو أصغر وتصنع من الزجاج وتحمل كتابة بارزة في أحد وجهيها تدل على أن وزنها هو وزن الدرهم

---

١ ـ البكري: المغرب ص١١٨.

٢ ـ ابن عذارى البيان المغرب ١:٧٦.

٣ ـ المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٤٠.

أوالدينار بالإضافة إلى حملها لاسم الوالي أوالأمير الذي أمر بضربها، وتوزع على الصيارفة والتجار لمعرفة وزن النقود التي تصل إليهم فتوضع في الميزان تلك الصنجة ثم يوضع في الكفة الأخرى الدينار أوالدرهم المراد التحقق من وزنه، وقد شاع استخدام هذه الصنوج، وأول من استخدمها في إفريقية عبد الله بن الحبحاب، كما عثر على قطع منها تحمل اسم حنظلة بن صفوان في تونس، بالإضافة إلى العثور على عدد من هذه الصنوج ناحية مرماجنة في الشمال الغربي من تونس مضروبة بأمر الأمير عبد الرحمن الفهري الحاكم على إفريقية.

وفي عهد أسرة المهالبة في إفريقية أيضًا عثر على عدد من هذه الصنوج تحمل أسماء بعض أمراء تلك الأسرة منهم: يزيد بن حاتم، وفيما يبدو أنه عثر على عدد كبير منها ولعل ذلك راجع إلى اهتمام يزيد بن حاتم بالنواحي الاقتصادية ورعايته لها(١).

وأما عن النقود بصفة عامة فهي كماذكرت الدينار الذهبي والدرهم، وفي مدة الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري قام بضرب دنانير ودراهم في القيروان مؤرخة بسنتي ١٣٤،١٣٦هـ/٧٥١،٧٥٢م.

وعقب فترة الاضطرابات التي عاشتها القيروان في ظل ورفجومة الصفرية إلى أن استطاع أبوالخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إعادة الهدوء إليها وعاد إلى طرابلس تاركًا عليها عبد الرحمن بن رستم والذي تمكن خلال فترة وجوده من ضرب بعض النقود النحاسية يحمل على أحد وجهيها عبارة: "ضرب هذا الفلس بإفريقية، وعلى الوجه الآخر

---

١ ـ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية ص٤١٩-٤٢٢.

حمل سنة الضرب وهي سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م. وربما استمر ضرب هذا النوع من النقود حتى سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م[١].

وفي عهد أسرة آل المهلب والتي حكمت إفريقية خلال عهد الدولة العباسية والتي سمحت لولاتها بضرب النقود مابين الفضية والنحاسية في القيروان، ضرب بعض الدراهم الفضية في مدينة العباسية. وعثر على عدد منها في الأراضي السويسرية قرب ستيكبون *(Steckbon)*[٢] ولعل السبب في وجودها في الأراضي السويسرية عائد إلى النشاط التجاري بين المغرب والدول الأوربية ولاأغفل في هذا دور اليهود التجاري في تلك الفترة.

وقام الأمير هرثمة بن أعين أيضاً بضرب دراهم وفلوس بالقيروان مابين سنتي ١٧٩و١٨٠هـ/ ٧٩٥و٧٩٦م. وتوجد قطعتان منها في متحف المنستير كما توجد أيضاً نقود باسم الأمير محمد بن مقاتل العكي أخي الخليفة الرشيد من الرضاعة وآخر والٍ عباسي قبل الأغالبة وهي عبارة عن دراهم بتاريخ ١٨٣هـ/٧٩٩م.

وفي عهد إبراهيم بن الأغلب الذي ولي إفريقية بأمر الرشيد سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م يظهر من خلال المال الذي بعثه للخلافة العباسية استخدامه للدنانير[٣].

---

١ ـ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية ص٤٢٤-٤٢٦..

٢ ـ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية ص٤٢٦-٤٢٧.

٣ ـ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية ص٤٢٨.

٢ ـ الحياة الاجتماعية

يهمني في دراسة الحياة الاجتماعية أن أتناولها من حيث السكان وأوضاعهم ووضع المرأة ودورها في الأسرة وتقاليد هذه الأسرة ودراسة نمط الحياة الاجتماعية من ملابس وطريقة الاحتفال بالأفراح وعادات المجتمع في مدن المغرب الأدنى:

* السكان *

جمع المجتمع في المغرب الأدنى أنواعًا عديدة من السكان منهم: البربر ـ العرب ـ الخراسانيون ـ العبيد ـ وأهل الذمة. وسأوضح كل فئة من هؤلاء.

أما البربرفهم يشكلون الغالبية العظمى من السكان[١] فنجدهم مثلاً في طرابلس وقابس وبسكرة[٢] وحمة مطماطة، وسبيبه، وجبل أوراس، وجبل العنصل الواقع بالقرب من ميلة[٣].

وشكل العرب عددًا كبيرًا من سكان المغرب وأسهموا بدور في تاريخه منذ دخولهم مع الفتح الإسلامي وامتزجوا بالبربر في كثير من المناطق مثل: قسطيلية، وسبيبه، القيروان، وحصن لبدة[٤].

---

١ ـ عن أصل البربر وماقيل فيه من روايات، انظر حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص٢٩٢-٢٩٣.

٢ ـ بسكرة: من بلاد الزاب بأرض المغرب، انظر الحميري: الروض ص١١٣.

٣ ـ البكري: المغرب ص١٨،٧، ٢٩، ٥٣، ٥٤. مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٥٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦.

٤ ـ حصن لبدة: بين طرابلس ومدينة شروس انظر البكري: المغرب ص٩.

واشتهر العرب فيه بحملاتهم المتواصلة لمن جاورهم من قبائل البربر. وكثر عددهم في مدينة طبنة، واستقر العرب أيضًا في المنستير وميلة[١]. كما تواجد الخراسانيون في المغرب حيث دخلوها برفقة الولاة القادمين إليها من قبل الخلافة العباسية وبلغ عدد الداخلين مع محمد بن الأشعث الخزاعي سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، ويزيد بن حاتم سنة ١٥٥هـ/٧٧١م، حوالي ستين ألفًا[٢]، وكانوا مصدر متاعب للدولة بسبب صراعهم الدائم مع العرب، ونراهم في طرابلس وتونس[٣].

وشكل العبيد المجلوبون من بلاد السودان وخاصة السودان الأوسط عنصرًا هامًا في المغرب الأدنى للاعتماد عليه كخدم وجواري في المنازل والحقول وقصور الأمراء[٤] نظرًا لما تمتع به هذا النوع من الناس من الكفاءة والقدرة على القيام بالأعمال الشاقة.

وعاشت في المغرب أيضًا جاليات من أهل الذمة من اليهود والنصارى تمتعوا بالحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم في عقائدهم ومعاملاتهم ومن ذلك قيام الأمير الفضل بن روح بالسماح لقسطاس النصراني ببناء كنيسة[٥].

---

١ ـ البكري: المغرب ص٥٠،٥٦،٦٤.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٩. * محمود اسماعيل عبد الرزاق: الأغالبة ص١٨.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٩،٩٠.

٤ ـ الحميري: الروض المعطار ص٢٩٦.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٤،١٨٥.

وتواجد اليهود والنصارى في نواحٍ متفرقة من المغرب مثل مدينة جادوا والنصارى في جبل نفوسة[١] وتهوده[٢]. وأشارت رواية يهودية إلى أماكن وجودهم في المغرب مثل المنطقة الممتدة من تونس إلى الاسكندرية والقيروان وسوسة وبنزرت وقفصة وجربة[٣]، وقد أجاد هؤلاء السكان على اختلافهم اللغة العربية، فظهرت فئات من البربر تعرف الكتابة بالعربية لغة الإسلام[٤].

* العلاقة الاجتماعية مع بلاد السودان:

أسهم التنقل مابين بلاد المغرب الأدنى وبلاد السودان في تواجد العرب والبربر في بلاد السودان، وتواجد الرقيق المجلوب من بلادهم في المغرب الأدنى، فتشير رواية البكري إلى الأثر الذي تركه العرب في أهل تلك المناطق إلى حد تشبههم بملابس العرب وأحوالهم[٥]. وتقليدهم في العديد من الأعمال دلالة على ماللإسلام والعرب من أثر في سكانها، فإذا انتقلنا إلى المغرب الأدنى نجدهم في تونس وفي قصر الأمير عبد الرحمن ابن حبيب حيث الاستفادة منهم كخدم وجوارٍ، ولم يلبثوا أن تركوا القصر فارين بصحبة الأمير حبيب بن عبد الرحمن الفهري عقب مقتل عبد الرحمن بن حبيب[٦].

---

١ ـ البكري: المغرب ص٩٥.

٢ ـ الحميري: الروض ص١٤٢.

٣ ـ انظر: *Hirschberg H. Z : Ahistory of the Jews 1, P 134,137,140,142.*

٤ ـ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ص٢٩٨.

٥ ـ البكري: المغرب ص١١.

٦ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٨.

* طبقات المجتمع

ا ـ الطبقة الحاكمة:

تكونت هذه الطبقة من الأسرة الحاكمة التي تولت مقاليد السلطة مثال ذلك الأسرة الفهرية في القيروان[١] ثم الولاة المرسلين إليها من قبل الخلافة العباسية في المشرق، وكبار رجال الدولة وقادة الجيش وحرس الأمير[٢]. وفي عهد الأسرة الفهرية اعتمد عبد الرحمن بن حبيب على أسرته لإدارة شؤون البلاد معه مثل اعتماده على شقيقه الياس في تنفيذ العديد من المهام السياسية التي أوكلها إليه وخاصة القضاء على بعض الثورات الهامة في المغرب الأدنى[٣]. إلى جانب إعداده لابنه وولي عهده حبيب حيث كان يعهد إليه بتولي أمور القيروان خلال مسيره لبعض الحروب، كما حدث عند خروجه سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م لغزو تلمسان[٤] وقام عبد الرحمن بن حبيب بتولية شقيقه عمران على مدينة تونس[٥] وعقب وفاة عبد الرحمن بن حبيب حاول الياس أيضًا الاعتماد على قرابته في إدارة المغرب الأدنى إذ ولّى أخاه عمران على تونس وصطفورة والجزيرة، وولى حبيبًا على قفصة وقسطيلية، في حين انفرد الياس بالاشراف على بقية مدن المغرب الأدنى[٦]. وكان أبوجعفر المنصور لايبعث

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٠.

٢ ـ د. محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ص١٧٠.

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ١:٢٧٩.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦١.

٥ ـ ابن الأثير: الكامل ١:٢٨٠.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل ١:٢٨٠.

إلى إفريقية إلا من يثق به من خاصته وبرفقتهم من يعتمد عليه من الرجال في المهام الصعبة، وكان الأمير يقيم في دار الإمارة ويعتمد على الأقارب في إدارة شؤون البلاد[١].

كذلك اعتمدت أسرة المهالبة على أبنائهافي إدارة أقاليم بلاد المغرب فقد كانت الأسرة المهلبية عائلة عريقة في السياسة وأمور الحرب والقتال والقيادة، فقد عين يزيد بن حاتم المهلبي والي القيروان ابنه المهلب بن يزيد على إمرة الزاب، وأوكل قيادة الجيوش التي خرجت لقتال الخوارج الثائرين إلى العلاء بن سعيد المهلبي[٢].

ولما تولى إمرة القيروان روح بن حاتم بعد أخيه يزيد بن حاتم[٣] عزل المهلب بن يزيد عن الزاب واستعمل عليها ابنه الفضل بن روح، كما استعمل على تونس إسحاق بن يزيد بن حاتم وعلى برقة ابنه قبيصة[٤].

ثم تولى إمرة القيروان نصر بن حبيب وكان نصر قبل ذلك على شرطة يزيد بن حاتم وظهر لنصر أيضًا اعتماده على الأسرة المهلبية في إدارة أقاليم البلاد الهامة، فقد استعمل العلاء بن سعيد المهلبي على الزاب بعد أن عزله عن إمرة طرابلس لكفاءته العالية في إدارة شؤون ذلك الإقليم[٥].

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٨:١، ٨٢، ٨٦، ٩٠.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٦١-١٦٢. * ابن الأثير: الكامل ٣٣:٥.

٣ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٤:٢.

٤ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٧٣.

٥ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٣.

وخلف نصر بن حبيب على إمرة القيروان الفضل بن روح الذي كان واليًا على الزاب من قبل أبيه، فقدم بالولاية على القيروان بعهد من الخليفة هارون الرشيد في سنة ١٧٧هـ[١] فلما كانت ثورة ابن الجارود في تونس أرسل الفضل إليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن حاتم المهلبي واليًا على تونس[٢] كما أقر العلاء بن سعيد المهلبي في ولايته على الزاب[٣].

وفي ذلك العرض إيضاح لمدى ترابط الأسرة المهلبية كأسرة حاكمة، فقد كان والي القيروان منهم والولاة على الأقاليم أيضًا منهم.

٢ ـ طبقة العلماء والفقهاء:

تمتعت هذه الطبقة بنفوذ قوي في المغرب الأدنى سواء في الحياة العلمية أوالحياة السياسية. ومما يدل على مالهم من نفوذ قوي موقفهم من عبد الرحمن بن حبيب عندما خلع طاعة الدولة العباسية إذ أُعتبر خارجًا عن إجماع الأمة، وبهذا استطاع أخوه الياس أن يضفي على قضية اغتيال أخيه عبد الرحمن صبغة شرعية بتأييد العلماء والفقهاء المالكية[٤]. إلى جانب ذلك قام بعض ولاة المغرب بالاعتماد على القضاة في إدارة شؤون البلاد خلال خروجهم لبعض الحروب مثلما فعل حبيب بن عبد الرحمن مع القاضي أبي كريب عند خروجه لقتال الخوارج[٥].

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ٥:٩٤.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨٦.

٣ ـ ابن الأبار: الحلة السيراء. ١:٨٧.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٧. * محمد أبو العزم داود: الأثر السياسي ص١٠٥.

٥ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٠.

وقد حرص الفقهاء والعلماء على نشر العلم والثقافة بين الناس وتفسير ماأشكل عليهم فهمه، وحمل العلماء والفقهاء لواء الجهاد ضد الأعداء، وكان العامة يحرصون على تقليدهم في كل شيء دلالة على مالهذه الفئة من أثر في حياة الناس.

٣ـ طبقة أصحاب الحرف والصنائع:

أ ـ التجار:

لعبت هذه الفئة دوراً كبيراً في المغرب الأدنى وأسهمت في توسعة نقل البضائع التجارية بين مدن المغرب وبين المغرب والمشرق ومع صقلية والأندلس والروم[١]، وبلاد السودان[٢].

ب ـ الصناع:

حفل المغرب الأدنى بطبقة الصناع وكان لهم دور كبير في مجال الصناعة، وعندما قدم يزيد بن حاتم جعل كل فئة على حدة في القيروان[٣] وضمت فئة الصناع العديد من المهن ومنها صناع الأسرجة[٤] وحاكة الثياب في القيروان[٥] وسوسة، والقصارة والكمادة في صفاقس[٦].

---

١ ـ د. محمد زيتون: القيروان ص١٧٠.

٢ ـ البكري: المغرب ص١٠-١١.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٨.

٤ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٢٨.

٥ ـ محمد الطالبي: دراسات في تاريخ إفريقية ص١٤٥.

٦ ـ البكري: المغرب ص٣٦ ، ٢٠.

جـ ـ صانعوا الأدوات المنزلية:

عكف أهل هذه المهنة على إمداد الناس بمنتجاتهم من الأواني المستخدمة في بلاد المغرب واشتهرت في هذا المجال مدينة تونس حيث كانت تصنع فيها أوان للماء من الخزف تعرف بالريحية. وتميزت بشدة بياضها ورقتها[١].

د ـ البناؤون:

أسهمت هذه الفئة في حركة العمران التي قام بها ولاة بني العباس في المغرب مثل بناء سور القيروان في عهد ابن الأشعث سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م، وغيره[٢].

هـ ـ مهن أخرى متنوعة:

إلى جانب ماسبق أن أشرت إليه من الحرف السابقة هناك أيضاً العديد من المهن الأخرى مثل: الحرس القائمين على حراسة المدن الهامة مثل القيروان وغيرها[٣] ومنهم العسس الموكول إليهم حراسة القيروان ليلاً[٤]. ومهنة الطحان القائم بطحن الحبوب، وأيضاً هناك الصباغ[٥]،

---

١ ـ البكري: المغرب ص٤٠.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٢.

٣ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٧٤.

٤ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ٢:٦٤.

٥ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص [١٢٦،١٠٦]

والباعة[١]، والمزارعون[٢]. وإلى جانب ماسبق فهناك الطبقة الشعبية والمكونة من الجنود النظامية والمتطوعة[٣].

*** وضع المرأة في المجتمع المغربي***

تمتعت المرأة في المغرب الأدنى بمكانة كبيرة وأسهمت بدور عظيم في كثير من النواحي حتى السياسية، حيث قامت زوجة الياس الفهري شقيق عبد الرحمن بتحريض زوجها الياس على أخيه واستماع الياس لكلامها دلالة على ماللمرأة من دور في حياة أسرتها وزوجها وماتمتعت به من حرية إبداء الرأي[٤].

وفي القيروان خصص القضاة يومًا للنساء للفصل في قضاياهن، وكان القاضي عبد الله بن غانم يجلس لسماع الشكاوى منهن بعد إبعاد الحجاب والكتاب، ومن أمثلة المواقف التي نالت فيها المرأة حقها ضد خصمها ماحدث من زوجة الأمير عبد الرحمن بن حبيب التي اشترطت على الأمير بعدم التسري عليها فإن حدث ذلك كان أمرها بيدها ولما قام الأمير بالتسري عليها أرسلت إلى القاضي شاكية الأمر إليه ومطالبة بحقها فأقر الأمير ماصدر منه وعند ذلك جعل القاضي أمرها بيدها إن شاءت أقامت وإن شاءت طلقت نفسها[٥].

---

١ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٦٨.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١.

٣ ـ محمد زيتون: القيروان ص١٧١.

٤ ـ انظر ماسبق ذكره في الفصل الأول، ص ٥٢، ٥٣. * راجع ابن عذارى: البيان المغرب ١:٦٢. *النويري: نهاية الأرب ٢٤:٦٧-٦٨.

٥ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٩٥،٢٢٤،٢٢٥.

وحدث أيضاً أن قدمت امرأة من الريف إلى القاضي عون بن سليمان في القيروان ليقضي لها في مظلمتها، ولم يكن وصل إلى مجلسه في المسجد فنزل وجلس في حوانيت السراجين وقضى لها في مظلمتها ثم واصل طريقه إلى المسجد[١]. وقد حرصت المرأة على الاهتمام بشؤون بيتها وأسرتها وقضاء وقتها في الأعمال المناسبة لطبيعتها مثل الغزل والتطريز والحياكة وغير ذلك[٢].

ومن هنا يظهر لنا مدى الدور الذي قامت به المرأة في المغرب الأدنى بصفة عامة، فقد حظيت بنشأة إسلامية صحيحة وتعليم وتثقيف أكسبها حرية كبيرة وتمتعت بشخصية قوية فأحسنت القيام بشؤون أسرتها ومايتفق مع تكوينها من أعمال ونجحت نجاحاً باهراً، ومن هنا لاعجب أن أصبحت لها كلمة مسموعة في الحياة السياسية، واحترام وإجلال وإنصاف لدى القضاة.

* الملابس *

تنوعت الملابس في الفترة التي حرص السكان على ارتدائها فهناك الثياب النفيسة المصنوعة من صوف يسمى بصوف السمك المستخرج من البحر واشتهرت بهذا النوع مدينة صفاقس[٣]. وكانت ملابس الرجال عبارة عن قميص وسراويل وجبة صوف يتحزم عليها بإزار ملون وعلى الرأس عمامة توضع عليها الدوخلة التي تنزل على

---

١ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٢٨.

٢ ـ د. محمد زيتون: القيروان ص١٧٣.

٣ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٩٩.

القفا، ويلبس في القدمين النعال في الشتاء والخفاف في الصيف، في حين كانت ملابس بعض العلماء والأغنياء من الأنواع الغالية الأثمان(١).

وحرص القضاة على ارتداء الثياب المتواضعة عند الجلوس للنساء في مجلس الحكم بينهن مثل القاضي أبي عبد الرحمن: عبد الله بن عمر ابن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني الذي حرص على ارتداء الفرو الدَّنيّ والثياب الخشنة عند جلوسه للقضاء بين النساء(٢).

أما عن لبس العالم البهلول بن راشد فقيل: إنه كان يلبس قلنسوة خزٍ ووشاح طرازي وقميص تستري ونعل طائفي(٣).

أما أزياء النساء فهي متنوعة والغالب فيها ارتداء رداء قطن أو حرير وفوقه غلالة تُشَدُّ بمئزر بالإضافة إلى التزين بأنواع الحلي والمجوهرات، وعند خروجها تلبس الرداء وتستر وجهها بالمعجر مع لبس الخفاف في القدمين، كما وجد في بعض المتاحف رداء يسمى القمجة تقوم المرأة بلبسه في اليوم السابع من زفافها(٤).

---

١ ـ د. محمد زيتون: القيروان ص١٧٤-١٧٥.

٢ ـ الدباغ: معالم الإيمان ص٢٩٥.

٣ ـ الوزير السراج: الحلل السندسية ١:٦٩٩.

٤ ـ د. محمد زيتون: القيروان ص١٧٥.

* الإحتفالات والأفراح *

ذكرت لنا المصادر صوراً قليلة للاحتفالات في المغرب الأدنى في تلك الفترة، ومن ذلك ماأشير إليه عن الاحتفال باستقبال الفضل بن روح وماصنعه أهل إفريقية له. فتذكر الرواية عن ذلك "أن عمرو بن قدومة قال: مارأيت مثل ماصنع الناس في تلقي الفضل بن روح واستبشارهم به وسرورهم بقدومه، نصبت له القباب من مسجد أم الأمير إلى دار الإمارة في رحبة التمر فزعموا أن قسطاس النصراني نصب له قربة ريحان في طريقه وعليها طومار قد كتب فيه بخط غليظ:

{ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر }(١)

فنظر إليه الفضل فقال: "من فعل هذا؟ قالوا قسطاس. قال أحسن والله النصراني. فلما انتهى إلى مسجد أبي فهر نظر إلى زير زجاج معلق وفيه ماء وفي الماء حيتان تعوم. فقال من فعل هذا؟ فقالوا له: قسطاس. فقال: أحسن والله"(٢).

وإلى جانب الاحتفالات التي تقام باستقبال الولاة هناك أيضاً الاحتفال بيوم عاشوراء في القيروان حيث يقوم الناس بذبح الأعداد الكبيرة من البقر وأشارت رواية البكري إلى أنه في إحدى المرات بلغ عدد ماذبح من البقر في القيروان تسعمائة وخمسين رأساً. كما يقوم أهل المنستير في المغرب أيضاً في الاحتفال بيوم عاشوراء وهو عندهم موسم عظيم(٣).

---

١ ـ القرآن الكريم: سورة الفتح آية ١-٢.

٢ ـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية ص١٨٤.

٣ ـ البكري: المغرب ص٢٦،٣٦.

وكان الناس يخرجون لتشييع الجنائز، ومثال ذلك ماحدث في جنازة ابن أنعم وكثرة المشيعين له عقب وفاته[١].

* مظاهر الترف في المغرب:

في الاحتفال الذي استقبل به أهل إفريقية الفضل بن روح يظهر مدى الترف لتلك الفترة، وبالتالي فإن ذلك يعني ارتفاع مستوى المعيشة، وهناك أيضًا مامنحه يزيد بن حاتم من مال للشاعر ربيعة ليتمكن من سداد ماعليه، إلى جانب قيام يزيد بذبح الأغنام الموجودة لدى ابنه وتوزيعها على الناس، كما بعث روح بن حاتم بثلاثين ألف درهم إلى كاتبه ووقع له: "... إني بعثت إليك بكذا، لاأستقلها لك تكبرًا ولاأستكثرها تمننًا، ولاأقطع عنك بها رجاء بعد، والسلام"[٢].

* وسائل التسلية:

عمد سكان المغرب الأدنى إلى قضاء أوقات فراغهم بوسائل كثيرة ترويحًا عن النفس وتجديدًا لنشاطها. ومثال ذلك المتنزهات حيث متنزه سردانية بالقرب من جلولا الذي تميز بجمال الموضع وتوفر الثمار فيه إلى جانب احتوائه على مايقرب من ألف شجرة من النارنج[٣]. وهناك متنزه بنزرت الواقع شرقي المدينة[٤]. وكانت هذه الحدائق مقصدًا لجميع

---

١ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣٦.

٢ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ١:٨١،٨٢،٨٤.

٣ ـ البكري: المغرب ص٣٢.

٤ ـ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:١٠١.

الناس كما حرص أيضاً علية القوم أن يكون لهم متنزهات خاصة بهم، ومثال ذلك الحدائق الخاصة بالأمير يزيد بن حاتم والتي كان يتنزه فيها من وقت لآخر في القيروان[١].

وأما فيما يتعلق بأمر الغناء والموسيقى فقد أدخل يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٥٥هـ/٧٧٢م في صحبته العلماء والأدباء وأهل الفن، كما جلبت أسرة المهالبة من بعده عدداً من الآلات الموسيقية إلى القيروان ومنها إلى سائر أنحاء البلاد، ومن بين وسائل الحضارة التي جاء بها المهالبة من العراق آلات الطرب ولاسيما ذات الأوتار كالعود والرباب والطنبور[٢] وغير ذلك[٣].

*** الطعام والشراب:**

تنوع الأطعمة والأشربة التي اعتاد الناس تناولها في المغرب الأدنى دلالة على رفاهية الشعب في تلك الفترة، فمنها على سبيل المثال ماأشارت إليه المصادر عن بعض الأنواع المستخدمة للأكل مثل الأسماك[٤] واللحوم المتناولة بكثرة وخصوصاً في الاحتفالات والسمسمية[٥].

ويربب أهل القيروان السمسم بالياسمين وبالورد والبنفسج[٦]

---

١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٨٢:١.

٢ ـ الطنبور: جمع طنابير، وهي آلة ذات أوتار مثل العود، لكنها أطول يداً منه وأرق.

٣ ـ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ١٧٥:٢-١٧٦.

٤ ـ ابن عذارى: البيان المغرب ٧٨:١.

٥ ـ البكري: المغرب ص٢٦،٣٢.

٦ ـ مؤلف مجهول: الاستبصار ص٢١٦.

والكنافة[١].

ولكن مع الأسف لم تشر المصادر إلى طريقة صنع بعض الأطعمة المعتمد عليها في تلك الفترة.

أما الأشربة فهناك اللبن[٢] ويبدو أنه المعتمد عليه كثيرًا نظرًا لتوفر المواشي هذا إلى جانب المشروبات الأخرى والمستخدمة من الفواكه على الرغم من قلة النصوص الموجودة عن ذلك.

*** العادات والتقاليد ***

الأسرة هي ركيزة المجتمع ومنشأ الأجيال، وقد حظيت بالاهتمام الكبير والرعاية، وتكونت من الزوج والزوجة والأبناء. وكان الطابع العام للأسر في المغرب الأدنى هو الاكتفاء بزوجة واحدة ويظهر لنا هذا الأمر ماحدث من زوجة عبد الرحمن بن حبيب التي رفعت أمرها إلى القاضي في طلاقها من الأمير لمخالفة شرطها في عدم التسري عليها[٣].

كما تشير الحادثة أيضًا إلى وجود عادة التسري بالجواري وكثرتهن، وتميز أفراد المجتمع بالمودة والتكافل فيما بينهم، فكان البهلول ابن راشد كثير الصدقة والمواساة للفقراء والمساكين[٤].

ولم تكن الصدقة قاصرة على الأحياء فقط بل تعدتها إلى الأموات

---

١ ـ المالكي: رياض النفوس ١:١٤٥.

٢ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٣٤،٢٥٥.

٣ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٢٤-٢٢٥.

٤ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص١٣٧ طبعة ١٩٦٨م.

الفقراء حيث قام بعض المحسنين بتكفينهم[١]، وشملت أيضًا الصدقات المجاهدين المرابطين والصالحين من الرجال والنساء، ومثال ذلك المرابطون في المنستير فكان أهل القيروان يخرجون إليهم بالأموال والصدقات الجزلة رعاية لهم[٢]. كما تميز أهل قفصة بكثرة الصدقات للمساكين[٣].

ومن العادات التي عرفت أيضًا في المغرب الأدنى مادرج عليه أهل طرابلس في الاقتصاد في المعيشة وعدم الإسراف والتبذير وبذل المساعدة للغرباء. بينما انصرف أهل مرسى الخزر إلى الإسراف في الأكل والشرب.

وتميزت بعض قبائل البربر في نواحي بونة وقسنطينة باستضافة المسافرين وإطعامهم[٤]. واعتاد أهل القيروان في الليل حمل القناديل لتنير لهم الطريق إلى المسجد وغيره، وتميزت بعض المنازل بعدم استخدام الأنوار في الليل لضيق الحال في حين درج الأغنياء على الاستضاءة بأنوار الشموع[٥].

*** المجالس:**

قامت المجالس في المغرب الأدنى بدور كبير في نشر الثقافة بين أفراد الشعب، ويهمني هنا وصف هذه المجالس ولكن قلة المادة العلمية

---

١ ـ أبو العرب بن تميم: طبقات علماء إفريقية ص٢٥١ طبعةتونس ١٩٦٨م.

٢ ـ البكري: المغرب ص٣٦.

٣ ـ مولف مجهول: الاستبصار ص١٥٤.

٤ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص٧٢،٧٧،٩١.

٥ ـ محمد الطالبي: دراسات في تاريخ إفريقية ص١٤٧.

في المصادر عن ذلك تجعل أمر تتبعي لها محفوفًا بالمصاعب، فهناك إشارة بسيطة لمجالس الولاة في المغرب، فمنها على سبيل المثال مجلس الأمير يزيد بن حاتم[١] ممايدل فعلاً على وجودها في تلك الفترة واستغلالها فيما يعود بالنفع على أهل البلاد. ولكن لم تشر المصادر إلى وصف تلك المجالس ولاكيفية جلوس الحاكم فيها، والنقطة المهمة في الموضوع هنا تنوع تلك المجالس حيث كان مجلس الأمير يزيد يضم الأدباء والشعراء وكذلك مجالس أمراء المهالبة ومابذلوه في جعلها مجالس زاهرة بالأدباء والشعراء[٢]. وذلك يعني أن هناك مجالس تعقد لأغراض أخرى متعددة.

كما كان هناك مجلس القاضي وقد وصفت طريقة جلوسه للفصل في شكاوى النساء في القيروان، حيث كان يقوم بصرف الكتّاب والحجّاب ضمانًا للسرية التامة فيما يخص أمور المرأة، ويجلس للفصل في قضاياهن في وقت خصصه لهن[٣].

---

١ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٣٦٨.

٢ ـ محمد الطالبي: دراسات في تاريخ إفريقية ص١٤٩.

٣ ـ الدباغ: معالم الإيمان ١:٢٩٥،٢٢٤،٢٢٥.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم رب العرش العظيم الذي أنعم علي ووفقني وأمدني بالقوة والعزم إلى أن أتممت هذه الرسالة وأخرجتها في تلك الصورة بعد جهد متواصل وسهر طويل ...فأرجو أن تحقق هذه الرسالة الغرض منها وأن يفيد منها كل من أراد التعرف على تاريخ بلاد المغرب في تلك الفترة.

وقد توصل البحث بعد الدراسة المتعمقة إلى النتائج الآتية:

١- إن الخلافة العباسية ورثت عن الخلافة الأموية بلاد المغرب كلها من غرب بلاد مصر إلى أقصاه أي إلى حد السوس من بلاد المغرب.

٢- إن سياسة بعض الولاة الأمويين التعسفية هي التي كانت بدايةً لظهور الثورات البربرية في المغرب، فالحقيقة التي لاتقبل الشك أن البربر اعتنقوا الإسلام وانضموا إلى صفوف المجاهدين؛ وكان لهم أكبر الأثر في استمرار حركة الفتح الإسلامي، وما ثوراتهم التي قاموا بها في المغرب إلا نتيجة للتجاوز الذي وقع عليهم من سياسة بعض الولاة فهي إذن لم تكن ثورات عنصرية ضد العرب.

٣- أخطأ عبد الرحمن الفهري في خلعه طاعة العباسيين لأنه أثار ضده الناس والعلماء من المالكية مما كان حجة وذريعة استغلها أخوه إلياس في الثورة عليه، ثم ما كان من أمر الصراع بين الأسرة الفهرية الذي تسبب في انهيارها وثورة الخوارج وتغلبهم على أمر البلاد.

٤ - إن الثورات الإنفصالية في المغرب قامت على يد الخوارج الصفرية والإباضية؛ فهي إذن ثورات مذهبية كانت تغذيها أفكار الخوارج التي حرضت البربر على الثورات ضد الولاة، ولم تكن هذه الثورات ثورات عنصرية بربرية.

٥ - حرص الخلافة العباسية على أن تبقي على نفوذها في المغرب بشتى الوسائل لأنَّ ثورات الخوارج لونجحت في إقصاء النفوذ العباسي من المغرب الأدنى لأصبح الخطر عظيماً بالنسبة لها وقد يهددها بعد ذلك في مصر.

٦ - كان تحرك الدولة العباسية سريعًا لإصلاح الوضع في بلاد المغرب الأدنى وإعادة تبعيته لها بإرسالها أفضل قوادها وأعظمهم أمثال محمد بن الأشعث، ،الأغلب بن سالم، وعمر بن حفص، وما واجهه هؤلاء القواد في محاربة ثورات الخوارج كان كثيراً إلا أنهم بشجاعتهم استطاعوا أن يعدوا الجيوش المنظمة ويقاتلوا الخوارج الذين ثاروا بأعداد هائلة فكانت الحرب سجالاً معهم.

٧ - كان تغلب الخوارج وكثرة تجمعاتهم وثوراتهم دافعًا للخلافة العباسية في اختيار أفضل وأشهر الأسر القوية التي امتازت بالشجاعة والقيادة، فأرسلت إلى المغرب الأسرة المهلبية الذين تولى أفرادها الواحد بعد الآخر إمارة بلاد المغرب وأثبتوا بحق أنهم أسرة جديرة بهذا التقدير؛ وحققوا انتصارات على ثورات الخوارج الصفرية والإباضية، وكان تماسكهم فيما بينهم وعدم طمعهم في الحصول على السلطة والوصول إلى الولاية بهدف الحصول على المنصب؛ فقد وجدت

داود بن يزيد وقد تولى الولايةباستخلاف وقتي من أبيه يزيد، لذلك سلمها إلى عمه روح عندما قدم بعهد من الخليفة دون منازعة، وكذلك وجدت الموقف يتكرر بعد أن جلس قبيصة بن روح في المسجد الجامع وبايعه الناس بالولاية بعد وفاه أبيه روح؛ وجدته يسلمها لنصر بن حبيب بعد أن عرف بأمر الكتاب الذي كتبه الرشيد سرًا بولاية نصر بعد وفاة روح فأذعن قبيصة للأمر وخضع، فقد عمل أفراد هذه الأسرة جندًا وقادة جنبًا إلى جنب؛ وهذا إن دل على طيب الأصل الواضح ؛ فهويدل على الفهم الصحيح للولاية في الإسلام وأنها تكليف لا تشريف، وفي ذلك مثل كريم لطاعة الخلفاء وللزهد في الولاية، وعدم الصراع عليها، وهو درس يستحق الوقوف والإستيعاب، إلا أن الجند ثاروا على الفضل آخر والٍ مهلبي، فكانت ثورة جند هذه المرة وليست ثورة خوارج.

٨ ـ كانت كثرة الثورات باستمرار في بلاد المغرب الأدنى مشكلة تؤرق الخلافة العباسية فأرسلت أعظم قوادها وهو هرثمة بن أعين، وقد استطاع هرثمة أن يحقق الاستقرار والأمن في البلاد وعاد إلى المشرق حيث تولى أمر المغرب محمد بن مقاتل إلا أن تعسف ابن مقاتل في سياسته وسوء السيرة من بعض عمال محمد بن مقاتل على الأقاليم كانت حافزًا لثورة الجند والناس عليه فطلبوا من الخلافة خلعه وتعيين إبراهيم بن الأغلب الذي بدأت به أوضاع البلاد تتغير حتى استقل داخليًا ببلاد المغرب الأدنى، إلاأنه في الحقيقة كان تابعًا للخلافة العباسية.

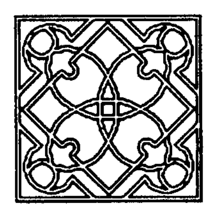
٩ ـ وضحت الدراسة لتاريخ بلاد المغرب في خلال هذه الفترة أن المغربين الأوسط والأقصى قد خرجا تمامًا من سلطان الخلافة العباسية منذ ذلك الوقت وحتى سقوط الخلافة نفسها.

١٠ - وضحت الدراسة العلاقة بين ولاة بني العباس والدويلات التي استقلت في تلك الفترة وبينت نوعية هذه العلاقات وأن العداء المذهبي كان متأصلاً ومنعكساً على تلك العلاقات بالدولة المدرارية في سجلماسة والرستمية في تاهرت، أما بالنسبة للدولة الأموية في الأندلس والإدريسية في فاس فإن الخوف منهما لأنّ لكلٍ منهما أتباع ومناصرين فكان خوف الخلافة العباسية منهما سبباً في مناصبة عمالها في القيروان العداء لهما.

١١ - رغم الثورات والفتن والحروب في فترة البحث فقد حدث تطور كبير في الناحية الاقتصادية حيث ازدهرت الزراعة والصناعة وبذل الولاة جهدهم في تعبيد الطرق وتوفير الأمن لطرق التجارة فنشطت وازدهرت، وتقدمت الحياة الاجتماعية وارتقت في جميع جوانبها وعلا شأن المرأة نتيجة لتمتعها بالحقوق التي كفلها لها الإسلام.

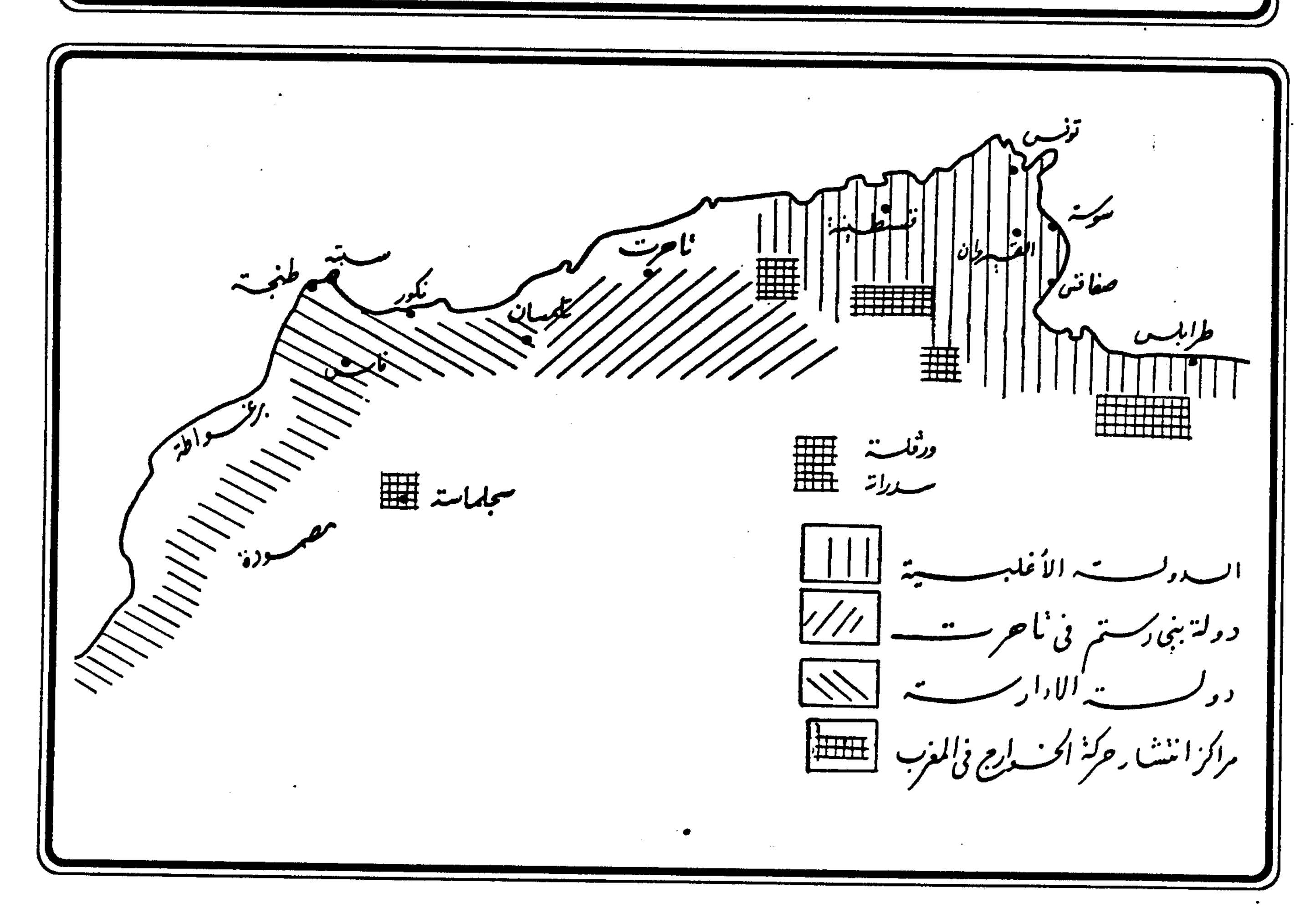
والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين



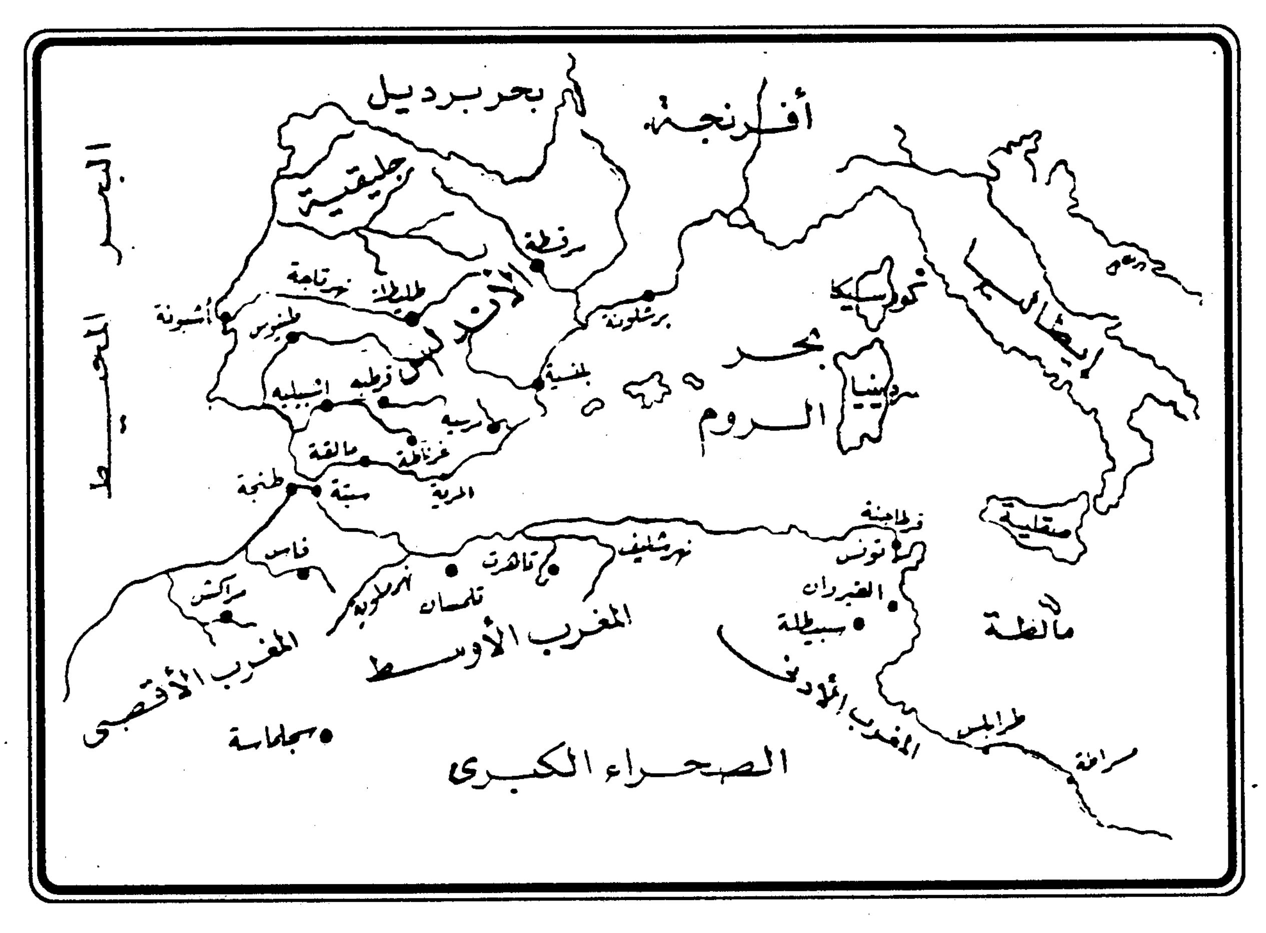
الملاحق

المغرب العربي في بداية القرن التاسع الميلادي



د. الحبيب الجنحاني
القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب

المغرب والأندلس



مع المسلمين في الأندلس، د. علي حبيبة ص٤٥٥

المصـادر والمراجـــع

ا ـ المصادر المطبوعة

* ملحوظة: رتبت المصادر والمراجع على حسب اسم الشهرة لمن اشتهر، وبحسب الاسم الأول مع حذف ال ـ أب ـ ابن.

١ ـ ابن الأبَّار: أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي (ت ٦٥٨هـ):

الحلة السيراء، تحقيق وتعليق حسين مؤنس،الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢ ـ ابن الأثير: أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ):

الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣ ـ أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي: أحد أعضاء مجلس شهرأمانت الجليلة بدار السعادة:

المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طبع بمطبعة جمال أفندي، ١٣١٧م.

٤ ـ أحمد بن أبي الضيَّاف (ت ١٢٩١هـ):

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، الشركة العربية

للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
الجزء الثاني: تحقيق محمد بن محمد البشير شمام.

٥ - الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت في منتصف القرن الرابع الهجري):

مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي.

٦ - الباجي المسعودي: ابن عبد الله الشيخ محمد (ت ١٢٩٧هـ):

الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، طبع بمطبعة بيكار وشركائه نهج أنبيال، بتونس، الطبعة الثانية لابن المؤلف عبد العزيز المسعودي، ١٣٢٣هـ.

٧ - البكري: أبوعبيد (ت ٤٨٧هـ):

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون سنة النشر.

٨ - البلاذري: الإمام أبي الحسن (ت ٢٧٩هـ):

فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٩ - التجاني: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت ٧١٧هـ) تقريباً:

رحلة التجاني، قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي من سنة ٧٠٦-٧٠٨هـ قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية بتونس، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

١٠ - ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١١ - ابن حزم: أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد - الأندلسي (ت ٤٥٦هـ):

جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٢ ـ الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٧٠٠هـ):

الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

١٣ ـ ابن حوقل: أبوالقاسم ابن حوقل النصيبي (ت٣٨٠هـ):

صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

١٤ ـ ابن خرداذبة: أبوالقاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ):

المسالك والممالك، يليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي المتوفي سنة ٣٢٠هـ طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل، ١٨٨٩م.

١٥ ـ ابن الخطيب: لسان الدين (ت ٧٧٦هـ):

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

١٦ - ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ):

تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،(٧) مجلدات.

١٧ - ابن خِلّكان: أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خِلّكان (ت٦٨١هـ):

وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى،١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

١٨ - خليفة ابن خياط (ت ٢٤٠هـ):

كتاب الطبقات، حققه وقدم له أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٩ -

تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٠ ـ الدبّاغ: أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت ٦٩٦هـ):

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي(سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، مطبعة السُنّة المحمدية الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج١.

٢١ ـ ابن أبي دينار: أبوعبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ):

المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تصحيح وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ

٢٢ ـ ابن رسته: أبوعلي أحمد بن عمر (ألّفَ سنة ٢٩٠هـ):

الأعلاق النفيسة، طبع بمطابع بريل، ليدن، ١٨٩١م.

٢٣ ـ الرقيق القيرواني: أبوإسحاق إبراهيم ابن القاسم (ت بعد سنة ٤١٧هـ):

تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، الناشر رفيق السقطي، تونس.

٢٤ ـ ابن أبي زرع: علي الفاسي (ت ٧٤١هـ):

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

٢٥ ـ السيوطي: الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ):

تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢٦ ـ ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ):

فوات الوفيات، حققه وضبطه وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضةالمصرية، بدون تاريخ الطبعة.

٢٧ ـ الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ):

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

٢٨ ـ الطبري: أبوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):

تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، سنة ١٣٨٧هـ ١١جزء.

٢٩ - ابن عبد الحكم: أبوالقاسم عبد الرحمن (ت٢٥٧هـ):

فتوح مصر وأخبارها، طبع في مدينة ليدن، بمطابع بريل، ١٩٢٠م.

٣٠ - عبد القاهر بن طاهر البغدادي (أبومنصورت ٤٢٩هـ):

الفرق بين الفرق، تحقيق محمد زاهد الكوثري، نشر السيد عزت العطار الحسيني، سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

٣١ - ابن عذارى: أبوعبد الله محمد المراكشي (من كتّاب القرن السابع الهجري):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٣٢ - محمد بن أحمد بن تميم القيرواني(ت٣٣٣): أبوالعرب تميم

طبقات علماء إفريقية وتونس، الطبعة الأولى،دار الكتاب اللبناني، بيروت، وأيضًا نسخة أخرى منه تقديم وتحقيق علي الشابي، نعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.

٣٣ - عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ):

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام

مذهب مالك، الجزء الثالث عارض بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد بن تاويت الطنجي، المملكة المغربية، الرباط، بدون سنة طبع.

٣٤ ـ ابن غلبون: أبوعبد الله محمد بن خليل الطرابلسي(ت ١١٧٧هـ):

تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوي،المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٣٥ ـ ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المدني المالكي (٧٩٩هـ):

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،ج١.

٣٦ ـ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت١٢٨٣م)

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٣٧ ـ القلقشندي: أحمد بن علي (٨٢١هـ)

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق

عليه وقابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الجزء الخامس، الجزء الثالث عشر، تحقيق محمد حسين شمس الدين.

٣٨ ـ ابن كثير: الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)

البداية والنهاية، دار الفكر العربي، دار نهر النيل للطباعة، الجزء ٩-١٠، ط١، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

٣٩ ـ ابن الكردبوس وابن الشباط (ت٦٨١هـ)

تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م.

٤٠ ـ الكندي: أبوعمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري (ت٣٥٠هـ)

الولاة وكتاب القضاة، مهذبًا ،مصححًا بقلم رفن كست، طبع بمطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

٤١ ـ مؤلف مجهول

أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق ابراهيم

الأبياري، الناشرون دار الكتب الأسلامية. دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٢ ـ مؤلف مجهول

الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

٤٣ ـ مؤلف مجهول

نبذ تاريخية في أخبار البربرفي القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، لمؤرخ مجهول ألفه سنة ٧١٢هـ اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، رباط الفتح، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م.

٤٤ ـ ابن ماجه: أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)

سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٥ ـ المالكي: أبو بكر عبدالله بن عبد الله المالكي (ت٤٥٣هـ)

كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، نشر حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٥١م الجزء الأول.

٤٦ ـ محمد بن الحسين الفراءالحنبلي(ت٤٥٨هـ)أبويعلى الحنبلي

الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٧ ـ المقدسي: المعروف بالبشاري (ت٣٨٧هـ)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع في مدينة ليدن، بمطبعة بريل، ١٩٠٦م.

٤٨ ـ الناصري: أبو العباس أحمد بن خالد (ت١٣١٥هـ)

كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف، جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، الجزء الأول.

٤٩ ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء٢٤، تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالإشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥٠ ـ الوزير السراج: محمد بن محمد الأندلسي (ت١١٤٩هـ):

الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق الدكتور: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م، المجلد الأول.

٥١ ـ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ):

معجم البلدان، دار احياء التراث، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٥ مجلدات.

٥٢ ـ يحيى بن أبي بكر: أبوزكريا (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)

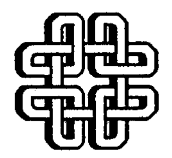
كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا، حققه ووضع حواشيه اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وطبعة الجزائر سنة ١٩٧٩م.

٥٣ ـ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب العباسي (ت٢٨٤هـ)

كتاب البلدان ضمن كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، المجلد السابع طبع بمدينة ليدن، بمطابع بريل سنة ١٨٩١م.

٥٤ ـ

كتاب تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني، بدون سنة طبع.



المراجع العربية

٥٥ - ابراهيم بيضون

الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة(٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥٦ - إبراهيم ياس خضير الدوري

عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية ،الخارجية.

٥٧ - إحسان حقي

تونس العربية، دار الثقافة،بيروت.

٥٨ - د.أحمد ابراهيم الشعراوي

الأمويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٦٩م.

٥٩ - د. أحمد فكري

بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٨٣م.

٦٠ ـ د. أحمد مختار العبادي

دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٨٢م.

٦١ ـ

في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧١م

٦٢ ـ

في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، بدون سنة النشر.

٦٣ ـ الأمين عوض الله

تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٤ ـ أنور الرفاعي

النظم الإسلامية، دار الفكر، بدون سنة النشر، وبدون اسم البلد التي نُشر فيها.

٦٥ ـ **بكير سعيد أعوشت**

دراسات اسلامية في الأصول الإباضية، الجزائر، الطبعة الثانية.

٦٦ ـ **د. الحبيب الجنحاني**

المغرب الإسلامي، الحياة الإقتصادية ،الإجتماعية، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٦٧ ـ **د. حسن إبراهيم حسن**

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ،الإجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة،١٩٦٤م، المجلد الأول.

٦٨ ـ **د.حسن أحمد محمود**

الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م، ج١.

٦٩ ـ

قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر، القاهرة.

٧٠ ـ حسن حسني عبد الوهاب

خلاصة تاريخ تونس، مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، الدار التونسيةللنشر، ١٩٨٣م.

٧١ ـ

ورقات عن الحضارة العربية بافريقياالتونسية، مكتبة المنار، تونس، القسم الثاني.

٧٢ ـ حسن خليفة وحسن مراد وأحمد إبراهيم الشرقاوي

تاريخ العرب في افريقيا والأندلس، مطبعة الإعتماد، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.

٧٣ ـ الحسن السائح

الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٧٤ ـ حسن سليمان محمود

ليبيا بين الماضي والحاضر، الناشر: مؤسسة سجل العرب، باشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، مطبعة المعرفة، ١٩٦٢م.

٧٥ ـ حسن علي حسن

الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

٧٦ ـ د.حسين مؤنس

فتح العرب للمغرب، الناشر مكتبة الأداب.

٧٧ ـ

معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

٧٨ ـ حورية عبده عبد المجيد سلام

علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه في الأداب غير منشورة، بإشراف حسن أحمد محمود، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٧٤م.

٧٩ ـ خير الله طلفاح

حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٨٠ ـ راسم رشدي

طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، الطبعة الثانية، ١٩٥٣م.

٨١ ـ د.سعد زغلول عبد الحميد

تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٩م.

٨٢ ـ د.السيد عبد العزيز سالم

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.

٨٣ ـ

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية.

٨٤ ـ

دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،ج٢.

٨٥ ـ سيف الدين الكاتب

أعلام من المغرب والأندلس، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٨٦ ـ صالح باجية

الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، بحث تاريخي مذهبي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٨٧ ـ الطاهر أحمد الزاوي

تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، مصر، بدون سنة الطبع.

٨٨ ـ د.عبد الرحمن علي الحجي

التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ /٧١١-١٤٩٢م)، دار الإصلاح، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨٩ ـ عبد العزيز الثعالبي

تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٩٠ ـ عبد العزيز فيلالي

العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، ليبيا، تونس، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٩١ ـ عبد العزيز المجدوب

الصراع المذهبي بإفريقية حتى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

٩٢ ـ عثمان الكعاك

الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٨٦م.

٩٣ ـ د.علي حبيبة

مع المسلين في الأندلس، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، بدون سنة النشر.

٩٤ ـ ليلى أحمد النجار

العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور أحمد السيد درّاج، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، سنة ١٤٠٢هـ

٩٥ ـ مبارك بن محمد الهلالي الميلي

تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، الجزء الثاني.

٩٦ ـ محمد بركات البيلي

في تاريخ المغرب والأندلس، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة.

٩٧ ـ د.محمد أبو العزم داود

الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٨ ـ د.محمد الطالبي

دراسات في تاريخ إفريقية وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨٢م.

٩٩ ـ

الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، نقله إلى العربية المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٠٠ ـ محمد عبد الله عنان

دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٠١ ـ محمد علي دبوز

تاريخ المغرب الكبير، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، الجزء الأول.

١٠٢ ـ محمد كرو (أبو القاسم) وعبد الله شريط

عصر القيروان، دار المغرب العربي، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

١٠٣ ـ محمد مبروك نافع

تاريخ العرب، طبع بمطبعة العالم العربي، الطبعة الأولى، ١٩٤٩م.

١٠٤ ـ د.محمد محمد زيتون

القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠٥ ـ

المسلمون في المغرب والأندلس، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٠٦ ـ محمد ولد داده

مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

١٠٧ ـ د.محمود اسماعيل عبد الرازق

الأغالبة سياستهم الخارجية (١٨٤-٢٩٦هـ)، طبع ونشر مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٢م.

١٠٨ ـ

الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

١٠٩ ـ د.محمود شيت خطاب

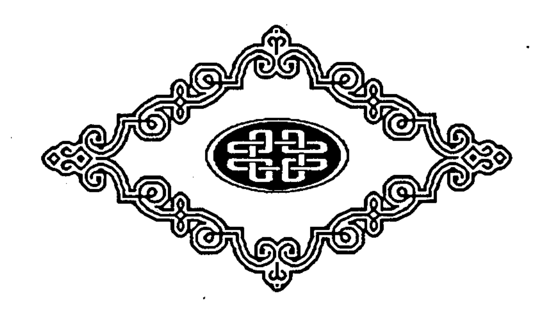
قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لايوجد بلد الطبعة، الطبعة السابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١١٠ ـ د.مصطفى الشكعة

إسلام بلا مذاهب، الناشر الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١١ ـ د.نبيلة حسن

محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتب كريدية إخوان، بيروت، ١٩٨٣م.



المراجع المترجمة

١١٢ - أرشيبالد لويس

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية.

١١٣ - زيغريد هونكه

شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي.

١١٤ - سيد أمير علي

مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية، عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

١١٥ - شارل أندري جوليان

تاريخ إفريقية الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١١٦ - كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب منير البعلبكي، نبيه أمين فارس، دار العلم، بيروت، الطبعة السادسة.

١١٧ - د.أ. سيديو

تاريخ العرب العام، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

118 - Hirschberg, H.z (J.W):

History of the jews in north africa, From ontiquity to the sixteenth century with 4 maps, Leidcn, 1974,Vol.I.

الدوريات

١١٩ ـ د.رشيد عبد الله الجميلي

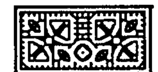
الرستميون في تاهرت، انتشار الإباضية في المغرب وأثره في قيام الدولة الرستمية (١٦٢-٢٩٧هـ)، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.، العدد ٣٤، السنة الثالثة عشرة، بغداد.

١٢٠ ـ محمد ثابت الفندي وآخرون

دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج١١.

١٢١ ـ محمد حسن

حول إحدى القبائل البربرية، نفوسة (فضاؤها الجغرافي وعلاقتها بالسلطةالمركزية)، مجلة أوراق، يصدرها المعهد الإسباني العربي للثقافة، سنة ١٩٨٢-١٩٨٣م، العدد ٥-٦.



الفهـرس

قائمة المحتويات